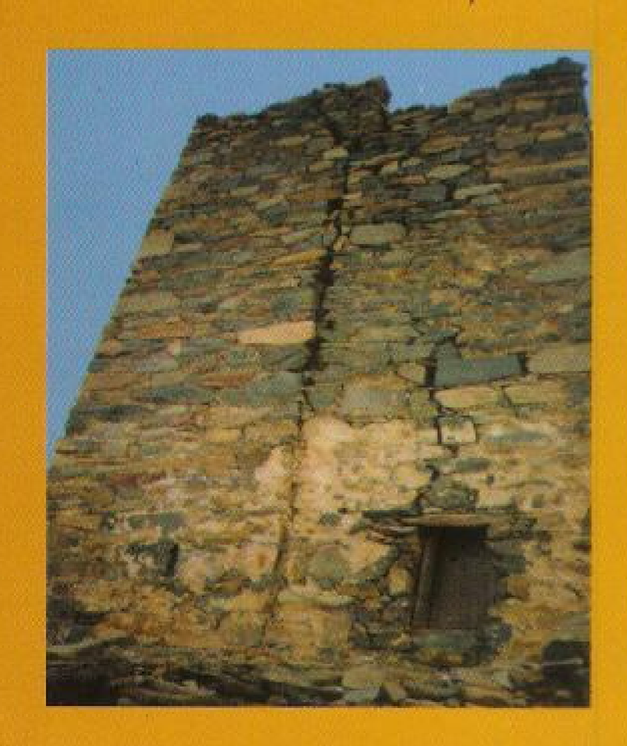


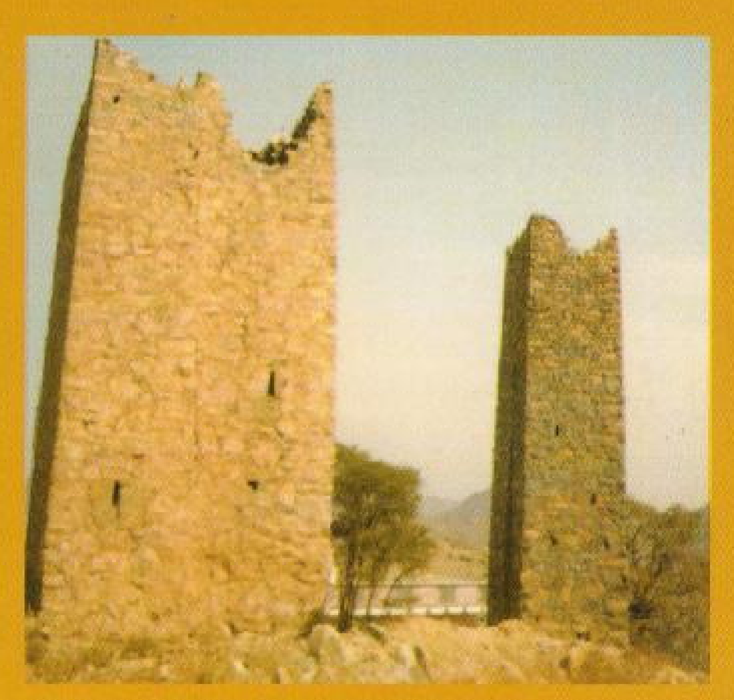


الحـــروب التركيـــة

في المنطقة الجنوبية

١٢٢٨ - ١٢٨٩هـ ١٨١٣ - ١٨٧٢م





تاليف : عبد الهادي بن عبد الله بن مشبب الشهري

٢٤ شوال ١٤١٩هـ

الحروب التركية

فى المنطقة الجنوبية

١٢٢٨ - ١٢٨٩هـ

١٨١٣ - ١٨٧٢م

المؤلف : عبد الهادي بن عبد الله بن مشبب الشهري

٢٤ شـــوال ١٤١٩هـ

ⓒ عبد الهادي عبد الله مشبب الشهري ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشهري ، عبد الهادي عبد الله مشبب
الحروب التركية في المنطقة الجنوبية - الرياض
. . . ص ، . . . سم
ردمك : ٣-٣٤١-٣٤-٩٩٦٠
١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ
أ- العنوان
ديوي : ٩٥٣،١٥ ١٨٠٦ / ١٨
رقم الإيداع : ١٨٠٦ / ١٨
ردمك : ٣-٣٤١-٣٤-٩٩٦٠

طبع بمطابع الايناس للأوفست
الرياض - هاتف ٤٤٧١٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء إلى

صاحب السمو الملكي الأمير / سلطـان بن عبد العزيز آل سعــود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء

وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

(سلمه الله تعالى وعافاه وأبقاه ذخراً ورائداً للعلم والمعرفة ورمزاً حقيقياً للكرم والجود والأعمال الخيرية الفعالة – آمين)

المؤلف

الفصل الأول

تقديم

الحمد لله الذي خلق كل شئ فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ...

فإن التاريخ من أجل العلوم الإجتماعية وأحبها إلى النفوس البشرية، ذلك أن النفوس جبلت على حب معرفة الأخبار والسير للأوائل، وما كانوا عليه من سلوكيات وصفات وأحوال، فيها ما فيها من خير لمن قدم الخير، وشر لمن قدم الشر وسار به بين الناس في كل مكان وزمان.

وما من شك أن الدولة العثمانية - التركية - لها سلبيات، وإيجابيات، في فترة حكمها في جزيرة العرب عامة، وفي إقليم عسير خاصة.

غير أنها منذ أن دخلت منطقة عسير سنة ١٢٢٦ هـ، وحتى خرجت منها سنة ١٣٣٥ هـ، والمنطقة تعاني منهم الويلات، فقد قبضت على علمائها، وأمرائها وشيوخ قبائلها، وحملتهم إلي تركيا ومصر، ثم قتلت منهم من قتلت، وسجنت منهم من سجنت، وأخلت سبيل قلة منهم يعدون على الأصابع.

وإذا تتبعنا سيرة الأتراك في منطقة عسير، نجده كله سلبيات وظلمات بعضها فوق بعض، فقد امتصوا مواردها، وفرضوا الإتاوة على سادتها، وقتلوا مشاهيرها. وعاثوا في الأرض فساداً، فكبكبهم الله على نحورهم، وتصدت لهم القبائل وقتلتهم ومزقت صفوفهم وفرقت شملهم وعاد من سلم

منهم وهم خاسرون، فلله الحمد والمنة، والله المستعان على ما يصفون.

وفي هذا البحث المتواضع الذي أقدم له بناءً على طلب مؤلفه الأخ الأستاذ/ عبد الهادي بن عبد الله بن مشبب الشهري، والذي عنون له بـ«الحروب التركية في منطقة عسير» من سنة ١٢٢٨ - ١٢٨٩هـ، فيه ما يفيد الباحث والناظر فيه، ولقد ساهم به مؤلفه - وفقه الله - ليكون عوناً ومصدراً من مصادر المكتبة العربية.

وقد جعله في خمسة فصول ، استعرض فيها حال منطقة عسير خلال تلك الحقبة من الزمن، وقد أجاد وأفاد فيه بالقدر الذي علمه، مع قلة المصادر والمراجع في ذلك الشأن، فلم يكن هناك مصادر متعددة تمكن الباحث من إشباع غريزته، وإعطاء الموضوع حقه من البحث والدراسة.

ولكن الحق أحق أن يقال، ومن لا يشكر الناس، لا يشكر الله، وإني أشكر الباحث على ما أسهم به في بحثه هذا مع قلة المصادر، وكثرة مشاغله الوظيفية، وأرجو أن يحذو غيره حذوه، فيقدمون عن مناطقهم وبلدانهم، ما يسد الفراغ الذي تعانيه المكتبة العربية، وليس الكمال من الشروط الملزمة لكل باحث، فالكمال لله وحده، غير أن على الباحث أياً كان، أن يتحرى الصدق، ويعمل بكل ما أوتي، وعلى الله التمام، ومنه العون والتوفيق، وبارك الله جهود المخلصين، لدينهم، ثم مليكهم، ووطنهم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه/ عمر بن غرامه العمروي

في يوم الجمعة العاشر من جمادي الثانية من عام ١٤١٦هـ

مقدمة

تقع منطقة عسير في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وعاصمتها الإدارية - أبها - وعسير من المناطق المحافظ أهلها على اللغة العربية، والدين، والعادات، والتقاليد الحميدة لدى العرب.

وفي الثلث الأول من القرن الثالث عشر، وفي حدود عام ١٢٢٦هـ، أبتليت شبه الجزيرة العربية بغزو قوات محمد علي باشا -حاكم مصر من قبل الدولة العثمانية- وذلك بالسيطرة على أرض الحرمين الشريفين، وإمتصاص مواردها، وفرض الإتاوات على أهلها والتوسع في رقعة الممالك.

لكن سكان البلاد قاوموا ذلكم الغزاة ببسالة بكل ما أوتوا من قوة، سواء في الحجاز أو في نجد أو في عسير، وذلك على مدى مائة عام من ١٢٢٦هـ / ١٨١١م، حتى نهاية حكم الأتراك لعسير في حدود عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، وبداية حكم صقر الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل طيّب الله ثراه.

فأحببت الإسهام في تأليف هذا البحث المتواضع مترسماً خطى من سبقني إلى هذا الميدان الواسع، فإن أصبت فذاك المطلوب، وإن أخطأت فالكمال لله، وكلنا خطاؤون، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله الهاشمي وآله وأصحابه آمين.

المؤلف

أضواء على تاريخ شبه الجزيرة العربية:

كانت شبه الجزيرة العربية كغيرها من بلدان العالم تعيش في ظلام دامس من الجهل، حتى ظهرت دعوة محمد بن عبد الله (ﷺ)، فشاع النور مبدداً دياجير الظلم والظلمات في هذه الجزيرة وغيرها من بلدان الأرض، حتى وصلت الدعوة المحمدية أقصى بلدان العجم والسند والهند شرقاً وجنوباً، وإلى سواحل أفريقيا ومضائقها غرباً وشمال غرب . وإلى جبل البرانس في أعماق بلاد الفرنجة ومعاقل الكاثوليكية شمالا، وإلى أقاصي بلدان اليمن وقممه جنوباً.

ولما كان الدين الإسلامي دين الفطرة الصحيحة فقد قبلته الأنفس بإذن الله تعالى، وأخذت بتعاليمه وقوانينه، فانقلب ليلها نهاراً، وظلامها نوراً، وظنها يقيناً، وانقلبوا بنعمة الله إخواناً، بعد أن كان بعضهم يضرب رقاب بعض .

ولما كان من طابع الإسلام الإنتشار لشمولية لواء العدل والسلم، والمهادنة بين بني الإنسان في أرجاء المعمورة، فنجد أن الجهاد من أركان الإسلام الخمسة، ومن هنا بدأت المدرسة المحمدية تخرِّج من المدينة المنورة قادتها لتقدم جحافل المجاهدين لنشر كتاب الله تعالى وسنة رسوله، لتدل الظالين إلى سواء السبيل. .

فثلم الله بحزبه الإسلامي شوكة كفار مكة في عدة مواقع، وطُهِرَتْ مدينة الرسول من أهل البغي كاليهود والمنافقين!! وهدمت معاقل اليهودية بخيبر في العام السابع من هجرة المصطفى (ﷺ)، ثم أذن الله تعالى بحكمته بفتح مكة المكرمة، فكان لابناء فلذاتها الرجوع إليها والشرب من منابع زمزمها، وتطهير البيت العتيق من أدران الشرك و أصنام الكفر.

وبعد ذلك اتجهت الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، وبدأت جحافل المسلمين تتجه شرقاً نحو بلاد فارس وأظفرها الله تعالى بفتح بلاد أقوى وأمنع دولتين في ذلكم الوقت، وهما الفرس سنة ١٥هـ، والروم، ودكت معاقلهم، وهدمت حصونهم، وخرت قواهم، وقتل قادتهم وملوكهم، بإذن الله تعالى، في القادسية واليرموك.

وثبتت أقوال الرسول الكريم (ﷺ)، في تقليد سراقه بن مالك سوار كسرى بعد فتح المدائن - وقتل ملكهم - ورؤيته (ﷺ) لأراضي الشام القريبة من ملك هرقل الرومي، وأصبحت راية (لا إله إلا الله) هي العليا، ورغم إنتصار المسلمين فإنهم لم ينهبوا أموال الناس وأراضيهم، بل أبقت النظم الإسلامية الأرض بأيدي أهلها مع دفع المتحقق عليهم وفقاً لتعاليم خلفاء الرسول(ﷺ)، المستمدة من الكتاب والسنة.

وهكذا مضى الزمن وتعاقبت الخلافات الإسلامية على الحكم والإسلام من نصر إلى أقوى حتى سنة ٢٣٢هـ - ٨٤٦م الموافق لأواخر عصر الدولة العباسية-الثاني حيث بدأ الضعف يدب في خلفائهم، وذلك ناتج عن مطامعهم، فوثب قادة الأتراك من جيش المعتصم وقتلوا الخليفة المتوكل - وهيمنوا على الحكم، ودالت دولتهم حتى عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م، فإلى عام ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م.

ولقد تيقظت الدولة العثمانية منذ القدم للكشوف الجغرافية الأوروبية الطامعة لإستعمار بلدان العالم الثالث -كما يقال الآن- في قارات العالم، وإمتلاك زمام السيطرة الإقتصادية والسياسية وزامن ذلك زيادة قوة محمد علي باشا حاكم القطر المصري آنذاك وهو الربع الأول من القرن الثالث عشر

الهجري، وبالتالي أصبح مصدر خوف الدولة العثمانية فكان عليها كسر شوكته بطريق غير مباشر.

ومصدر آخر لخوف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله التي كانت قد انتشرت في الجزيرة العربية وإلى أواسط الشام والعراق، وأيدها الله بظهور الدولة السعودية، الأولى بأول أمير لها هو الإمام محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ-١٧٤٤م، ورأت الدوله العثمانيه ان القيادة الأسلامية سوف تفلت منها. امام تلك الأمور فأوعزت السلطنه العثمانيه إلى حاكم مصر محمد علي باشاء بإرسال قوة إلى شبه الجزيرة العربيه للسيطرة عليها فخرجت تلك القوه من مصر سنه ١٢٢٦هـ / ١٨١١م حتى وصلت ينبع، فإلى أرض الحرمين الشريفين، ونجد، وجزء منها اتجه إلى عسير.

وكان أمراء مكة المكرمة من الأشراف عيوناً ودلائل لتلك الحملة التي انتهك قوادها حرمات سكان شبه الجزيرة العربية وعاثوا فساداً وقتلوا الرجال، واحتلوا الدرعيه عاصمة بلدان نجد آنذاك، وأضرموا النيران فيها، وقتلوا أهلها، وأسروا الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، وذويه ووزرائه من آل الشيخ وأرسلوا إلى مصر، ومنها إلى الأستانه حيث قُتل الإمام وبعض رفاقه ، والله المستعان .

أما في الجهات العسيرية فكانت مقاومة أهلها للغزاة الأتراك أشد ضراوة لأن أراضيهم منيعة ووعرة المسالك، ورغم ذلك انهزموا أمام أعدائهم وأسر أميرهم طامي بن شعيب، وبعض مقاتليهم، وقتل الكثير ومنهم الفارس بخروش الزهراني، وتتالت الحملات عليهم عاماً بعد عام وأسر بعض أمرائهم مثل محمد بن أحمد المتحمي وابنه مداوي، إلى أن قتلت القوات

التركية أمير عسير محمد بن عائض عام ١٢٨٩هـ-١٨٧٢م، وأسرت أقاربه وقادة محاربي عسير وسيقوا في جمع كثير إلى استانبول.

وظل الحال سيئاً من جراء تلك المخاوف فضلاً عن شح الموارد ، ودوام الجهل لعدم العلم، وإنغلاق مسالك الأقطار الجنوبية لصعوبتها أمام القوافل التجارية، وإن كانت لا تكاد تخلوا من المتاجرة منذ القدم، إذ أن التاريخ يحدثنا على صفحاته المشرقة بمرور التجارة القرشية عبر الجنوب إلى الموانئ الجنوبية حاملة البخور والتوابل والعطور ومنتجات جنوب شرق آسيا كالصين والهند عائدة بها قوافل الجمال إلى مكة المكرمة، ومنها إلى الشام، وهكذا في رحلة الشتاء والصيف المذكورة في سورة قريش.

لكن خروج تركيا وحلفائها منهزمين بعد الحرب العالمية أدى لإنسحابها من بلدان العرب وفقاً لشروط الدول الكبرى آنذاك وسُلِّمَ العرب لا سواء من ذلك، فالدول الأوربية ورثت تركيا في تجزئه بلاد العرب واستعمارها حتى كتب الله لها الخلاص منهم إلا أرض شبه الجزيرة العربية، التي قيض الله لها المرحوم جلالة الملك عبد العزير بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي - الله يرحمه - الذي جاهد لإعلاء كلمة الله، وثابر لإسعاد سكان هذه البلاد حتى وصلت إلي وضعها الطيب الآن، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ).

الباحث

عبد الهادي عبد الله مشبب عبد الرحمن عبد الله محمد الوليدي الشهري

٢٠ - ٩ - ١٤١٧هـ.

الموقع الجغرافي لمنطقة عسير:

تقع بلاد عسير في وسط الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، بين قطبي عرض ٢٠ ١٧°، و ٠٥ ٢٠°، وخطي طول ٣٠ ٤١°، و ٣٠ ٤٤°شرقاً، وتقدر مساحتها بحوالي ٨٠,٠٠٠ كم ٢.[١]

وفيها جبال ومرتفعات تتدرج في الإرتفاع من ١٨٠٠م إلى ٢٢٠٠م، وتأخذ في الإنخفاض نحو الشرق حيث تسكن باديتهم إلى ١٦٠٠م عن سطح البحر.[٢]

ويصل هذا الإرتفاع في سراة السودة، غربي مدينة أبها، إلى ٢١٣٠م، وهي جزء من جبال الدرع العربي، من حيث التكوين البلوري الممتد من أرض العقبة شمالاً إلى نهاية أرض اليمن جنوباً [٣] قلتُ، وتتخللها الجبال الشاهقة والمتوسطة والوهاد والأودية الطويلة والقصيرة، وتنحدر جبال السروات بشكل تدريجي نحو الجهات الشرقية، وفجائي نحو الجهات الغربية (تهامة).

وتكسوها الأشجار الباسقة المتعددة الأنواع، مثل أشجار العرعر والشث والطلح - الشوك - و(الزيتون)، والجبر، والسرو والتالب، والظهيان، وتكون طويلة في المرتفعات لإعتدال المناخ، وتأخذ في القصر كلما كان الإنحدار غرباً وشرقاً.

وعسير أحدى مناطق المملكة العربية السعودية الثلاث عشرة التي حددها نظام المناطق السعودي ، وتقع في أقصى الجنوب الغربي للمملكة

١- تقرير مسح امارة منطقة عسير للمنطقة في شهر جماد الثاني / ١٤٠٣ هـ ص ٥

٢- أربعة أيام في منطقة الباحة ، على حافظ ص ١٩

٣- شبه جزيرة العرب - عسير - محمود شاكر ص ١٦

ويحدها من الشرق منطقتا الرياض ونجران ومن الجنوب منطقتا جازان ونجران واليمن ، ومن الشمال والغرب منطقة مكة المكرمة وترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٢٠٠٠ متر في المتوسط ، وحيث أنها تقع على مرتفعات السروات فمناخها معتدل صيفاً بارد شتاءً ، وتسقط بها أمطار غزيرة في الشتاء .

تتكون المنطقة من عدة محافظات هي : خميس مشيط ، بيشة ، النماص ، محايل ، سراة عبيدة ، تثليث ، رجال ألمع ، أحد رفيدة ، ظهران الجنوب ، بلقرن ، المجاردة . وعاصمتها مدينة أبها ، ويبلغ عدد سكان المنطقة ١,٧١٥,٠٠٠ نسمة وتصل مساحتها الى نحو ٧٠ ألف كيلو متر مربع [١].

مناخ منطقة عسير :

يعتبر المناخ من أكثر العوامل المؤثرة في الظروف الطبيعية ، وبالتالي أكثرها تأثيراً في حياة جميع الكائنات الحية ، وعلى الأحوال الإقتصادية والإجتماعية .

فالمناخ هو الذي يحدد إمكانيات الإنتاج الإقتصادي ، ويؤثر في سلوكيات جميع الكائنات الحية ، وفي مقدمتها الإنسان ، وتظهر في منطقة عسير الفصول الأربعة على النحو التالي :-

فصل الصيف :-

هو الفصل المعتدل بسراة عسير بشكل عام ، وتهب فيه الرياح الشرقية [٢] . ولا تزيد درجة الحرارة غالباً عن ٢٤° [٣] . ويستمر هذا الفصل قرابة خمسة أشهر يكون النهار فيه دافئاً يميل الى الحرارة وسط

١- الموسوعة العربية العالمية ١٦ / ٢٤٢ ، ١٢ / ٢٦٣ .

٢- بلاد زهران د. محمد مسفر الزهراني ، ص ١١ .

٣- حسب النشرات الجوية في فصل الصيف بالتلفاز .

النهار وفي الليل معتدل ، وتسقط الأمطار غالباً بإذن الله تعالى ، وتسمى أمطار الوسمي .

أما في المنخفضات الغربية - تهامة - والشرقية جهات بيشة ، فإن الحرارة تكون شديدة في هذا الفصل ، وتميل إلى الإعتدال في الداخل [1] .

فصل الخريف :-

يبدأ هذا الفصل بأيام تسمى (أيام الفيحة) ويميل المناخ فيها نهاراً إلي الحرارة الخفيفة . ويعتدل ليلاً ، وتهطل أمطار تسمى (مطر الفيحة) ويستمر الفلاحون في بذر حبوب الذرة لمدة نصف شهر تقريباً ، يزرعون في الأرض التي تسقى بالساقية ، والتي يعتقد أنها تأتي أكلها من المزارع - العثري - ويستمر فصل الخريف لمدة تقارب الخمسة شهور تنتج خلاله حبوب الذرة البيضاء والصفراء ، والخضر والفاكهة ، وتكون الماشية في هذا الفصل سمينة لكثرة الأعشاب ، وهذا الفصل في أوله إلى النصف تقريباً يعتبر امتداداً لفصل الصيف من حيث اعتدال الجو ، وفي تهامة تزرع حبوب الذرة والريشي وفي الشرق جهات بيشة ينضج النخل في هذا الفصل .

فصل الشتاء :-

يتداخل هذا الفصل مع فصل الخريف ، فسكان منطقة عسير يعتبرون هذين الفصلين فصل واحد لأن زراعة الذرة التي يسمونها - الخريف - يجنون ثمارها في آخر فصل الشتاء ، ويستمر بعد ذلك لفترة شهر تقريباً .

يكون المناخ فيه بارد نهاراً مع ميله إلى شدة البرودة ليلاً ، وفي نهاية هذا

١- معجم رجال الحجر ، عمر غرامة العمروي ، ص ٤ .

الفصل تهب رياح - نجدية - من الشرق والجنوب الشرقي ، فتعمل على تجفيف الخضرة ، ويميل الجو في تهامة والشرق إلى الجفاف كذلك مع قلة البرودة ، والميل إلى الإعتدال (١).

فصل الربيع :-

هذا الفصل هو فصل منعش في كل مكان ، فهو الفصل الذي تنزل فيه الأمطار ، وتنبت فيه الأشجار ، وتتنفس الأزهار وكل الأعشاب ، حيث يسقط المطر وينبت الزرع وبالتالي يدر الضرع .

ففي المنطقة العسيرية خاصة ، يبدأ هذا الفصل بنهاية فصل الشتاء وبعد هدوء الرياح الباردة الجافة تبدأ السماء ملبدة بالغيوم ويأتي الضباب بكواهله ليغطي بسحبه الكثيفة السوداء على سماء المنطقة ، وفيها الرعد والبرق ثم تتساقط قطرات المطر ، شيئاً فشيئاً وتجعل من الوجود جو ناعم ، منعش ، نشط للعمل خاصة للأيدي العاملة الكادحة .

وأحياناً يسبق الربيع بقليل من الأمطار من فترة لأخرى ، تلين الأرض فيسارع المزارعون لفلاحة أرضهم وبذر حبوب البر والشعير مثلما أسلفت سابقاً . ثم يستمر سقوط الأمطار لمدة طويلة تسقط بعض الأعوام الشهر والشهرين ، وعلى فترات متقطعة ، تسيل على أثرها الشعاب والأودية وترتوي المزارع والأشجار ، وتتشبع الأرض بالماء بفضل الله وجوده وكرمه .

وفي المنخفضات القريبة - تهامة الشرقية يميل فصل الربيع إلى الدفئ مع سقوط الأمطار مما يجعل سكان السراه ينزلون إليها.

١- أربعة أيام في منطقة غامد وزهران - علي حافظ ، ص ١٩ .

الأمطار في منطقة عسير :

يكرم الله سبحانه وتعالى المنطقة الجنوبية بكثرة الأمطار في أغلب أوقات السنة من كل عام فمنذ نشأتي ومن سبقني فيما أسمع من المسنين أن منطقة عسير لم بعد تنقطع عنها الأمطار لفترة طويلة إلا في زمان ماض يسمونه - زمان الجوع - فيما بين عام ١٣٦٠هـ إلى عام ١٣٦٣هـ، حيث أصيب الناس بقحط شديد أزال الكراع وأضاع المال وضعف الحال والله المستعان.

أما فيما بعد والحمد لله إلى عامنا هذا الموافق لكتابة هذه الأسطر فإن الوضع طيب والأمطار بفضل الله تعالى وجوده وكرمه متواصلة، وتأتي في أوقاتها بمشيئة الحي القيوم.

فمما يحدثنا به الرجال المسنون أن مطر سبق نزوله علي المنطقة سموه (سيل الخميس) عام ١٣٥٢هـ، حيث قالوا أن السماء أمطرت على الأرض بشكل غزير جداً، مثل أفواه القرب حتى سالت الشعاب والأودية في وقت قصير وارتفع منسوب السيل في وادي زيد، ببلدتنا إلى أكثر من عشر أمتار تقريباً، وكاد أن يدخل المنازل القريبة للوادي، رغم إرتفاعها وبعدها عنه. فقالوا أنه أمطر يوم الثلاثاء إلي آخر الليل مساء يوم الأربعاء ثم توقف المطر، وما أن حل ضحى يوم الخميس إلا وقد انسابت جميع المياه وكادت تجف، وهذا يرجع إلى قدرة الله تعالى، ولا يزال حديث الركبان إلى الآن.

وفي عدة أزمنة مضت أذكرها كانت الأمطار تستمر أحياناً وبشكل معتدل لمدة شهر أو أقل، وتسيل الشعاب بعض الليالي والأيام مدة ثلاثة مرات، يكاد صوتها يصم الأذان، وغالباً ما كان الناس هناك يطلبون الله أن يكف عنهم المطر، وعموماً فإن الأمطار تسقط باستمرار على منطقة عسير والحمد لله.

مرتفعات جبال السراه الجنوبيه من المملكة العربية السعودية :

جبال السراه الجنوبية تعتبر إمتداداً للأجزاء الجنوبية من الدرع العربي الممتد من العقبة في الشمال فجبال الحجاز إلى نهاية مرتفعات اليمن المطلة على خليج باب المندب. وتلك المرتفعات في مجملها سلسلة متصلة من الجبال الشاهقة والمتوسطة والقليلة الإرتفاع.

ويتخلل تلك الجبال أودية كثيرة منها التي تتجه شرقاً نحو مناطق تربه وبيشه وتثليث، ومنها المتجه نحو الغرب -مناطق تهامه- فساحل البحر الأحمر.

ومن تلك الأودية الكبيرة الممتدة من أعالي قمم الجبال، ويتسع مرة بحكم مدى قوة ونحت عوامل التعرية الظاهره أثناء سقوط المطر وجريانه، ويرى جوانب الوادي آخذاً في طريقه كل ضعيف من القشرة الأرضية، ويضيق مرة لوقوعه بين صخور قوية المقاومة للعوامل المذكورة، ومنها الصغير، وتلك مقادير الله سبحانه وتعالى، في هذه البسيطة والحمد لله.

ونظراً لأن الفترة التاريخية التي يتم البحث فيها تقع فيما بين عامي ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م -١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م. وهي الفترة التي كان الصراع فيها قائماً على أشده بين الأتراك الغزاة الذين كانوا يريدون وطئ وإنتهاك وسلب ممتلكات ومحارم وأعراض سكان البلاد الجنوبية من المملكة وبين اهلها، وأن ذلك الصراع شمل المنطقة الواقعة من شمال منطقة الباحه الحالية وبني مالك إلى نهاية منطقة عسير السراه وتهامتها ومنطقة المخلاف السليماني - منطقة جيزان -، لذا أجد نفسي ملزماً بذكر أهم البلدان والجبال والأودية في السراه وتهامة وشرق السراه، فالأماكن التي شاهدتها ومررت

بها وأعرفها سوف أذكرها ، أما التي لا أعرف عنها فسوف أرجع لمن يعرفها من سكانها ، أو إلى المراجع العلمية التي تعرضت لها ممن سبقنا إلى هذا المضمار.

وسوف أبدأ بذكر الجهات الشمالية من بداية منطقة غامد وزهران ، بحيث يسهل على القارئ وضع تصور مبسط منذ البداية ولئلا يحدث لبس في أسماء الجهات.

وبالله التوفيق.

تنقسم سراة عسير إلى التضاريس الجغرافية الآتية:

١- سلسلة جبال عسير :

وهي تغطي أجزاء كبيرة من منطقة جبال السروات الممتدة موازية للبحر الأحمر من الشرق وتتكون من الصخور النارية الجيرانيتية، والمتحولة القديمة، ومنها الجبال المستقيمة والمائلة والملتوية والمحدبة، ويتراوح إرتفاعها عن سطح البحر ما بين ٢٠٠٠م إلى ٣٠٠٠م، ويتخللها بعض الأودية الجبلية والمنحدرات الصخرية.

وسكانها مستقرون في قرى ثابتة، وهم أهل شجر ومدر منذ العصور الغابرة.

٢- الجهات الشرقية:

وهي الجهات المائلة من السراه إلى جهة الشرق، وتمتد بشكل طولي من منطقة تثليث وبيشه في الجنوب الشرقي، إلى منطقة تربه ورنية في الشمال الشرقي من السراه، وفيها جبال وهضاب قليلة الإرتفاع عما في السراه، وصخورها بركانية ومتحولة، تتراوح بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠م، وتنبت فيها أشجار الطلح والنخل والأثل، وأغلب سكانها بدو رحل ، ينتقلون في حدود مناطقهم حيث أن لكل قبيلة أملاك معروفة يرعون فيها مواشيهم ولكل قبيلة من قبائل عسير بادية مثل باديه بني شهر، وبادية بين عمرو، وبادية قحطان . . . الخ.

أهم أوديه سراة منطقة عسير:

وادي تربة :

هو واد ينحدر من سلسلة جبال السروات ويبدأ من وادي الصدر في سراة زهران، وينتهي بوادي البقوم - تربة البقوم - في الشمال الشرقي على مسافة ثمانية كيلومترات، ويرفده كثير من الأودية ويلتقي به وادي بيده في (الخياله) وبعض أودية العقيق [١].

ويسير نحو الشرق ماراً بعدة مناطق في السراه ويمر به خط الطائف - أبها عن طريق جسر يبلغ طوله قرابة الكيلو الواحد ، وقد أقيم عليه مشروع ماء إلي مدينة الطائف بواسطة خطوط أنابيب تحت الأرض ، وهكذا يسير حتى ينتهي في الصحراء الشاسعة شرقاً [٢]. وكم لنا من الوقفات فيه .

أقول وهذا الوادى كانت مياهه تسير فوق سطحه وجميع المسافرين إلى أرض الحرمين الشريفين والعائدين منها إلى أرض السراه الجنوبية واليمن يجدون فيه المنظر اللطيف والماء العذب الوفير فيحطون رحالهم حوله للراحة وإعداد وجبات الغداء أو العشاء وكثيراً ما يسبحون في الماء الجاري ، ويعد بحق من الروافد الجيدة جداً لكل السكان القاطنين حوله وتحته، ولعل مياهه تتوفر قليلاً مع استغناء مدينة الطائف من مياه الشعيبه المحلاة والممددة إلي مكة المكرمة ، والطائف .

وادي رنيه :

وادي رنيه من أكبر أودية الجنوب ويبدأ في أسفل قرية الحبيس في

١- المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، علي السلوك ، ص ٥٥ ، ص ٥ . من تقرير مسح إمارة منطقة عسير في شهر جماد الثاني ، ١٤٠٣هـ .

٢- جغرافية المملكة العربية السعودية ، د. عبد الرحمن الشريف ، ص ٩٥ .

بلاد بني كبير ببلاد غامد وترفده عدة أودية أهمها وادي ثراد والعقيق، وبعض الأودية ببلاد خثعم وشمران ويستمر في مضيه نحو الجهات الشرقية حتى يصل مدينة رنية، مركز قبيلة البقوم حيث أقيم فيها على ضفتي الوادي جسر كبير لمرور السيارات، ويستمر سيل هذا الوادي إلى المكان المسمى (الفريض) نهاية بلاد البقوم وبداية بلاد سبيع عند المروة المجاورة للفريض وقامت على أطراف هذا الوادي عدة قرى زراعية، وموارد مائية مثل الفريض، والقرين وهي عين وقعت بجانبها معركة تربة بين الأخوان وقوات شريف مكة، سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م.

ومن الأودية التي ترفد هذا الوادي وادي بطحان بوادي (بيده) شرق زهران والمشهور بحلاوة رمانة وتميزه وقال الشاعر فيه :

رماني الزين من عينه ورمان بيده [١] .

وادي تباله :-

أقول أن اسم هذا الوادي عالق في ذاكرتي - والحمد لله - منذ الأيام المبكرة لسماعه من الجمالة المسافرين الى بيشة لجلب التمر ، والغفرات والقوباء والروشن ... الخ .

وفي أسفاري أثناء كتابة هذا البحث رأيت جهاز قياس السيول في أعلى وادي تباله من جهة بلاد بلقرن ، وبهذا فإن وادي تباله يبدأ من مدرجات بلقرن وبعض أودية شمران السراه ، متجهة نحو بيشة شرقاً .

وقال فؤاد حمزة في مؤلفه - بلاد عسير - أن وادي تباله يصب في وادي

١- في بلاد عسير - فؤاد حمزة ص ٤٨ .
- بلاد زهران - د. محمد مسفر الزهراني ص ١٣ .
- معجم بلاد غامد وزهران - السابق ص ١١٣ .

بيشه عند قرية الصبيحي ويسمى في أعلاه بهذا الإسم إلي أن يصل في سيره إلي منطقة رملية فيها مزارع نخيل وقد زرتها عام ١٤٠٧هـ، لرؤية نهاية الوادي وتغلب عليها الرمال ويتجه هذا الوادي من الغرب إلى الشرق وتسمى هذه المنطقة - الثنية - ومنها يأخذ أهل الجنوب - السراه - الرمل والخرسانة المستخدمة في العمائر المسلحة، وهو من أملاك قبيلة الفزع في خثعم، ويخالطهم بعض من الملاك الآخرين.

وقد قال فيه الشاعر طرفة بن العبد :

رأى منظراً منها بوادي تبـاله　　فكان عليه الزاد كالمقر أو آمر[١].

وادي ترج :

تنحدر مياه هذا الوادي من السراه الجنوبية حتى بيشه عند نخيل الحيفه وكانت تمر به القوافل التجارية القادمة من الجنوب والعكس، وذكره الشاعر بن مقبل في قوله:

جلوساً بها الشم العجاف كأنهم

أسود بترج أو أسود بعتودا[٢].

وتغنى شعراء الجنوب بتلك الجهات في أسفارهم فقال أحدهم:

إني أون ونة بازل شد من المدراء

يعجبك في محاني ترج لما أدرجنا به

وبازل هنا تعني صفة للجمل القوي لنقل الأحمال .

١- في بلاد عسير ، السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

٢- معجم بلاد رجال الحجر - عمر غرامة العمروي ، ص ٤ .

وادي بيشه :

تنحدر مياه هذا الوادي من مرتفعات السراه الجنوبية الشرقية، مثل سراة عبيده ورفيدة قحطان ، وبلاد الحجر وبلقرن وشمران شمالاً، وهو وادي صالح لزراعة النخل، ويسكنه أناس كثير منذ القدم، ويسميه البعض بيشه النخل، ومن قراه مرار، الحيفه، الروشن، الصبيحي، النقيع، الشقيقة، وتسير مياه هذا الوادي حتى تلتقي بوادي رنيه، في مكان يسمى (رغوه) ويرفده أودية مثل وادي ترج، تباله، هرجاب، البطنة، من بلاد غامد[1] . وقديماً قال شاعرهم:

يا مدلين بيشه وانشدك عن النمر فيها

لا يصيد الجمال الحانية والزّم قعودي

ولعل من المناسب ذكراهم جبال سراة عسير مثل:

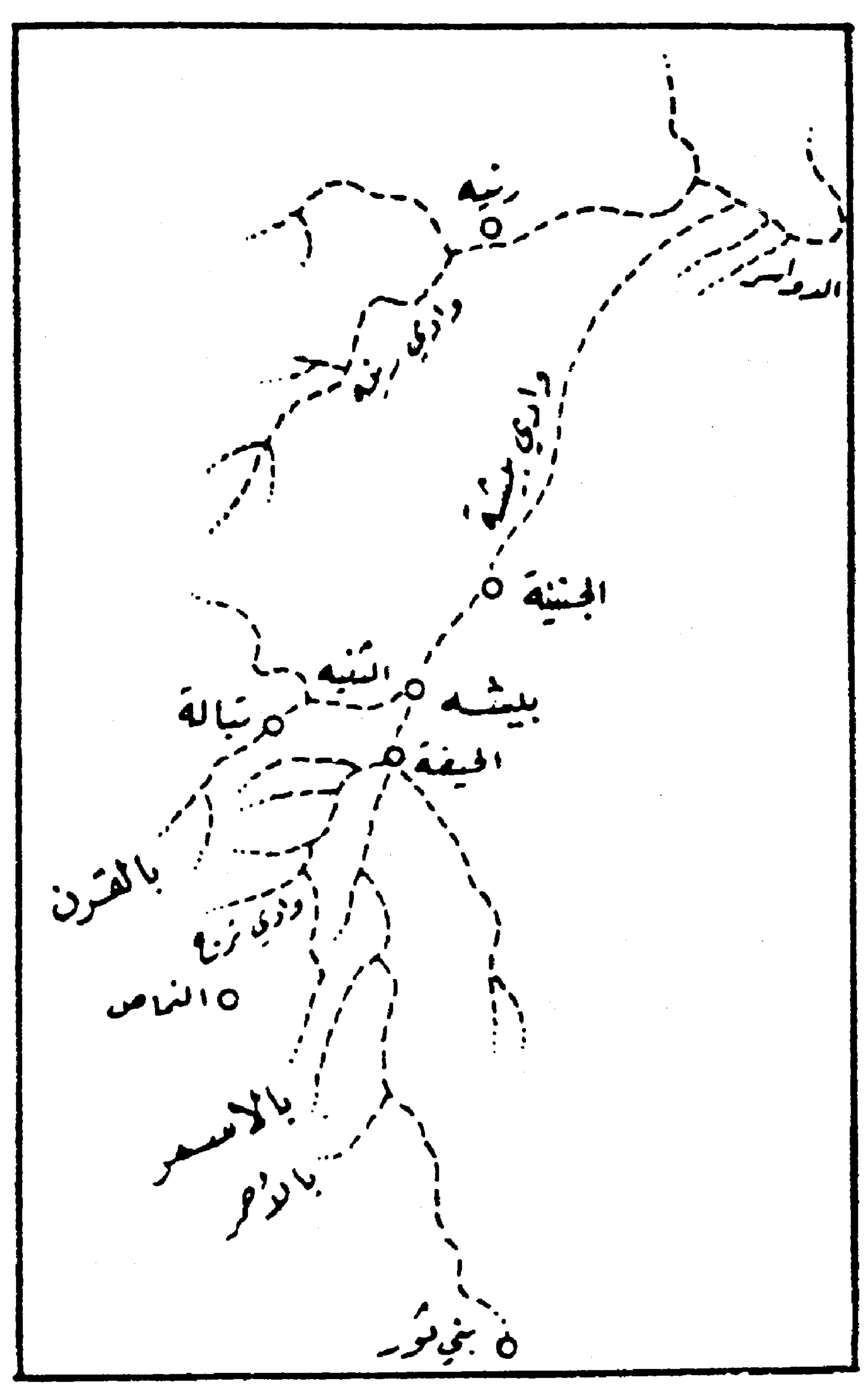
جبل شمرخ والأودية المنحدره منه ويقع شمال منطقة زهران، ويشقه خط الطائف - أبها بكباري على إرتفاع قرابة ستين متراً .

ويليه في الإرتفاع جنوباً جبال البلس والصلبات بمناطق خثعم وشمران وهي جبال شاهقة صلبة الأحجار تنمو فيها أشجار العرعر، والعتم (الزيتون البري) . وأنواع أخرى من الأشجار ، ويشقها كذلك خط الطائف - أبها، وفي سفح جبل البلس الشمالي تتساقط قطرات المياه مشكلةً شلال صغير في أغلب أيام السنة ، وكثيراً ما وقفت أمامه ، وتوجد في قمم جبال البلس قرى لشمران وفيها آبار مياه ومزارع .

وقبله شمالاً جبل أثرب في بلاد زهران ويقال أنه اكتشف فيه معادن وآثار.

أما بقية أرض شمران وبلقرن جنوباً فإن فيها جبال مختلفة الإرتفاع

١- معجم بلاد غامد وزهران - السابق ، ص ٣٧ .



مصور وادي بيشــة
في مجراه الأوسط والاسفل

والإنخفاض لكن ليس فيها جبال شاهقة أعرفها، أما أهم الأودية فيها فهي أودية غابات شبانه، وباشوت ، ووادي تباله الذي تجتمع فيه مياه تلك النواحي إلى بيشه، حيث توجد في أسفلها شرقاً ، نخيل وآبارمأهوله بالسكان .

أودية تهامة منطقة عسير:

تهامة هي المنطقة الواقعة غرب سراة عسير، وتنخفض عن مرتفعات السراه بحوالي ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠م ، وتمتد من حدود منطقة جيزان جنوباً إلي حدود منطقة الباحة وبني مالك شمالاً[١] .

وقد ذكر الهمداني مع كل سراه قوله (غورها) أي عمقها نحو قوله الطائف وغورها مكة[٢]. ويقدر طول تهامة عسير في حدود منطقة جيزان جنوباً، إلى حدود منطقة مكة المكرمة عند الليث شمالاً بحوالي ٤٠٠ كم، وبعرض يتسع في بعض الأماكن إلي ٢٠٠ كم في المناطق الداخلية، إلي ساحل البحر الأحمر، ويضيق إلى ١٠٠، ١٥٠كم.

وتشتد حرارة تهامة في فصل الصيف ويكثر الغبار فيها، وتكون الرياح فيها راكدة أحياناً وتربتها رسوبية وأشجارها قصيرة في الغالب، وتطول في الأودية ومجاري المياه، مثل كظامة ابن (فصيل) في تهامة بني عمرو، وتوجد على سواحلها موانئ القنفذه والشقيق والبرك[٣] .

ويرجع إنخفاض سهل تهامة إلي هبوط الأرض في إخدود البحر الأحمر بطول إنكساري سلمي مزق تلك الأرض منذ القدم ، وفي تهامة أودية وجبال شاهقة مثل جبل شداء بتهامة ، وتشتهر تلك الجبال بزراعه البن والموز والليمون بمدرجاتها .

١- تقرير مسح ، امارة عسير ، السابق ، ٥ .

٢- صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص ١٢٠ .

٣- جغرافية المملكة العربية السعودية ، السابق ، ص ٤٦ .

وتعيش في قممها الوحوش الضارية كالذئاب والنمور وغيرها . ومن أهم أوديتها وادي دوقه، ووادي ناوان، ووادي الأحسبه[1] العريض الطويل المتجه وبقية أودية تهامة نحو البحر الأحمر غرباً، وعلى حواف تلك الأودية في تهامة بشكل عام أقام سكانها منازلهم منذ القدم .

وفي فصل الربيع عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، مررت بأرض تهامة من عقبة تلاع إلى بلاد عبس فإلي تهامة شمران وبلقرن والمخواه ولكنها أرض قليلة الشجر إلا في الأودية . وجبالها جرداء من العشب والأشجار، شديدة الحرارة في الصيف، دافئة شتاءً، وسكانها نحاف الأجسام .

أودية بلاد بارق:

في بلاد بارق بتهامة منطقة عسير عدة أودية منها وادي بقرة، وينحدر من أصدار تنومه وهو الحد الفاصل بين قبائل عسير في تهامة وبلاد بارق في كثير من الأماكن التي يمر بها، وطول هذاالوادي ٨٦كم، ويسيل في وادي حلي بن يعقوب.

وفي تلك الأودية وادي بلال، وادي الجب، وادي حباب، وادي الحمض، وادي خاط الكبير، وينحدر فيه وادي لحف ووادي الغيل المشهور بشجر الموز اللذيد الطعم، وشجر الكادي الزكي الرائحة، وهذا الوادي يسقى من ماء العين الجارية المسماه (عين الخشعه).

وهناك عدة أودية تسيل إلى بارق من سراة عسير مثل وادي شري المنحدر من أعلى شعاف بلاد العوامر بسراة بني شهر ماراً في طريقه بوادي حلي ابن يعقوب حتى يصب في البحر الأحمر[2].

١- بلاد زهران - المرجع السابق ، ص ١١ .

٢- بلاد بارق - عمر غرامة العمروي ص ٢٢ ، ٢٥ .

وادي الأحسبه:

يقع هذا الوادي بتهامة غامد وزهران. وتنحدر مياه هذاالوادي من سراة غامد وزهران، وتهامة بلقرن، ويرفده وادي غامد الزناد ووادي ضبان، ووادي بطاط، وغيرها[١].

وادي دوقه :

يسيل هذا الوادي من جبال بيضان وبني حسن بزهران، ويمر بلدة قلوه، بطول حوالي ١٣٠ كم، ويرفده عدة أودية مثل وادي بحر، والحضن والشعب الشامي واليماني وعدة أودية أخرى حتى تصب في البحر الأحمر غرباً، عند مرفأ دوقة. ويذكر أن حاكم عسير من آل عائض كلف قبائل غامد وزهران بشراء سفينتين لنقل المحاربين من ذلك المرفأ[٢].

١- المعجم لبلاد غامد وزهران - السابق ، ص ١٠١ .

٢- مجلة العربي ، دار اليمامة ، محرم ، صفر ١٤٠٧هـ ، ص ٤٥٧ .

أهم جبال تهامة وسراة منطقة عسير :

جبال بلاد بارق نحو: جبل أثرب ويقع في الشرق من بارق جانب وادي شري الذي يسيل في وادي حلي بن يعقوب، ويرتفع عن سطح البحر بحوالي ١٨٥٠م، وفيه عيون ماء ومزارع، وفي جبال بارق جبل الأضحى والبيضاء والركبة، وريدان، وصعبان، الشعراء، وجبل الفاتح. وتلك الجبال خالية في الغالب من الأشجار بإستثناء جبل (أثرب)[١]، ومن جبال تهامة عسير جبل ضرم بتهامة بلحمر وجبل لنبش والقامة والقوس وشيبان ويسكنها قبائل (بلجدع)[٢].

جبل ثربان: من أكبر جبال تهامة، وتقع شماله وغربه قبائل تهامة بلقرن، وشرقه وجنوبه بعض بني شهر ويقع في الشمال الغربي لبلاد بني شهر ويبلغ إرتفاعه عن سطح البحر حوالي ١٤٠٠م ويمر به وادي (يبه) في تهامه وفيه عيون ومزارع .

قلت :

وجبل الجعد في بلاد بلحمر، وجبل منعاء: ويقع شرق منطقة تنومه بني شهر وقد زرت الثاني حيث يوجد في قمته مزراع وقرى مأهولة بالسكان وفيها مدارس إبتدائية ومتوسطة مزودة بالكهرباء وفيها آبار ماء عذبة قريبة من سطح الأرض غزيرة بالرغم من إرتفاع المنطقة الشاهق وهذا دلالة على قدرة الله تعالى ونعمه التي لا تحصى. و جبل المطلى الذي يشرف على قرى وبلدان بني عمرو الشامية في السراه، وقد وقعت فيه حروب بين الأتراك وبني عمرو عام ١٣٣٢هـ/١٩١٩م، وأقيم في قمته محطة للميكرويف منذ عدة سنوات .

١- معجم بلاد بارق - المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣١ .
٢- معجم رجال الحجر للعمروي ، ص ١١ - ١٢ .

وصخرة حرفة ببلاد بني رافع العمرية، وقمت بزيارتها عام ١٤٠٣هـ.

وجبل اثرب من جبال تهامة بني شهر، ويقع في شمال بلاد بارق على جانبي وادي شري الذي يسيل في وادي حلي بن يعقوب، ويبلغ إرتفاعه عن سطح البحر ١٨٥٠م، وفيه عيون ومزارع[1].

- وجبل بركوك : يقع بأعلى نعص من الشمال الشرقي، ويرتفع عن سطح البحر ٢٠٠٠م، ويشتهر هذا الجبل بوجود الوحوش كالنمور والفهود والضباع والذئاب، وبه مغارات كثيرة ، وتنبت فيه أشجار البن والزيتون البري والعرعر، والقيصوم والحناء، والروائح العطرة مثل الكادي، الريحان، البرك، والذرة والسمسم.

- جبل تهوي: ويقع في تهامة بني عمرو وبني شهر شمال وادي خاط والغيل، وتسكنه عشائر من بني عمرو تهامة وآل حميد من بني شهر تهامه، ويرتفع عن سطح البحر ١٩٥٠م، وتسكنه الوحوش الضاريه ، وفيه أشجار ومياه ومزارع[2].

١- معجم بلاد بارق - المرجع السابق ، ص ٢٩

٢- معجم بلاد الحجر جـ ٣ ، المرجع السابق ، ص٨ .

(أشهر الأودية والجبال في بلاد رجال الحجر)

بيشة

الشمال

بلاد بالقرن

شهران

القنفذة

حلي

بلاد عسير

النباتات والغابات في منطقة عسير:

يمكن تقسيم نباتات منطقة عسير تبعاً لتضاريسها الطبيعية على النحو الآتي:

- نباتات سراه عسير:

قلت:

تنمو في منطقة عسير عشرات الأنواع من الأشجار والنباتات الطويلة والمتوسطة والقصيرة مثل العرعر والطلح والشث والسدر والتالب ، والظهيان والهدال والسرو، والظرم وهو نبات متوسط ذائع الرائحة، والجبر، والتربيظ وهو نبات ملاصق للأرض ويؤكل، وينبت في مجاري الأودية، ونباتات أخرى مثل الحبق، والقصب، وغيره .

ويوجد في السراه عدة غابات كثيفة وارفة الظلال مثل غابات منطقة شيبانه في بلاد بلقرن ، غابات باشوت في بلاد شمران، غابات غامد وزهران، وغابات منطقة شعف تنومه، والسوده، ودلغان والمحالة... الخ .

ونظراً لإعتدال مناخ المنطقة وكثرة الأمطار فيها فإن تلك الأشجار والنباتات تنبعث منها روائح عطرة منعشة جداً تجعل الإنسان المتذوق لجمال الطبيعة يهتز طرباً وشوقاً.

نباتات شرق سراة منطقة عسير:

هي المناطق الواقعة شرق سراة عسير ومناخها يميل إلى الدفيء في فصول الربيع والشتاء، لكنها تزداد حرارتها في فصلي الخريف والصيف. وأشجارها قليلة بشكل عام من خلال مشاهدتي لها في صيف عام ١٤١٤هـ

وجذوع تلك الأشجار قصيرة وتكاد تخلو من الأعشاب والأشجار إلا في بعض الأودية التي يوجد فيها الماء، مثل أودية القوباء ديار قبائل آل جمعه من بني عمرو وما حولها .

ويعيش في المناطق الشرقية عنها النخيل مثل وادي ترج المتجه نحو بيشه حيث قامت على ضفافه منازل بالحارث في البهيم لجريان الماء الدائم .

نباتات غرب السراه :

تهـــامـه :

ويسودها المناخ الحار صيفاً مع الغبار، وفي فصل الشتاء والربيع يعتدل المناخ فيها وفي أوديتها ينبت أشجار السلم، والسدر والتألب والظهيان، أما جبالها فتقل فيها الأشجار .

وقد قمت بزيارة لتهامة بني شهر من بلاد عبس إلى المجاردة فإلي خط جيزان ـ جده ، ماراً بتهامة بلقرن وشمران وغامد وزهران فالليث إلى مكة المكرمة عام ١٤٠٧هـ فإلي جده ثم المدينة المنورة ثم القصيم فإلى الرياض .

المنتجات الزراعية في منطقة عسير:

ويمكن تقسيم الزراعة في منطقة عسير بحسب أقسام المنطقة كالآتي:

١- المنتجات الزراعية في السراه : قلت :

هناك عدة عوامل تحكم النمو الزراعي في كل زمان ومكان، أهم تلك العوامل هي:

التربة ، الماء ، المناخ ، نوعية النبات،... بالإضافة إلى التسميد. وسراة عسير يزرع فيها في فصل الصيف البر والشعير، والعدس، وفي

فصل الشتاء يزرع الذرة والحبش ومن الخضر الفجل، والخس، البصل، والبطاطا. ومن الفواكه التفاح الأحمر والأبيض والعنب، خاصة في المناطق الدافئة نوعاً، وقليل من الخوخ الصغير الحجم، والكمثرة ، ويتداخل فصلي الشتاء والخريف، لكن المنتجات قليلة ، وبسبب كثرة هطول الأمطار في فصل الربيع ودخول الصيف. لحد أنها تستمر عدة شهور. وفي أوقات متقاربة فإن الأعشاب تكثر وتتلاحم الأشجار، وبالتالي تجد الماشية مأكل وفير .

فالمنطقة الجنوبية تعتبر من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية لتربية الأغنام، خاصة في فصل الصيف لوفرة المراعي في السراه وبيشه، ووجود المزارع التي تربى فيها الأغنام النجدية المهجنة .

ومن الجدير بالذكر أن المنتجات الزراعية في منطقة عسير كانت فيما قبل عصر البترول أوفر من الآن ، وذلك لإرتباط السكان بها.

الزراعة في شرق سراة منطقة عسير :

المناطق الواقعة في الجهات الشرقية، من سراة عسير يميل مناخها إلى الدفئ والحرارة لأنها منخفضة، وتعتبر إمتداداً للأجزاء الغربية من صحارى وهضاب المنطقة الوسطى مثل الربع الخالي وصحراء نجد، وهضبة الحجاز .

ويزرع فيها نخيل التمور لذيذة الطعم في منطقة بيشه والمناطق المجاورة لها مثل وادي تباله ووادي الثنيه حيث المياه الجوفيه الغزيرة نظراً لوقوع تلك المناطق في نهاية الأودية الكبيرة المنحدرة من أعالي منطقة الجنوب والغزيرة المياه .

الزراعة في تهامه :

منطقة تهامة يسودها المناخ الحار صيفاً والمعتدل شتاءً مع حدوث عواصف رملية أحياناً.

ومن هنا كانت الزراعة وفقاً لما يسودها من عوامل المناخ، فالمنطقة يزرع فيها الدخن والريشي والسمسم بشكل عام ويزرع في بعض الأودية المعتدلة المناخ والتي تتوفر فيها المياه الحمضيات كالليمون الصغير الحبة وبعض الفواكه والموز اللذيذ الطعم .

وذلك مثل وادي الغيل في تهامة بني عمرو بلدة ـ آل الدهيس المشهورة بإنتاج الموز والكادي، اللذان تغنى بهما الشعراء .

أما في هذا العصر الحديث والحمد لله فقد بدأ السكان الذين يجدون الإمكانيات كالآلات الحديثه والمساحات الزراعية الواسعة وتتوفر لهم مصادر المياه والتربة الصالحة للزراعة، بدأو في إنتاجهم الوفير من حبوب الذرة .

ولكن يقلل من صلاحية الإنتاج الزراعي وجود الأملاح نظراً لقلة الأمطار التي تغسل التربة وتخلصها من الأملاح، يستثنى من ذلك أنواع التربة التي في بطون الأودية لأن المياه تنقلها من مكان لآخر[1].

١- جغرافية المملكة العربية السعودية - د. محمد متولي عام ١٣٩٩هـ ، ص ٢٥ ، ٢٦ .
- الكتاب الاحصائي السنوي - العدد العشرين عام ١٤٠٤ - ١٩٨٤م لدى الباحث .

أهم بلدان ومدن منطقة عسير :-

أبهــا :

ورد اسم أبهـا في صفـة جزيرة العـرب للرحـالة أبي مـحـمـد الحـسن الهـمداني ، ويقال أن فـيها قـبرذي القرنين ، وكـانت عبارة عن قرى ومنازل على حواف وادي أبها ، التي منها قرية مناظر والقابل .

وفي عـام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م اتخذ الأمـير محمد بن عامر أبو نقطه - طبب - عـاصـمة لإمارته، ولما تولى سعـيد بن مـسلط المتحمي الإمارة اتخذ قريته - السقا - عاصمة لإمارته عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

وفي عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م اتخذت أبها مركزاً لإمارة علي بن مجثل منذ إنشائه قلعة المفتاحه[١].

وتتـالت عليهـا الإمـارات اللاحقـة ونمت أحيائهـا وزاد سكانهـا منذ ذلك التاريخ حتى أصبحت مدينة متكاملة كما نشاهد الآن .

ومن أهم معـالمها قصر شداء الذي اتخذ قصـراً لعدة إمارات ، وشـيدت في أبها الحصون والقلاع الحربية .

خميس مشيط :

تقع شرق مدينة أبهـا ، وفـيهـا حركة تجارية وعمـرانية وثقـافيـة، وتعـتبر إمتداداً لأبها من حيث طرق المواصلات والخدمات البلدية ، وزادت أهمـيتـهـا منذ بداية العـهـد السـعـودي حـتى الآن، ويـقـع قـربهـا مطار أبهـا ، والقـاعـدة العسكرية لمنطقة الجنوب .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - هاشم النعمي ، ص ٧ و ٨ .

محايل :

أسسها القائد التركي الفريق محمد رديف باشا عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، أثناء زحفه نحو أبها وبها عدة قلاع، وفيها حركة تجارية وعمرانية وثقافية، وبها المرافق والخدمات الحكومية .

النماص :

تقع وسط بلاد بني شهر وأرضها مستوية واتخذها الوالي التركي رديف باشا مركزاً للحكومة عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ويمر بها طريق الحجيج من الجهات الجنوبية، ومنذ بداية العهد السعودي اتخذت مقراً لإمارة بني شهر وبني عمرو، وأصبحت من أكبر مدن عسير بعد أبها، وخميس مشيط، وفيها عدة حصون وقلاع جيده من المباني الحجرية .

العلاية :

تقع جنوب مدينة الطائف بحوالي ٣٨٠ كم، وتعتبر مركزاً لإمارة بلقرن وبها حركة تجارية طيبة، وعمرانية وتعليمية ، وبها جميع المرافق الحكومية.

ومن بلدان عسير بتهامة بارق، والمجاردة، وقنا والبحر وفي الشرق مدينة بيشه وأحد رفيده في الجنوب الشرقي من خميس مشيط .



حصـــون العسابـلة بالنماص

منطقة عسير في التاريخ

يعرف اقليم عسير في الأزمنة الغابرة بمخلاف (جرش)[١]. ويقال أن بني منبه بن اسلم سكنوها فغلبت على إسمهم، وهو جرش[٢].

وحينما وصلت أخبار النبي (ﷺ) إلى أهل عسير سارعوا للوصول إليه بالمدينة المنورة في السنة ٩هـ/ ٦٣٠م، وسمي ذلك العام بعام الوفود، وكانوا بقيادة صرد بن عبد الله الأزدي[٣].

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ج٢ ، السابق ، ص ١٣١ .
٢- شبه جزيرة العرب - عسير - محمود شاكر ، ص ١١٨ .
٣- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحاله ص ، ١٥ - ١٨ .

وقصة وفود الأزد مشهورة في التاريخ هذا ولا تزال بعض آثار صدر الإسلام ماثلة العيان بعسير، منها مسجد المسقى المبني عام ٧٠هـ ، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ومسجد آل يزيد الذي أنشئ عام ١٦٨هـ [١] .

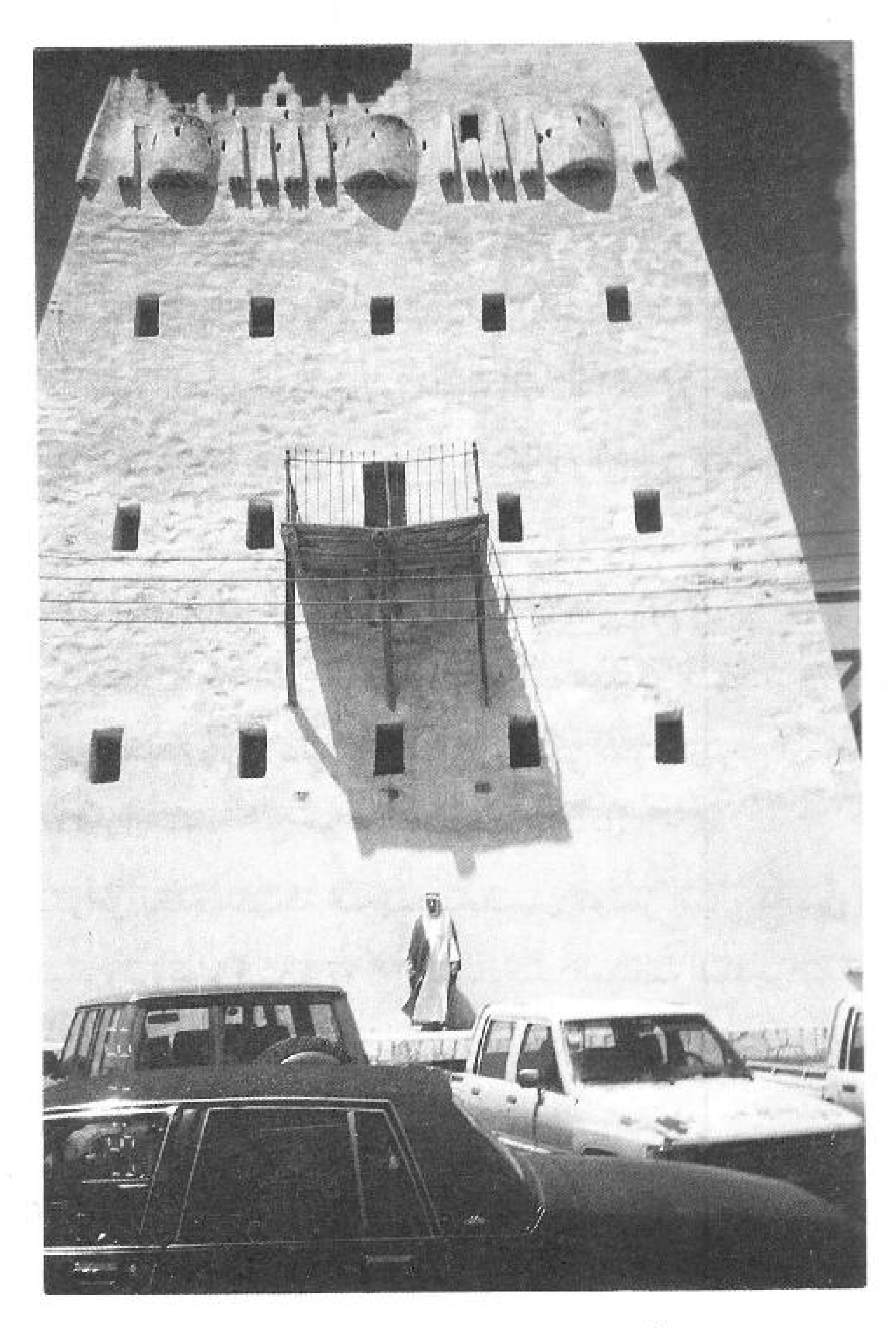
ومنذ دخول سكان عسير الدين الإسلامي كانوا تابعين لإدارة العهد النبوي بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان عبد الله بن ثور والياً على جرش وطلب منه الصديق مقاتلين ليشاركوا في حروب الردة فأمدهم بذلك ، وبقي في إمارته طيلة عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما[٢].

وكان لأبرز رجال عسير مشاركة فعالة في الفتوحات الإسلامية، فقد قاتل جماعة منهم تحت لواء السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سنة ٣٦هـ، فقتل منهم في موقعة الجمل ٢٠٠٠ رجل، وقيل ١٣٥٠ رجلاً، وقاتل فريق مع علي بن أبي طالب، وفريق مع معاوية، وبايع جماعة منهم عبد الله بن الزبير، وحاربوا مع عماله في عدة مواقع حربية، أثناء خلافته على الحجاز ومصارعته الأمويين. وقوي شأن الأزد بقيادة المهلب الأزدي وأسرته، وكانوا في ميمنة الجنيد بن عبد الرحمن سنة ١١٢هـ، لقتال الترك في طخارستان، ولما التحمت المعركة لجأ الجند تحت راية الأزد فقتل منهم رجال كثيرون ، وفي سنة ١١٩هـ غزا بهم أسد بن عبد الله الختل الترك فقاتلوهم قتالاً شديداً[٣] .

١- اخبار عسير - عبد الله بن مسفر ، ص ٢٦ .

٢- شبه جزيرة العرب - عسير - محمود شاكر ، ص ١٢٠

٣- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، السابق ، ص ١٥ ، ١٨ .



صورة المؤلف أمام حصن شداء بأبها في شهر صفر عام ١٤١٤هـ

الفصل الثاني

نسب العثمانيين

ينتسب العثمانيون إلي جدهم عثمان خان بن ساوجي بك ابن ارطغرل بك بن سليمان شاه بك بن قيا آلب رئيس قبيلة قابي بآسيا الوسطى .

وحينما اجتاح التتار بلاد المسلمين هاجر سليمان شاه من وطنه (ماهان) بقبيلته في القرن السابع الهجري إلى مدنية (اخلاط) لكنهم هجروها أمام زحف التتر إلى، اذربيجان، ولما أراد هو وقبيلته الرجوع إلى وطنهم الأصلي وقع سليمان شاه غريقاً في نهر الفرات .

فتولى رئاسة القبيلة بعده ابنه ارطغرل، فصار بهم إلى - ارض روم - بالأناضول وهاجموا فرقة من التتر كانت تحارب عساكر السلطان علاء الدين السلجوقي فكافائهم بمدينتي - طومانيج واسكي شهر- وتوفي ارطغول بك سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، عن عمر يناهز التسعين عاماً.

فترأس بعده القبيلة حفيده - عثمان كوندز آلب ، فأسس الدولة العثمانية، وفي عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م انقرضت السلطنة السلجوقية ، بموت السلطان علاء الدين السلجوقي، في قونيه، فبايع وزرائه عثمان الذي اتخذ من بكر شهر عاصمة له[١].

والجدير بالذكر أن الخليفة العباسي هارون الرشيد تزوج امرأة تركية انجبت له محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور أبا اسحق (المعتصم بالله) سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م .

١- الدرة البهية في فضل العرب ومآثر الدولة العلية / عبد الحميد ، ص ٢١ .

ولما شب وترعرع تولى في عهد أخيه المأمون الشام ومصر وولاية العهد وأوصى المأمون له بالخلافة بعده، لقوته وشجاعته .

ولما تولى المعتصم بالله الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون قرب الجند التركي الذين كانوا مماليك في الجيش وأدخلهم الخلفاء العباسيين لخدمة البلاد فعظم شأنهم حتى طغوا على العنصر العربي أخوال وجند الخليفة الأمين بن هارون الرشيد ، وعلى العنصر الفارسي أخوال وجند الخليفة المأمون .

وكان المعتصم رجلاً مهيباً شديد البأس، قوي الجسم، شجاعاً، فيقال أنه كان يكسر زند الرجل بين اصبعيه، وكون من الأتراك جيشاً قوياً، استطاع أن يفتح به عمورية ملبياً صرخة المرأة العربية بقولها. وامعتصماه. ويغلب قوة ملك الروم توفيل بن ميخائيل الذي اضطهد المسلمين في عمورية وقتل رجالهم وسبأ نسائهم لأكثر من ألف إمرأة. وبهذا سار المعتصم بالله ـ الله يرحمه. إلى (زبطره) ومنها إلى عموريه وهزم أعداءه وسلموا له وأعطوا الجزية (عن يد وهم صاغرون). ثم عاد إلى طرسوس، ومنها إلى سامراء في يوم مشهود حياه الشاعر أبو تمام بقصيدته الشهيرة التي مطلعها[1]:

السيف أصدق انباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقد قرب المعتصم الأتراك منه، واشتهر منهم قادة أقوياء مثل افشين واشناس ووصيف وايتاخ لكنهم لم يخلصوا لدولة المعتصم فقد تآمروا مع العباس بن المأمون بن هارون الرشيد على قتل المعتصم .

لكن المعتصم علم بذلك وأمر بقتل جميع المتآمرين ضده وحبس العباس حتى مات، وعمل على إذلال قادة الأتراك حتى أذعنوا صاغرين

١- تاريخ مكة - للسباعي جـ ٢ ، ص ٣٤٠ .

وفي ١٨ ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م توفي الخليفة المعتصم على أثر مرض عن عمر بلغ ثمان وأربعين سنة، وحكم ثمان سنوات وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية أولاد، وثمان بنات[1] .

وخلفه ابنه هارون أبو جعفر الملقب (الواثق بالله)، مستمداً بعض قوة أبيه لكنه لم يستطع إخضاع قوة الأتراك حيث قتلوه وتسلموا السلطة في الوقت الذي قامت دويلات صغيرة وإمارات في أنحاء العالم الإسلامي منذ بداية العصرالعباسي الثاني سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م .

وذلك مثل الدولة الأموية بالاندلس التي أسسها عبد الرحمن بن هشام الأول، سنة ١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦ - ٧٨٨م، والدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر سنة ٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م، وغيرها مما لايتطلب ذكره في هذا المقام .

وقد تولى الخلافة من العثمانيين اثنان وثلاثون سلطاناً، كان أبرزهم السلاطين التالي ذكرهم :

السلطان أورخان الأول، الذي حكم مدة ٣٥سنة من عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، وكان حليماً عادلاً .

السلطان بايزيد الأول، الذي تولى الحكم وعمره ثلاثين سنة عام ٧٩١هـ - ١٣٨٨م، وكان سريع الحركة الحربية على الأعداء، وحارب تيمور لنك، ولكنه وقع في أسره، وتوفى .

السلطان محمد خان بن مراد الثاني الملقب ـ الفاتح ـ تولى الملك سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، وحكم مدة ٣١عاماً، وعاش مدة ٥٣ عاماً قيض الله على

١- جريدة الشرق الأوسط عدد ٤٨١٦ في ٤/٢/١٩٩٢م، ص ٨
- نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية جـ١، د. عبد العزيز اللميلم، ص ٣٥٩ .

يديه فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية [1]. حيث جمع أكثر من مأتين وخمسين ألف مقاتل لفتح أكبر معقل للدولة البيزنطية التي طالما حاول المسلمون فتحها منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولما تم ذلك لمحمد الفاتح حول كنائسها إلى مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى .

السلطان بايزيد الثاني، وقد تولى الحكم سنة ٨٨٦هـ /١٤٨١م، وعمره خمس وثلاثين سنة، وحكم مدة إحدى وثلاثين سنة في العاصمة الآستانة، وعاش مدة ٦٧سنة [2].

السلطان سليم الأول، وتولى الملك سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، وعمره ٤٦ سنة، وكان مشهوراً بالشجاعة وحب الحرب محباً للجيش، قاد حروباً كثيرة أهمها ، فتح الشام على أثر معركة -مرج دابق- سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م ، ضد المماليك ودخل مدن الشام ثم تلا ذلك دخوله مصر سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وولي عليها خيري بك على إثر معركة الريدانية .

وعلى إثر ذلك أرسل الشريف بركات أمير مكة المكرمة ابنه ابانمي بمفاتيح الكعبة الشريفة إلى السلطان سليم الأول وكتاب المبايعة بالولاء والطاعة مع بعض الهدايا وذلك بتاريخ ١٣ جمادي سنة ٩٢٣هـ الموافق شهر آب ١٥١٧م ، فاستقبله السلطان خير إستقبال وأكرم ضيافته وأعطاه منشور إمارة مكة لوالده مع بعض الهدايا ورتب لهم ولأهل مكة هبات وأعطيات سنوية ورجع أبونمي إلى مكة المكرمة في شهر رجب من العام نفسه ، وقد توفى السلطان سليم سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م [3].

١- تاريخ الدولة العثمانية العلية ، ابراهيم بك حليم ، ص ٣٦ ، ٦٤٠ .
- الدره البهيه في فضل العرب ومآثر الدولة العلية ، عبد الحميد الشافعي ص. ٢١ .
٢- تاريخ الدولة العثمانية العلية ، ابراهيم بك حليم ، ص ٧٠ .
٣- امراء مكة في العهد العثماني - اسماعيل حقي اوزون ، ص ٣٠ - ٣١ .

السلطان سليمان القانوني الأول، تولى السلطنة سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م بعد وفاة السلطان سليم وفي عهده جمعت الدول الأوربية خمسمائة وثلاثين سفينة حربية ضد الدولة العثمانية، لكن السلطان جمع قوة بحرية أحرزت ـ بإذن الله ـ النصر ضدهم .

السلطان سليم خان الثاني، تولى السلطة سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م ووسع نهر ولفا ودحر الروس المعارضين لذلك .

السلطان محمود عدلي الثاني بن عبد الحميد الأول، تولى الملك سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م وعمره ٢٤ عاماً ، وحكم مدة ٣٢ سنة، وكان يسير على نهج السلطان سليم، وفي عهده قتل أغلب المماليك سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م. وزادت قوة محمد علي باشا والي مصر وأظهرالعداوة للدولة العثمانية[١] .

وإن عدم ذكري لكافة سلاطين ال عثمان في مبحثي البسيط هذا لا يعني قلة أهمية من لم أذكر ، لكن خصوصيات البحث تتطلب ذكر نَسَبْهُم وخاصة السلاطين الذين تولوا الحكم ابان غزو قواتهم لأرض الجزيرة كافة وعسير خاصة .

السلطان عبد المجيد الأول بن محمود ، تولى السلطنة سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وعمره ١٨سنة، ومدة حكمه ٢٢ سنة ، وكانت الحرب قائمة بين الدولة ووالي مصر محمد علي باشا ، لكن السلطان جهز له قوة غلبته في الشام ولبنان سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م في الوقت الذي شكا السلطان أمره إلى الدول الأوربية فحدت من سلطاته وأمرت بسحب قواته من بلاد العرب والشام

١- امراء مكة في العهد العثماني - اسماعيل حقي اوزون ، ص ٣٠ - ٣١ .
- تاريخ الدولة العثمانية العلية - المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ .

وأن يحصر في مصر ، وذلك بموجب اتفاقية لندن عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ، وتوفي السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م[1].

السلطان عبد العزيز ، تولى الملك سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، ولمدة خمس عشرة سنة، زار خلالها مصر لتأكيد سلطة الدولة عليها. واهتم بالقوة البحرية وأحدث إشارات النيشان للدفاع. ولكن القوات البحرية شاركت في خلع السلطان عبد العزيز من الحكم حيث تألبت ضده قوى الشر وأصدرت فتوى في يوم الثلاثاء ٧ جمادي الأول عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م بخلعه[2]. وفي عهده سيطرت الدولة العثمانية على عسير وقتل أميرهم محمد بن عائض وأسر قادتهم إلى أستانبول سنة ١٢٨٩هـ .

السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد ، تولى السلطنة في يوم الخميس الموافق الحادي عشر من شهر شعبان ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وبالرغم من أن والده هو أول خليفة عثماني يأخذ بالتنظيمات الغربية، إلا أنه كان محافظا على ممتلكات المسلمين، معارضاً فكرة اليهود في إنشاء وطن لهم بفلسطين .

وفي ١٣ إبريل ١٩٠٩م دبر جماعة الاتحاد والترقي ومن والاهم من المستعمرين خطة إضراب كبيرة في استانبول عرفت باسم حادث (٣١ مارس) تحرك على إثر ذلك عسكر الإتحاد والترقي من سلانيك ودخلوا استانبول وعزلوا السلطان عبد الحميد الثاني من سلطاته المدنية والدينية ووجهت إليه بعض التهم منها : أنه المدبر لحادث ٣١ مارس وإحراق بعض المصاحف القرآنية، وهذا في رأيي لا يصدر من خليفة للمسلمين، وإن إلصاق

١- تاريخ الدولة العثمانية العلية - المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

٢- تاريخ الدولة العثمانية العلية - السابق ، ص ٢٢٠ .

هذه التهمة به كان القصد منها تشويه سمعته لاغير .

ومن المكلفين بذلك، إيمانويل قراصوا اليهودي من أسبانيا، وهو محامي، ونائب عن سلانيك مرة ومرتين عن استانبول، وارام الأرمني في مجلس الأعيان بالدولة، وأسعد طوبطاني الألباني، وعارف حكمت/فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وبهذا للأسف . تحقق منال اليهود وسعى لهم هرتزل رئيس الجمعية الصهيونية .

والمراجع التاريخية أوردت أفكار السلطان عبد الحميد بأنه كان معارضاً تماماً لأفكار اليهود ومنها قوله (نكون قد وقعنا قراراً بالموت على إخواننا في الدين)، وقال: لا يريد الصهيونيون الإشتغال بالزراعة فقط في فلسطين بل أنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين لهم، وأني أفهم جيداً معنى تصوراتهم الطامعة هذه، وأنهم لسذج إذا تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه[1].

قلت : وبخروج الدولة العثمانية مهزومة مع المانيا أمام الدول الأوربية في الحرب العالمية الأولى ، وتآلب عناصر الجمعيات الصهيونية للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، أفل نجم الخلافة العثمانية الإسلامية بعد حكم استمر من عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م الموافق لنهاية الخلافة العباسية إلى عام ١٣٢٤هـ/١٩١٥م، سادت العالم خلال تلك الحقبة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. وهذه مقادير الله في خلقه، له مايشاء في عالم الفناء ، وله جلت قدرته البقاء ، وما سواه فاني، لقوله تعالى : { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }

١- مذكرات السلطان عبد الحميد - ترجمة وتحقيق محمد حرب ، ص ٥ - ٧ ، ١١ .

الأتراك والجزيرة العربية :

يرجع اتصال العثمانيين بمكة المكرمة إلى السلطان محمد الأول الذي أرسل مبلغاً من المال لتوزيعه على فقراء الحرمين الشريفين، واستمر ابنه مراد الثاني عام ٨٢٤ هـ/ ١٤٢١م في ترتيب الصدقات لفقراء الحرم المكي، واستمرت العطايا من أمراء آل عثمان إلى أمراء مكة المكرمة ، منذ عهد الشريف محمد بن بركات والد الشريف بركات[١] .

وكان الشريف بركات والياً على مكة المكرمة وهم يدعون لسلطان الشراكسة ـ الغوري ـ بمصر ، وفي عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وصلت أخبار فتح العثمانيين لمصر وتغلبهم على المماليك إلى مكة ، فأرسل الشريف بركات إبنه (أبانمي) بهدايا وخطاب الولاء والطاعة إلى السلطان سليم الأول الذي أقره على الشرافة .

ورتب له السلطان نصف واردات مكة وجده، وظل يرسل الهدايا من مصر إلى أعيان مكة وأمر بتوزيع مقداراً من المال والقمح على فقراء مكة حتى ظلت تكفي لمعاش أهل مكة من العام للعام، فضلاً عن كسوة الكعبة سنوياً[٢].

وفي عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م بلغت الدولة التركية ـ بزعامة السلطان سليمان بن سليم القانوني ـ اوج مجدها وأنشأت إسطولاً لغزو الجزيرة العربية ونشر الدين، ومحاربة النصارى[٣].

وكانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها مسئولة عن الخلافة الإسلامية، وإن أي حركة تقوم في أصقاع العالم الإسلامي مخالفة لمبادئها وشقاً لعصى طاعتها .

١- تاريخ مكة - أحمد السباعي ج ٢ ، ص ٣٤٠ .
- امراء مكة المكرمة في العهد العثماني - السابق ، ص ٢٥ .
٢- تاريخ مكة - السابق ، ص ١٩٦ ، ٣٤٣ - ٣٤٨ .
٣- اليمن عبر التاريخ - أحمد حسين شرف الدين ، ص ٢٥٥ .

ولما كان ولا يزال للحرمين الشريفين الأهمية البالغة في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لكونها مهبط الوحي وقبلة المسلمين ومجمع أفئدتهم جميعاً، ولوقوع الجزيرة العربية على منافذ مائية هامة، جعلتها محط أنظار الطامعين منذ القدم، ولإستياء الدولة العثمانية وخوفها من الحركة الإصلاحية التي انتهجها الشيخ محمد عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وساندها آئمة آل سعود، ودخول القوات السعودية من نجد وعسير مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وابنه سعود[١] لإصلاح أمور الحجاز، منها تسوية بعض القبور المرتفعة، فقد رأت الدولة العثمانية أن سيطرتها على الحجاز يضمن بقاء سلطتها على العالم الإسلامي، ولما كان محمد علي باشا قد هيمن على حجم القطر المصري وأصبح يشكل. في نظر الدولة العثمانية ـ خطراً كبيراً يكاد يفوق بعض الأخطار التي تهدد كيانها من الخارج، فقد أصدر السلطان العثماني محمود الثاني عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م فرماناً إلى محمد علي باشا يقضي بوجوب تجهيز قوة ضاربه إلي الجزيرة العربية [٢].

ولعلنا لا نخطئ القول إذا جعلنا النقاط التالية بعض الأسباب التي جعلت الدولة التركية تعمد إلى ذلك : ـ

١ - إيقاف الزحف الأوربي الإستعماري الذي يرجع إلي محاولة اليونان فتح الحجاز بعد إستيلائهم على الشام ومصر، وكرر الرومان تلك المحاولة

١- الظل الممدود - تحقيق د. عبد الله بوداهش، ص ٣٥.

- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - السابق، ص ١٤.

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ج٣ السابق، ص ١٤٧.

بالتحالف مع الحبشة لبناء كنيسة في صنعاء، لكنهم أخفقوا في ذلك [١].

وقد واصل الصليبيون بقيادة ارناط أمير الكرك اعتداءاتهم على موانئ البحر الأحمر بهدف الإستيلاء على الحرمين الشريفين ونبش جثمان الرسول (ﷺ). ونَقْلَهْ إلى أرض الصليبية لفرض إتاوات على المسلمين أثناء زيارتهم له [٢]. وفي أوائل القرن العاشر الهجري اتجهت أنظار البرتغال إلى كشف جغرافية العالم العربي فأبحرت سفنهم تشق عباب البحر إلى أن وصلوا (هرمز) وأخذ بعض سفن المسلمين، لكن السلطات المملوكية طاردتهم[٣].

٢ - شعورالدولة العثمانية بتزايد خطر محمد علي باشا حاكم مصر حيث أنه انفرد بحكم القطر المصري عن حياض الدولة وأصبح يشكل خطراً عليها مما جعلها تهاب جانبه أكثر من أي خطر خارجي، فقد امتلك قوة من جند الألبان والمصريين والترك، وبهذا قررت التخفيف من حدة قوته، إن لم تستطع القضاء عليه[٤]، فزجت به إلى الجزيرة العربية حيث قتل جيشه واستنفذت قوته .

٣ - زيادة قوة السعوديين في الجزيرة العربية ودخولهم أرض الحرمين الشريفين وتجديد الدعوة الإسلامية الوهابية، وخروجها إلى الشام في أرض العراق وسوريا.

٤ - شعور الدولة العثمانية وإحساسها بقوة سلطتها ومسئولياتها تجاه

١- الدولة العثمانية - وغربي الجزيرة العربية - السابق ، ص ١١، ١٢ .

٢- بلاد الحجاز - د. سليمان مالكي ، ص ٤٤ ، ٤٩ .

٣- البرق اليماني في الفتح العثماني - قطب الدين محمد النهروالي ، ص ١٧ ، ١٨ .

٤- عسير - علي أحمد عيسى عسيري ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

العالم الإسلامي على إعتبار أنها الدولة الأم، وأن أزمة ومقاليد الخلافة الإسلامية مركزة فيها، وبيدها وأنها لابد من سيطرتها السيطرة التامة على مقاليد الأمور في أرجاء العالم الإسلامي، وأنها تعتبر أن إنفراد أي إمارة في أي قطر من بلاد المسلمين يعد ثلمة في حقها وأنه يحدث هزة لكيانها الكبير، ولا يؤدي إلي حيازة رضا السلطنة العثمانية الممثلة في السلطان بعاصمته (استانبول)، لذا فإن السيطرة على الحرمين الشريفين يكسبها مهابة واحترام المسلمين أجمعين لأنه مجمع أفئدتهم ومحط أنظارهم[1] .

٥ - مما لاشك فيه أن أي دولة تنظر الى مدى تحقيق مكاسبها من ولاياتها التابعة لها فالدولة العثمانية هدفت إلى إمتصاص خيرات الجزيرة العربية باستحصال زكاة أموالها وثمارها فضلاً عن المواشي والأسلاب التي كان جندها يغتصبونها من أيدي أهل الجزيرة العربية .

وفي عام ١٢٢٠هـ ١٨٠٥ عمت الفوضى القطر المصري بسبب تأخر رواتب الجند، وكان محمد علي باشا رئيساً لفرقة عسكرية من جماعته الألبان ضمن الجيش التركي بمصر، ووقعت بعض الفتن فأخمدها محمد علي، فكتب قادة القطر المصري إلى السلطان العثماني في (استانبول) بجعله حاكم مصر، مما أثار غضب المماليك وجعلهم يستنجدون بالإنجليز للتوسط في الموضوع ، فسارعوا بإرسال إسطولهم في البحر المتوسط حتى رسى في الأسكندرية[2]. ولكن محمد علي بقوة المصريين انتصر على الإنجليز .

١- تاريخ المملكة العربية السعودية ، الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، ص ١٨٦ .

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٨ .

وفي ذي القعدة من عام ١٢٢٢هـ/ديسمبر١٨٠٧م أصدر السلطان محمود خان الثاني فرماناً إلى محمد علي باشا يقضي بتوليه حكم مصر[١] . فكان أول عمل قام به أمر بإقامة حفل لتسليم ابنه طوسون باشا الفرمان والسيف المهدى إليه من السلطنة لحرب العرب وقتلهم. ودعى إلى ذلك الحفل رؤساء المماليك وبمجرد دخولهم القلعة أطلق عليهم جنود مصر الرصاص وقضوا عليهم وعلى دورهم جميعاً[٢] ، وبهذا أصبح هم محمد علي تجهيز قوات لحرب العرب بعد أن تخلص من منافسيه في مصر وهم المماليك الذين كانوا قد استعادوا قوتهم في مصر سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، بعد أن تغلب عليهم الأتراك بقيادة السلطان سليم الثاني، كما سلف .

لاشك أن الحرمين الشريفين قبلة المسلمين ، وأن أي حكومة إسلامية تتولى الخلافة كانت ترغب السيطرة على أرضهما لكسب الرأي الإسلامي العام ، والتشرف بخدمة الحرمين، وللطمأنينة على أداء رعاياها لفريضة الحج، فبعد أفول نجم الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، أخذ كل قطر من العالم الإسلامي في الإستقلال بحكم نفسه رغم محاولة الخلافة العثمانية السيطرة على ذلك .

ولما كانت الدولة السعودية الأولى منطلقة من مبدأ تجديد الدعوة الإسلامية التي نادى بها الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله والتي انتشرت في أنحاء الجزيرة العربية، وأخذ طلائع جيشها يصل إلى الشام زمن الإمام عبد العزيز بن محمد في العشرينات من القرن الثالث عشر، ذلك أن

١- تاريخ العثمانية العلية - السابق ، ص ٤٠٦ .

٢- تاريخ العثمانية العلية - السابق ، ص ٤٠٦ .

الدولة السعودية ترى أنها أحق بحمل لواء العالم الإسلامي وخدمة الحرمين الشريفين ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، وأن وجود أمراء الأشراف في الحجاز كان مجرد جسر عبور لغزوات المماليك والأتراك لأرض الجزيرة العربية، بدليل تواطئهم معهم والسير مع سرايا غزواتهم إلى نجد وإلى عسير و جنوب الجزيرة العربية .

ومن هنا نشب الخلاف وقامت الحروب بين الطرفين منذ بداية دخول الأتراك أرض الحجاز، زمن الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز (١٢٢٩ - ١٢٣٤هـ) (١٨١٣ -١٨١٨م)، ففي سنة ١٢٢١هـ/١٧٠٩م قدم عبد الله العظم باشا دمشق من قبل الدولة العثمانية لأداء فريضة الحج لذاك العام قائداً لحجاج الشام فأمر الإمام سعود بن عبد العزيز بمنعهم من الوصول إلى مكة المكرمة خوفاً من تآمرهم مع الشريف غالب أمير مكة المكرمة ضد السعوديين، ولم يحجوا ، فعزلت الدولة العثمانية عبد الله العظم وعينت بدله يوسف كنج، ولكنه لم يقم بأي عمل عسكري ضد السعوديين بالرغم من إلحاح أوامر السلطان [١] .

وأصبحت الدولة العثمانية تنظر إلى السعوديين بعين الحذر على أنهم من أكبر العقبات أمامها ، وبعد أن أوعزت الدولة التركية إلى حاكم مصر محمد علي باشا وذلك بصدور فرمان من السلطان (محمود الثاني) في عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م بوجوب غزو ابنه طوسون الجزيرة العربية، فقد أمر محمد علي بتجهيز حملة عسكرية بقيادة ابنه طوسون وذلك في

١- تاريخ المملكة العربية السعودية ، السابق جـ ١ ، ص ١٦٣ .

عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م[١] ، وتم بناء اسطول بحري من ثمان وعشرين سفينة لنقل عدد من الجنود قوامهم أربعة عشر ألفاً (١٤٠٠٠)[٢]. ودخلوا مكة في محرم ١٢٢٨هـ/١٨١٣م ، ومنه زحفوا بمعداتهم ومدافعهم وذخائرهم إلى المدينة المنورة[٣] . وقد اتفق الأتراك مع الشريف غالب بن مساعد على القضاء على قوة الدولة السعودية الأولى ولاغرابه فالشريف كان يشن الغارة تلو الأخرى ضد السعوديين في نجد ومن يساندهم من أمراء عسير جنوباً[٤].

وقيل أن قوات محمد علي لما دخلت الحجاز فإن الشريف غالب تصدى لهم بقوته ثم تراجع إلى جده أمام زحفهم وأنه كان يظهر الطاعة والولاء للإمام سعود بن عبدالعزيز ثم رجع إلى مكة المكرمة، ولما خرج محمد علي باشا فيما بعد لقيادة قواته بنفسه لإحراز النصر تحول غالب من ولائه للسعوديين واستقبل محمد علي بكل ترحاب ولكنه كافأه بالقبض عليه وأولاده وإرسالهم إلى مصر أسارى سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م ، ثم إلى الآستانة فسنلانيك حيث توفى سنة ١٢٣١هـ/١٨١٥م، ونصب مكانه ابن أخيه يحى بن سرور[٥].

ولما كان الهدف الكبير لقوات طوسون هو القضاء على عاصمة السعودية الأولى الدرعية. فقد اتجه بقواته نحوها ، فتأهب الأمير عبد الله بن سعود وقابلها في قوة ضاربه من رجال نجد قوامهم ثمانية عشر ألف مقاتل(في الخيف بوادي الصفراء) غرب بدر وفيهم ثمان مائة فارس جعل

١- اخبار عسير - عبد الله بن مسفر ، ص ٦٨ .

٢- قافلة الزيت - مجلة شهرية تصدرها شركة ارامكو السعودية شعبان ١٤٠٨هـ ، ص ١١ .

٣- اخبار عسير - السابق ، ص ٦٨

٤- مجلة العربي جـ ١١ ، ١٢ - دار اليمامة ص ٨١٠، ٨١١ .

٥- الظل الممدود - السابق ، ص ٦١ .

قيادتهم لأخيه فيصل بن سعـود، وكان ذلك في أواخر ذي القعدة في عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ودارت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام. وإذا أردنا أن نقارن بين القوتين من حيث السلاح والعتاد والذخائر وكثرة أو قلة المال فإن البون شاسع، فالأتراك مزودون بالسلاح الحديث ومدافع ورشاشات وذخائرها وفرسانهم بكل تأكيد يفوقون في العدد فرسان السعودية لأنهم مدعومون من قبل الدولة (العثمانية) التي تمتلك زمام العالم الإسلامي عامة ومعظم أجزاء أوربا[١].

ولا أدل على صدق رواية أخبار تلك الحرب مما أورده ابن بشر من رواية المشاهد الثقة الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ورواها عمن شاهدها الشيخ/عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، فقال الأول : فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير إلى قتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايفي أمير الطائف. وأهل بيشه وقحطان فنزلوا بالجديدة. فاختار عبد الله بن سعود القدوم عليهم والإجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري في ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقاً وعبأوا الجميع فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر أرزت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لها إلي المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين أن رفعوها مرت ولا ضرت وأن خفضوها دفنت في التراب إلى أن قال : ساروا على عثمان ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما

١- المملكة العربية السعودية - أمين السعيد ، ص ١١١ ، ١١٣ .

أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلاً ذريعاً إلى أن قال : هذا كله وأنا أشاهده ثم مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال ، وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم يحضروا فاشتد على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم فحمي الوطيس آخر ذلك اليوم ، ثم من الغد فاستنصر أهل الإسلام وبهم الناصر لمن ينصره ، فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرتُ فإذا برجلين قد أتيا فصعدا طرف ذلك الجبل ، فما سمعنا لهم بندقاً ثارت إلا أن الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤوا منه يتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال ، فولت تلك الجنود مدبرة فتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم وليس معهم زاد ومزاد ، فانظر إلى هذا النصر العظيم . انتهى ... إلى آخر كلام الشيخ عبد الرحمن [1] .

الثاني : الجبرتي . فقال : وفي يوم الجمعة خامس عشرينه وصلت قافلة من السويس وجاء فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات وحضر أيضاً السيد أحمد الطحطاوي والشيخ الحنبلي وأخبروا أن العرضي ارتحل من ينبع البر في سابع عشر ذي القعدة ووصلوا إلى منزلة الصفراء والجديدة ، ونصبوا عرضيهم وخيامهم وطاقاتهم بالقرب من الجبال فوجدوا هناك متاريس وأحجاراً ، فحاربوا على أول متراس حتى أخذوهم ثم أخذوا متراساً آخر

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

وصعدت العساكر إلى قمم الجبال فهالهم كثرة الجيش وسارت الخيالة في مضيق الجبال هذا والحرب قائمة في أعلى الجبال يوماً وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشرين من ذي القعدة فما يشعر السفلانيون إلا والعساكر الذين في الأعالي هابطون منهزمون فانهزموا جميعاً وولوا الأدبار وطلبوا جميعاً الفرار وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خفت عليهم من أمتعة رؤسائهم فكان القوي منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها وربما قتله وأخذ دابته وساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريك لأنهم كانوا أعدوا عدة مراكب لساحل البريك من باب الإحتياط ووقع في قلوبهم الرعب واعتقدوا أن القوم في أثرهم والحال أنه لم يتبعهم أحد ، لأنهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد إلى آخر كلام الجبرتي ، ثم قال : وقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدّعون الصلاح والتورع أين لنا النصر وأكثر عساكرنا على غير ملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم إذا دخل الوقت اذن المؤذن - لعله قصد جند السعوديين - وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة ، أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر أخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته ، انتهى كلام الجبرتي رحمه الله [١] .

وقد انتهت المعركة بانتصار السعوديين وانهزام الأتراك فولوا مدبرين

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

تاركين على أرض المعركة أربعة آلاف قتيلاً من أولئك المعتدين الأشرار الذين كانت تدفعهم شهوة الظلم والعدوان والطغوة على أنفس ومحارم وأملاك ومقدسات المسلمين ، وإذا كانوا يرغبون في حيازة الحرمين الشريفين فإنه قد تحققت لهم ذلك بدون قتال . ومهما كان فقد استشهد من المسلمين ستمائة رجلاً . رحمهم الله ، وأسرت قوات عبد الله طلائع الأتراك فأرسلوا إلى العراق تحت خفارة أمير جبل شمر محمد بن عبد المحسن [١] .

وبعد نهاية معركة الصفراء فرق الأمير عبد الله بن سعود الغنائم التي غنمتها قواته من الأتراك وذهب بمن معه إلى مكة المكرمة لمقابلة والده الإمام سعود بن عبد العزيز في حج ذلك العام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م وأداء فريضة الحج و كرمه أمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد ، وتبادلا الهدايا وكسا سعود الكعبة المشرفة بالديباج الأسود .

ثم أمر الإمام الجند بالرجوع إلى نجد ، وجعل حاميات في قلاع المدينة المنورة ومكة المكرمة ، وأخذ الأمير عبد الله يشن هجمات على القبائل التي ساعدت قوات طوسون في معركة وادي الصفراء [٢] .

ولما وصلت الأخبار إلى محمد علي باشا بأن قواته انهزمت أمام قوات السعوديين في نجد والقنفذة وجنوب الطائف أمر بتجهيز قوات نظامية جعل قيادتها لأحد الضباط الدهاة المشهور بسفك الدماء والطيش وشرب المسكرات ، وأسمه أحمد أغا ، ويلقب بونابرت . وذلك في شهر محرم ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م ، وأبحرت تلك القوة من السويس إلى ينبع ومنها انضم

١- تاريخ المملكة العربية السعودية ، السابق ، ص ١٨٦ .
٢- عنوان المجد في تاريخ نجد - المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، السابق ، ص ١٥٠ .دار اليمامة ص ١١٠، ٨١ .

إلى قوات طوسون التي أعاد تنظيمها واستأنفوا الزحف تجاه نجد حتى عسكروا في بدر . ومنه ساروا إلى المدينة المنورة ونصبوا عليها المدافع والمتفجرات حتى استسلمت بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام ، وذلك بمساعدة قبائل حرب وجهينة ، لإغرائهم بالمال وكان طوسون بن محمد علي باشا ، قد وزع قواته التي دخل بها الجزيرة العربية إلى أقسام هي :

- قسم سيره إلى القنفذة لضرب الجهات الجنوبية .
- قسم سيره إلى الطائف .
- قسم سار به إلى جهات نجد ، وهذا القسم هو الذي سوف نتكم عنه على إعتبار أنه ميدان منفرد بحوادثه وسوف أوضح فيه كفاح واستبسال سكان نجد أمام هجمات الأتراك الغزاة المعتدين . فلقد اتجه طوسون بقواته من ينبع نحو المدينة ضمن خطته الرامية إلى إجتثاث الدرعية وتدميرها والقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وساعدتهم عدة عوامل منها جهل سكان المدينة المنورة وبعض القبائل التي أغروهم بالمال لمعاداة السعودية وعدم التعاون مع حاميتهم المرابطة في قلعة المدينة المنورة [١] حيث كان هناك سبعة آلاف رجل من نجد و الحجاز وعسير [٢] .

ولا شك أن من ضمن الأمور التي كان الأتراك يتحرشون بها اصرارهم على رد نفائس الحجرة التي ذكر عدة مؤرخين منهم عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أن الإمام سعود بن عبد العزيز لم يأمر ببيعها إلا بعد أن أفتاه علماء المدينة ببيعها وتقسيم ثمنها على فقراء المدينة المنورة [٣] .

وزاد الحال سوءً وقوع وباء وأمراض بالحامية السعودية المرابطة هناك ورغم ذلك

١- الدولة السعودية الأولى - الدكتور ، أبو عليه ، ص ٦٣

٢- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٦٩ .

٣- تاريخ المملكة العربية السعودية ، جـ ١ المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

فقد ظلت صامدة تقاوم حتى استشهد منهم أربعة آلاف رجل ، وكان لوفاة الإمام في سعود بن عبد العزيز رحمه الله في ١٩ ربيع الآخر عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م كبير الأثر في أنفس المسلمين بعكس الأتراك فقد زادت رغباتهم وأطماعهم .

وأنه وإن كان الأمير عبد الله بن سعود شجاعاً مقدام فإنه لم يكن في مستوى أبيه القيادي [١] . واستمر طوسون ومساعده بقواتهما في الزحف نحو نجد حتى وصلوا الرس ، واتضح لطوسون أن دخول قواته إلى عمق الصحراء كان من الخطأ لأنهم لا يدركون مسالكها ، ولم يعتادوا على مثلها .

ولهذا فضل طوسون أن يعقد صلحاً مع الإمام عبد الله على عدة شروط منها : إعادة الجواهر التي ذكرت سلفاً ، ولما كانت تلك الشروط قاسية فقد ارسل عبد الله وفداً من كل من القاضي عبد العزيز بن حمد ابن ابراهيم وعبد الله بن محمد إلى محمد علي باشا بمصر للتفاهم معه في ذلك ، وقد وصلا إلى القاهرة في شهر شوال سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م وفي تلك الأثناء استأذن طوسون والده في الرجوع إلى مصر لإحساسه بعلة في جسمه ولما وصل مصر مات وأراح الله المسلمين منه [٢] .

وفي عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م وبعد وفاة طوسون أرسل الإمام عبد الله ابن سعود كل من حسن بن مزوع وعبد الله بن عون إلى محمد علي باشا بهدايا ومراسلات لتقرير الصلح ، لكنه غير رأيه .

نقض الصلح بين الإمام عبد الله ومحمد علي وخروج إبراهيم باشا :

يذكر ابن بشر أن الإمام عبد الله بن سعود أرسل كتاباً لغامد وزهران يطلب إتباعه وطاعته ، فأرسلوا تلك الكتب إلى محمد علي صاحب مصر

١- الدولة السعودية الأولى - المرجع السابق ، ص ٦٣ ، ٦٦ .

٢- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ١ - المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

وبهذا غضب ونقض الصلح ، وفي عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م ، أمر ابنه ابراهيم بالخروج من مصر على رأس قوة إلى الجزيرة العربية بالإضافة إلى قواتهم لمواصلة سيرهم جميعاً ومحاربة الدرعية .

وأمر محمد علي بإرسال الضابط الفرنسي (المسيو فبسير) أركان حرب مساعد لإبراهيم ، وهو ضابط خدم في جيش نابليون الذي سبق أن قدم إلى بلاد مصر ، وزودهم بالأطباء الطليان ، وانطلقت الحملة من مصر حتى وصلت ينبع ومنها اتجهوا إلى المدينة المنورة ، ثم إلى الحناكية .

ولما سمع عبد الله بن سعود بزحف إبراهيم باشا خرج بقوات من رجال نجد والقصيم والبوادي لصد هجمات أولئك واستبسل المقاتلون في الدفاع عن أنفسهم وأراضيهم وأخذت القوات التركية في التقدم حتى وصلت الرس ثم إلى عنيزة وكان قائد حاميتها الأمير محمد بن حسن بن مشاري ابن سعود ثم إلى بريدة وشقراء وضرماء ، وكلما أقام المسلمين حصناً أو متاريس أو حفروا خندقاً إجتازه الأتراك نظراً لكثافتهم في العدد والعدة حتى شارفت قواتهم على أرباظ الدرعية .

وذلك في غرة جمادي الأولى سنة ١٢٣٣هـ - ١٨١٨م . فاصلوها بنيران المدافع وحاصروها ستة أشهر ، ودافع عنها الامام عبد الله بن سعود وقواته أيما دفاع واستبسلوا بكل ما أوتوا من قوة معنوية وغيرها حتى غلبهم الأتراك فآثر الإمام عبد الله التسليم بشروط منها سفره إلى السلطان العثماني بالأستانة ، لكنهم غدروا به وقتلوه في بلادهم رحمه الله ومن معه والمسلمين أجمعين [1] .

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، جـ ١ ص ٣٤٨ .
- الدولة السعودية الأولى ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ .
- معجزة فوق الآمال ، حمد عسه ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

الوضع في الحجاز :-

كانت أسرة الأشراف تحكم الحجاز ، وهم ينتسبون إلى العلويين من آل الحسن والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد أبعدوا عن ساحة الحكم زمن الأمويين والعباسيين . في حين أنهم كانوا يعتقدون الحكم لهم فقاموا بثوراتهم التي بدأت بثورة عبد الله بن الزبير بن العوام على الأمويين واستقل بحكم الحجاز .

لكن الأمويين أرسلوا إليه جيشاً يقوده الحجاج بن يوسف الثقفي اجتاح أرض الحرمين الشريفين عقب حج عام ٧٢هـ/ ٦٩١م ، ورمى الكعبة بالمنجنيق وأحدث خراباً فيها ، وعاثوا فساداً في ديارها وقتلوا وصلبوا ابن الزبير بعمود في حرم الله وخضعت الحجاز لحكم بني أمية ، ولما تولى يزيد بن الوليد الخلافة ضم الطائف ونصب على الحجاز والياً يعرف باسم : نائب الحجاز - عام ١٠٣هـ / ٧٢١م [1] .

وقام العلويون بثورتين الأولى عام ١٤٥هـ/ ٧٢١م ، الثانية عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، زمن الدولة العباسية لكنهما باءتا بالفشل وكانت الثانية في المدينة المنورة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فأرسل إليه موسى الهادي العباسي جيشاً قتله بعد الحج في وادي - فخ - قرب مكة المكرمة ، ونجا من هذه المعركة إدريس بن عبد الله بن حسن الذي هرب إلى المغرب وأسس الدولة الإدريسية عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م ، وقامت

١- بلاد الحجاز - الدكتور سليمان عبد الغني مالكي ، ص ٧ .
- الحجاز - محمود شاكر ، ص ١١٨ .
- عسير - محمود شاكر ، ص ١٤١ .
- امراء مكة المكرمة في العهد العثماني - السابق ، ص ١٢ .

ثورة ثالثة للعلويين عام ٢٤٤هـ / ٧٨٨م ، ولم تنجح كذلك . وتلاها عدة ثورات علوية في عام ٢٥١ ، ٢٥٢هـ حتى عام ٢٩٨هـ / ٩١٠م . ولما تولى المعز لدين الله الرابع الفاطمي مصر بالقوة سعى بالصلح بين أسر العلويين بالحجاز وتحمل ديات قتلى مشكلة وقعت بينهم ، وأخذ في إرسال المساعدات المالية لهم على أن يتبعوا الدولة الفاطمية بمصر .

وفي خضم تلك الأحداث بادر كل من جعفر بن محمد من آل الحسن بن علي بن أبي طالب بتولي أمر مكة المكرمة عام ٣٥٨هـ / ٩٦٨م ، وطاهر ابن مسلم من آل الحسين بن علي بن أبي طالب بتولي أمر المدينة المنورة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م. وبهذا سيطر العلويون على شؤون الحجاز مع إظهار التبعية للخلافة الفاطمية وصار يطلق عليهم لقب الأشراف لتشرفهم بخدمة الحرمين الشريفين (١) .

ويتوقف إرتباط الأشراف بالفاطميين على مدى إستمرار المساعدات والأعطيات المالية ، فإذا انقطعت دعوا للخليفة العباسي الذي كان يخطب ودهم هو الآخر لبقاء اسميته على الحرمين الشريفين ولما أنهى صلاح الدين الأيوبي الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م اهتم بالحجاز وأدخل أمراءها في طاعته وعين له نائباً أيوبياً فيها لقيادة الجند وإدارة المال وإنهاء الخلاف بين أمرائها (٢) .

ومنع صلاح الدين الأيوبي أمراء الحجاز أخذ المكوس من الحجاج وعوض أمير مكة ثمانية آلاف أردب قمح تصله سنوياً عن طريق ميناء جدة ثم خلفهم المماليك في حكم الحجاز من عام ٦٥٠ - ٩٢٣هـ (٣) .

١- بلاد الحجاز - المرجع السابق ، ص ٨ .
- الحجاز - المرجع السابق ، ص ١٢١ .
- امراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، ص ١٥ .
٢- بلاد الحجاز - السابق ص ١١ ، ٣٦ .
٣- قلب جزيرة العرب - فؤاد حمزة ، ص ٣٠٣ .

ولما تغلب الأتراك على المماليك ودخل السلطان العثماني مصر فاتحاً عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ، سارع الشريف بركان بن أبي نمى بإرسال ابنه (نمى) بمفاتيح الكعبة وخطاب الولاء وبعض الهدايا ، فأقره السلطان على شرافة مكة المكرمة [١] .

وبهذا دخلت الحجاز تحت سلطة العثمانيين الذين ظل سلاطينهم يرسلون الهبات والحبوب والأرزاق لأهل الحرمين ، وكان سليم الأول أول من كسا الكعبة من آل عثمان ، وتلقب بخادم الحرمين الشريفين وصار يدعى لهم في خطب الجمع .

وبعد أن دخلت قوات محمد علي باشا أرض الحجاز عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م صارت السلطة العسكرية والقضائية والمالية بأيدي قادته ، في الحجاز . ولما قدم محمد علي إليها نفى الشريف غالب بن مساعد إلى مصر وأصبح لا يبقى في إمارة مكة إلا من ترتضيه السلطة في مصر والأستانة ، أما في أوضاع إمارة الحجاز الداخلية فكان الهاشميون يسيطرون على عاليه نجد وعربان البادية ولا يقبلون دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أن إمارة نجد حاولت إصلاح ذات البين بالطرق السلمية حيث أرسل الإمام عبد العزيز بن سعود الشيخ عبد العزيز الحصين سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م إلى الشريف أحمد بن سعد ومعه هدايا ورسالة لشرح مذهب الدعوة وإقناع علماء الحجاز بذلك .

لكن أمراء مكة لم ينصاعوا لهذا فأرسلت نجد وفداً ثانياً من ثلاثين عالماً فما كان من الشريف مسعود بن سعيد إلا أن سجنهم وجمع علماء مكة لإصدار فتوى بتكفير أهد نجد . ولم يقف الأمر عند هذا الحد فتذكر المراجع

٤- تاريخ الدولة السعودية - أمين سعيد ، ص ٢٢ .

التاريخية (١) . أن كل من الشريف منصور وسرور ثم غالب بن مساعد منعوا أهل نجد من أداء فريضة الحج .

وفي عام ١٢٠٥هـ / ١٦٧٤م أرسل غالب بن مساعد جيشاً لغزو الدرعية مما سبب بداية حروب وصراعات بين الطرفين دامت زهاء ١٤٠ سنة ، ولما غزت قوات محمد علي باشا حاكم مصر الجزيرة العربية عام ١٢٢٦هـ /١٨١١م كان أمراء مكة يسهلون سير تلك القوة لغزو إمارات الجزيرة العربية حيث اتجهت فرق منهم لغزو نجد واحتلال الدرعية وإحراقها وقتل رجالها ، وأسر الأمير عبد الله بن سعود وأقاربه إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م حتى قتل وسكرتيره في الأستانة .

وفي نفس الوقت اتجهت قوات محمد علي إلى عسير بمساعدة أشراف الحجاز ولحق بهم حاكم مصر مستبيحين بلدان وأملاك عسير ، وآل عون وخلافهم من أمراء مكة يسهلون ويقودون تلك الحملات حتى قضى الأتراك على إمارة عسير بقتل آخر أمرائهم محمد بن عائض عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢. (٢) ، وأسر أعيانهم إلى استانبول . واستمرت الحروب والصراعات بين نجد والحجاز حتى انهزمت قوات الأخير أمام قوات السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في معركة تربة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وتقهقرت إلى الطائف رغم تفوقهم في العتاد والتنظيم العسكري ثم إنسحابهم منها إلى مكة المكرمة للدفاع عنها .

١- تاريخ الدولة السعودية - المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
- الرحلة اليمانية - المرجع السابق ، ص ١ .
٢- تاريخ المخلاف السليماني - السابق ، ص ٥٨٠ ، ٥٨١ .
- عسير ، تأليف علي احمد عيسى عسيري ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

وبتنازل الملك حسين بن علي عن الملك لإبنه الأكبر علي ورحيله إلى جدة فإلى العقبة بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م اضطر الملك علي بن الحسين تحت ضغط الرأي العام وأمام زحف قوات السلطان وحفظاً لدماء المسلمين اضطر للخروج من مكة إلى جدة [١] . وتحصينها أمام جموع قوات السلطان عبد العزيز الذين دخلوا مكة المكرمة بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ مرتكبين بعض أعمال القتل والتخريب في الطائف مما لا يتفق وأهداف السلطان عبد العزيز ولم يكن راضي عن ذلك .

أما السلطان فقد خرج من عاصمته الرياض يوم ١٠ ربيع ثاني ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، في خمسة آلاف محارب وقال : إني مسافر إلى مهبط الوحي ، لبسط أحكام الشريعة وإقامتها وتأييدها ، أن مكة للمسلمين كافة .

ووصل موكب السلطان مكة المكرمة يوم ٧ جمادي الأول عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م فدخلها محرماً واستقبل الناس في السرادق المعد له يوم الجمعة منه ، ويوم السبت استقبل علماء وأعيان مكة المكرمة ، وألقى خطبة قال فيها : « والله وتالله لقد كان من أحب الأمور عندي أن يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لإبادتنا من الوجود فأجيه مع الوافدين أقبل يده وأساعده في كل الأمور ، وقال « لا كبير عندي » إلا الضعيف حتى آخذ الحق منه وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعة » [٢] .

١- الحجاز ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

٢- تاريخ المملكة العربية السعودية ، أمين سعيد جـ١ ، ص ١٦٧ .

ولقد حاول الملك علي بن الحسين جاهداً ابان حصار قوات السلطان لجدة التفاهم لإقناعه بترك الحجاز ، وعقد صلح لكن دون جدوى ، ولما تأزمت الأمور تدخل القنصل البريطاني بجدة بين الطرفين ووقع اتفاق بموجبه غادر الملك علي مدينة جدة يوم الثلاثاء ٦ جمادي الآخرة ١٣٤٣هـ ، الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥م ، على بارجة بريطانية إلى البصرة بجانب أخيه فيصل بن الحسين ملك العراق آنذاك .

وبهذا أسدل الستار على إمارة الأشراف الهاشميين بالحجاز ، ودخل السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن مدينة جدة صباح يوم الأربعاء ٧ منه ١٣٤٣هـ . وكذلك استسلمت حامية الأشراف بالمدينة المنورة لقوات السلطان بقيادة ابنه الأمير محمد بن عبد العزيز ، بعد هذا التاريخ .

وبايع الحجازيون السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز بتاريخ ٢٥ جمادي الثاني ١٣٤٤هـ . وأصدر مرسوماً يوم ٢١ جمادي الأولى عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م بتوحيد أجزاء البلاد تحت مسمى « المملكة العربية السعودية » ، وبهذا جمع الله شمل أمتنا الإسلامية العربية تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بعد أن كانت أشلاء متناثرة يسودها الجوع والخوف والنهب والسلب والقتل من جراء أناس لا هم لهم إلا مصالحهم الشخصية ، فتحولت بفضل الله آمنة مطمئنة يأتيها عيشها رغداً من كل مكان ، وارتفع بنيانها الشامخ والحمد لله .

الفصل الثالث

الأطوار السياسية التي مرت بها عسير

تتالت على إمارة عسير ، قبل توحيد المملكة العربية السعودية الإمارات الآتية :

١- إمارة آل يزيد من عام ١٦٩ - ١٢١٥هـ - ٧٨٥ - ١٨٠٠م .

٢- إمارة آل المتحمي من عام ١٢١٥ - ١٢٣٣هـ - ١٨٠٠ - ١٨١٨م

وهم الأمير محمد بن عامر المتحمي أبو نقطة وحكم عسير من عام ١٢١٥ - ١٢١٧هـ ، والأمير عبد الوهاب بن عام المتحمي - أبو نقطة - من ١٢١٧ - ١٢٢٤هـ . والأمير طامي بن شعيب من عام ١٢٢٥ - ١٢٣٠هـ والأمير محمد بن أحمد المتحمي من عام ١٢٣٠ - ١٢٣٣هـ . وحكمت عسير بواسطة الشريف حمود بن محمد بو مسمار من عام ١٢٣٣ - ١٢٣٨هـ . وبعض قادة محمد علي باشا حاكم مصر .

٣- إمارة آل عائض من عام ١٢٣٨ - ١٢٨٩هـ ١٨٢٢ - ١٨٧٢م ، وهم الأمير سعيد بن مسلط الذي حكم عسير من عام ١٢٣٨ - ١٢٤٢هـ ، والأمير علي بن مجثل الذي حكم عسير من عام ١٢٤٢ - ١٢٤٩هـ .

والأمير عائض بن مرعي المغيدي الذي حكم عسير من عام ١٢٤٩ - ١٢٧٣هـ ثم ابنه الأمير محمد بن عائض بن مرعي المغيدي الذي حكم عسير من عام ١٢٧٣ - ١٢٨٩هـ ، وقضى الأتراك على إمارته .

٤- المتصرفية العثمانية التي حكمت عسير بواسطة ٨ متصرفين من عام ١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ .

إمارة آل يزيد :-

تنتسب أسرة آل يزيد إلى جدهم علي بن محمد بن عبد الرحمن ابن محمد اليزيدي الذي بايعه أهل عسير بالإمارة مع بداية الثلث الثاني من القرن الثاني الهجري على وجه التقريب ، وظل أميراً على عسير حتى سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، وحينما أرسل الخليفة العباسي المهدي جيشاً إلى اليمن بقيادة / عبد الله بن عبد الرحمن الغامدي وضع لهم أمير عسير كميناً في الطريق ، لكنهم أخذوا زمام المبادرة وقتلوا أمير عسير علي بن محمد اليزيدي .

وقد استطاع أولاده وأحفاده توارث إمارة عسير حتي عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م حيث قضى محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي على آخر أمير من آل يزيد هو محمد بن أحمد اليزيدي لمعارضته نشر الدعوة الوهابية ، وبهذا انتهت إمارة آل يزيد وبدأت إمارة آل المتحمي (١) .

١- عسير خلال قرنين ، د. عبد المنعم ابراهيم الدسوقي ، ص ٥ .
- شبه جزيرة العرب - عسير - السابق ، ص ١٥٢ .
- السراج المنير - السابق ، ص ٢٨ .
- عسير - دراسة تاريخية - علي احمد عسيري ، ص ١٢٣ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٣١
- قبائل عسير في الجاهلية والإسلام ج٢ ، عمر غرامه العمروي ، ص ٣٦٨ .

إمـارة آل المتحمي

١٢١٥ - ١٢٣٣هـ - ١٨٠٠ - ١٨١٨م

يرتبط ظهور آل المتحمي بمسرح الأحداث بوصول الدعوة السلفية إلى أصقاع عسير ففي سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م ذهب محمد بن عامر أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب بن عامر من آل المتحمي من قبيلة ربيعة بعسير إلى الدرعية لزيارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وطلب العلم منه [١] .

وقد ذكر جعفر الحفظي أن وفد الدرعية كان في عام ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م وهم محمد وأخوه عبد الوهاب بن عامر وطامي بن شعيب وعلي بن الحسن وعبد القادر بن أحمد وعبد الله بن عبد الرحمن وزين العابدين من آل الحفظي وبعض أعيان عسير [٢] .

لكن كل من السيد هاشم النعمي والعقيلي ذكرا أن وفد عسير إلى الدرعية كان في ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م ومهما كان فقد وصل الوفد المذكور الدرعية وقابلوا الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب واتفق الجميع على نشر الدعوة السلفية في جهات عسير [٣] .

ولا شك أن تأثير الدعوة السلفية قد ظهر في منطقة عسير والمخلاف والسليماني وجدير بنا أن نورد القصيدتين المتبادلتين بين العلامة الشيخ محمد بن أحمد الحفظي العسيري الموجهة إلى أمراء تهامة وقصيدة العلامة الوزير الحسن بن خالد الحازمي وزير الشريف حمود رداً على السابق قصيدته فإليك قصيدة الأول [٤] .

١- تاريخ المخلاف السليماني - المرجع السابق ، ص ٥٧١ .
٢- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٤٩ .
٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٣١ .
٤- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤٢ .

هام الشــجى وهاج شــوق الممــثلي
وبدت صـــبــابات الغـــرام الأول

وتذكــرت نفــسي المشــوق عــهــودها
وورودها لســـعـــود هـافي المنهـل

وبدت لنـا مـن ثغــر دهر بســـمــة
هشت لـهـــا أرواح قـــوم كـــمـل

وتعــرض النفــحــات مــأمــوربه
فـــيـــمـــا روينا عن نبي مـــرسـل

ولأن ظفـــــرت بمطلبي فـلي الـهنا
ان كــان قــصــدي صــالحــاً من أول

ولأن تعــــذر مـــا نظمت لأجله
فـــبـــقـــدرة الله العلي المعـــتلي

فـــبــــاســـمك اللهم ابدأ أولاً
مـــتـــعـــرضـــاً لنوالك المتنزل

ومـعـرضـا لا مـعـرضـاً لنصـيحـة
ندبت لـهـــا آي الكتـــاب المنزل

فـاليك ياقـاضي البـلاد قـصـيـدة
حـسـنت مـعـاني لفظهـا المتـعلل

وفـــدت إليك وفــود ضــيف يرتجى
حسن القـرى المسـتحـسن المسـتسـهل

فـابسط لهـا بسط القـبـول تكرمـاً
واجــمع لهــا أعـــيــان أهل المنزل

فـمن الظهـور خـفـاء تنصـيـصي لهم
لا ينبـغي التنصـيص في الأمـر الجلي

واشـرح لـهم بيت القـصـيـد وقـصـده
فـلـديـك شـــــرح مـطـول أو أطـول

واستشهد الأيام وانظر شأنها
وارمق عواقب حالها المتحول
والحق أولى أن يجاب وإنما
لم أدر ما حيلولة المتحيل
إن كان ظناً أن ذاك مخالفاً
فهو البرئ من الخلاف المطبل
بل قام يدعوا الناس للتوحيد والتجريد
والتفريد للرب العلي
ولقد أضافكم أزال شنائعاً
وبدائعاً وصنائعاً لم تقبل
أو كان ظنا أن فيه غلاضة
وفضاضة وشكاية لم تجمل
فأقول حاشا إن فيه ليونة
وهيونة للمقبل المستقبل
لا يطلب الأموال من خزانها
أو يقتل الأبطال إن لم تبطل
أو ينزع الملك المولي أو له
غرض بمذهب آخر من أول
بل قصده التوحيد في أفعالنا
ثم اتباع للنبي المرسل
هذا لنا ليس سواهما قصده
فعلام ينفر كل ندب افضل
والواجب الشرعي اجابة من دعى
لهما ولو عبداً فكيف بمن ولى
واليكم هذا النظام وعنكم
تستخرج الأنظار في المستشكل

فــلإن اجــبــتم فــاالجــواب ســجــيــة
والخــيــر فــيــمــا اخــتــاره الرب العلي

انتهى

وفيما يلي نص جواب العلامة الوزير الحسن بن خالد

اللـه أكـــــبــــــر كـل هم يـنجلـي
عن قـلـب كـل مـكـبـــــر ومــــــهـلـل
ومــــــوحــــــد لـلـه جل جـــــلالـه
فـــالشـــرك ضـــد والضـــلال بمعـــزل
وبدأت باسم الله فـــيـــمـــا ابـتـــغي
فـــي نـظـمـــي المتـــــســــلـســـل
ياحـــبـــذا ياحـــبـــذا يا حـــبـــذا
فـالنصح مـقـبـول على الوجـه الجلي
قـــد بين الداعي ومـــا يدعـــو له
في الآن والزمن الرحـــيـب المقـــبـل
أمـــــر مـــــهـم وهو فـــرض لازب
للعـــــالم المتـــفـطن المتـــعـــقـل
أمـا الرسـالات التي تأتي من الداعي
فـــأمـــر مـــا به من مـــدخل
تدعـــو إلى التـــوحـــيـــد ثم لوازم
يثـــبـت له الحق منهـــجـــه الجلي
ولزوم سنة أحـــمـــد باصـــولهـــا
وفـــروعـــهـــا لم تخف عـن مـتـــأمـل
قـــســـمـا لقـد سـر الفـؤاد بما حـوت
وشـــفـــا بنور منارها المتـــهـلل

إلى قوله :

بالله مــــــا في القلب انكار لمن
يدعــو إلى التــوحــيــد للمــتــزلزل

أو مــرشــد يدعــو لسنة أحـــمــد
في الناس ينشــرها بغــيــر تبــدل

الـلـه يـعـلـم أنـه لـو كــــــان ذا
كنا نســـارع نحـــوه بتـــعـــجل

فـخـذ الجـواب لسـان حـال شـامل
عـن كل أشـــراف البـــلاد الـكمل

وعـن القـــضـــاة وســـائر الأقـــوام
كل مـكبـــر ومـــســـبح ومـــهلل

والـلـه يصـلح كـل أحـــوال الـورى
ويـقـــيـــهم مـن داء مـــعـــضـل

استهل عام ١٢٢٣هـ ، والصراع قائم على أشده بين الأمير حمود وأمير عسير عبد الوهاب ورسل كل منهما تغدوا وتروح إلى الدرعية لبث التهم ضد الآخر ، ويبدو أن الأمير العسيري نجح في اقناع الأمير سعود بشأن عدم إخلاص الشريف حمود لطاعته لذلك نراه يطلبه إلى الدرعية إلا أنه خوفاً من نتائج هذا الطلب أوفد بدلاً عنه أحد رجاله المقربين إليه وهو العلامة محمد بن عز الدين النعمي وأصحبه هدايا ثمينة وكتباً تتضمن الإعتذار ، وصل الوفد إلى الدرعية وأبدى الأسباب التي حالت دون توجه الأمير حمود بيد أن الشك في إخلاصه كان قد استحكم لدى الإمام سعود فكان ذلك سبباً في فشل الوفد في مهمته إذ لم تنجح الأعذار التي نوعها وقد عاد يحمل الأوامر القاضية بضرورة سفر الأمير حمود إلى مكة في ذلك العام أعني عام ١٢٢٣هـ لمقابلة الإمام سعود بمكة فانتدب لتلك المهمة ابن عمه (الشريف يحيى بن حيدر) حيث خاف من الوقوع في الشراك وسافر الوفد إلى بلد الله الحرام عن طريق البحر وعند وصوله مكة اجتمع بالإمام سعود وفاوضه الأمير وتفنن في تبرير الأعذار عن تخلف الأمير حمود بيد أن محاولته باءت بالفشل فعاد إلى بلاده ينذر ويتوقع حرباً مدمرة .

وجهز الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود جيشاً مع (أبو نقطة) بقيادة ربيع بن زيد أمير الدواسر فساروا حتى خيموا في قرية (حجلا) بين أبها وخميس مشيط واستقبلهم قبائل عسير معلنين الطاعة لابن سعود واستمرت تلك القوة حتى المكان المسمى (المغوث) المعروف حالياً بباحة ربيعة [1] .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

ولما بدأ محمد بن عامر أبو نقطة مزاولة سلطة إمارة عسير تصدى له أميرها السابق محمد بن أحمد بن محمد اليزيدي فقتله الجيش المرسل مع أبي نقطة وعادوا إلى الدرعية واتخذ أبو نقطة بلدة (طبب) مركزاً للإمارة [١] .

أخذت الأمور السياسية والدينية تسير إلى أحسن ودخلت جميع قبائل عسير في الطاعة [٢]. ورحل الأمير محمد أبو نقطة ثانية إلى امام الدرعية للتشاور في بعض الأمور التي تهم إمارته، وأثناء عودته أصيب بمرض الجدري وتوفي ودفن في بيشة عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م [٣].

وذلك بعد أن امتدت إمارة عسير من بلحمر شمالاً فمحائل بتهامة عسير إلى بلاد قحطان وبني شعبة والقحمة غرباً إلى بلاد شهران شرقاً .

وقد رحب العسيريون بالدعوة السلفية واستجابوا لمبادئها السمحة لأنها تحقق الخير والفلاح وتريحهم من مهالك الصراع والفرقة والحروب القبلية التي لا يجني منها سوى الويل والهلاك .

إضافة إلى أن أخبار الدعوة الوهابية قد سبقت أخبارها وفهم هدفها عن طريق الرسائل التي حملها الدعاة إلى عسير واليمن . ومنهما إلى الدرعية ومنها القصيدة المشهورة التي نظمها عالم صنعاء وأديبها الشيخ المحقق محمد بن اسماعيل الصنعاني المولود عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م والتي امتدح بها أهل الدعوة السلفية حيث قال :

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد ١١٧٩ - ١٢١٨هـ / ١٧٦٥ - ١٨٠٣م

١- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

٢- تاريخ المخلاف السليماني - المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

٣- عسير - علي عيسى عسيري - ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رباها وحياها بقهقهة الرعد
إلى أن قال :

قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل
ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله
فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها
تدورعلى حسب الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما
مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله
يغوث وود بئس ذلك من ود

وقـد هتـفـوا عند الشـدائد باسـمـهـا
كـمـا يـهـتف المضطر بالصـمـد الفـرد
وكم عـقـروا في سوحـهـا من عـقـيـرة
أهلت لغـيـر الله جـهـراً على عـمـد
وكم طائف حـول القـبـور مـقـبل
وملتـمس الأركـان منهن بالأيدي
إلى أن قال في تحريق الشيخ الدلائل :

وحـرق عـمـداً للدائل [1] دفـتـراً
أصـاب فـفـيـهـا مـا يجل عن العـد
غلو نـهى عنه الرسـول وبدعـة
بلا مـرية فـاتركـه إن كنت تستـهـدي
إلى قوله :

وكم من ضـلال في الفتـوحـات صدقت
به فـرقـة أضـحت ألد من اللد
يلوذون عند العـجـز بالذوق ليـتـهم
يذوقـون طعم الحق فـالحق كـالشـهـد
فنسـألهم مـا الذوق قـالوا مناله
عـزيز فـلا بالرسم يدرك والحـد
تسـترهم بالكشف والذوق مـشـعـر
بأنـهم عـن مطلب الحق فـي بعـد
ومن يطلب الإنصـاف يدلي بحـجـة
ويرجع أحـيـانـاً ويهـدي ويسـتـهـدي

١- ابن بشر ، جـ١ و المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

وهيـــهــــات كـل فـي الديانـة تـابـع
أبـاه كـــأن الحق بـالأب والجـــد
وقــد قـــال هذا قــبلهم كل مـــشــرك
فــهل قـد حـوى هذي العـقـيـدة من زند
كـــذا هكذا أهل الكتــاب تتــابعـــوا
على مــذهب الأســلاف فــرداً على فــرد

قال ابن بشر :

والذي يليق أن أذكر هذه القصيدة عند ترجمة الشيخ محمد رحمه الله لأنها قيلت فيه ولأجله ولكن ذكرتها في ترجمة صاحبها لأنه ليس له شهرة كبيرة في أوطاننا فجعلتها علامة له ، والشيخ رحمه الله شمس فضله شارقة في الأقطار ، عالية مكارمه على كل منار ، ومن وقف على مصنفات صاحب هذه الترجمة علم فضله ونور علمه وأنا لا أعلم من أخذ عنه العلم ولا من أخذ منه وله من أبيات رحمه الله :

فـــو اللـه مـــا فـي هـذه الـدار لـذة
سـوى العلم إن وافـقت في العلم من يهـدي
فـــذاك الذي لـو كنت يومـــاً وجـــدتـه
ظـفـــرت بما أهوى وجـــدت بما عندي
كـــأنا إذا مـــا مـــجلس العلم ضـــمنا
نـكون على التــحــقــيق في جنة الخلد [1]

١- عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، لابن بشر ، ص ١٠٨ - ١١٢ .

إمارة عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي

١٢١٧ - ١٢٢٤هـ

بعد وفاة الأمير محمد بن عامر المتحمي ، بايع العسيريون أخاه عبد الوهاب بن عامر أميراً لهم بعد أن أبلغهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية موافقته بموجب كتاب وأرسل إليهم الشيخ محمد بن سند بن علي الدوسري قاضياً بجانب عبد الوهاب الذي استطاع إخضاع قبائل قحطان وشهران ورجال الحجر (بلحمر وبلسمر وبني شهر وبني عمرو) لا سيما وأنهم فرحون بإنتشار الدعوة السلفية وانضوائهم تحت سلطة توحد صفوفهم وتريحهم شر الفرقة (١) .

أما بالنسبة لتهامة بما فيها المخلاف السليماني فكانت الدعوة السلفية قد سبقت إليها بواسطة الداعية أحمد بن حسين الفلقي والشريف منصور صاحبي صبيا ، وعرار بن شار أمير درب بني شعبة وانتشرت هنالك عدا (أبي عريش) التي استعصت لتمسك الشريف حمود بن محمد الملقب أبو مسمار ، بها واستماتته في الدفاع عنها (٢) .

فأمر الإمام عبد العزيز بن محمد عبد الوهاب أمير عسير بالسير لمحاربة أبا مسمار فتجمع مع الأول أكثر من عشرين ألف محارب من قحطان وشهران ورجال ألمع ومعهم علماء من آل الحفظي وغيرهم (٣) .

ووالي الأمير عبد الوهاب زحفه إلى أبي عريش ، وفي الثاني عشر

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٣٣ .
٢- عسير - دراسة تاريخية - أحمد عسيري ، ص ١٢٥ .
٣- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - السابق ، ص ٣٥ .

من شهر رمضان عام ١٢١٧هـ احتل مدينة صبيا ومنها إلى ضمد وقد أيده كل من الداعية أحمد محمد الفلقي ، والشريف محمد بن مهدي النعمي ، والأمير عرار بن شار ومعه قلة من بني شعبة وأمير صبياء منصور ، وفي اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه تقدمت قوات عبد الوهاب وطوقت صبيا من جهاتها الأربع .

وقد سعت الرسل بين كل من الأمير عبد الوهاب وحمود بغية (إصلاح ذات البين وإطفاء لظا النار المشتعلة ولكن دون جدوى فقد باءت بالفشل نظراً لتصلب موقف الأمير حمود ، ولأنه مدعوم بمرتزقة من قبائل يام وغيرها ، وقد دجج حصونه وقلاعه بالرجال والعتاد [1] .

وفي صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان عام ١٢١٧هـ أذن المؤذن لصلاة الصبح وصلى الناس ومن ثم اتجهت قوات عبد الوهاب العسيري مكبرين وشعارهم « يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » والتحم الجيشان المسلمان يتقاتلون - وإنا لله وإنا إليه راجعون - فاخذت موازين القوى ترجع لصالح العسيريين حيث انهارت تحصينات الأمير حمود أمامهم ؟!! وفتحت مدينة صبيا كاملة .

وفي تاريخ ١٩ رمضان من العام نفسه لم يبق إلا حصون أشراف صبيا برئاسة الأمير حمود أبو مسمار فأرسل إليهم الأمير عبد الوهاب بوجوب التسليم مع ضمان كرامتهم فسلموا وقدموا إليه فأكرمهم وأعلنوا السمع والطاعة وبمبايعة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والأخذ بنهج الدعوة

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٣٤ .

السلفية ، وتكرم عبد الوهاب بإعادة حمود لإمارته بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق القوية [1].

وفي يوم الخميس الموافق ٢٩ من شهر رمضان المبارك من العام نفسه نودي برحيل العسيريين واسندت إمارة أبي عريش وصبيا للأمير حمود نفسه الذي نكث في عهوده وتسبب في معركة بيش المنتهية بمقتل الأمير عبد الوهاب سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م [2].

ولما وصل الجميع إلى أبها قال شاعرهم :

والقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

وقد غدت أبو عريش موطئ جند العسيريين مع قوات الشريف حمود فقال شاعرهم :

ولم يبق إلا ما حماها من الظُبا

لمىَ شفتيها والثّديُّ النواهدُ

أما الأمير حمود فقد خرج إلى بلاد بلحارث من مخلافه يدعوهم لمعاونته فأجابوه واستمر في لم شعث سكان المناطق اليمانية وادخالهم في طاعته والتنويه بالدعوة السلفية لطاعة الإمام عبد العزيز آل سعود فكتب بذلك لأهل خولان الذين ينتمون في الأوامر للإمام القاسم إمام صعده ووالى في دعوة أهل اليمن إلى أن دانت له القبائل اليمنية المحاذية له حتى منطقة حرض اليمنية والتزمت بالدعوة السلفية . وارسل إلى أهل بلاد عبس

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - السابق ، ص ٣٨ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، السابق ، ص ١٣٥ .

والواعظات وكلهم يتبعون إما صنعاء فاستجابوا لدعوة وأوامر الشريف حمود وعين على كل ناس شخصاً ، واستجاب له كافة أمراء تهامة اليمن إلا اللحيه ومور التابعين لحكم صنعاء فقد امتنعت حصونهما المنيعة عن ذلك ونازلوا جيش الأمير حمود ، في حين جاء جيش مرسل من الأمير عبد الوهاب إلى ميناء الشقيق واضطرب توازن سكان اللحية والحديدة ودارت الحروب بين جيش الأمير حمود وعبد الوهاب من جهة وجيش صالح بن عبد الملك ، فكانت الغلبة للأخير ! [1] .

وأقول أن لنا وقفة تأمل في كيفية تأثير الدعوة السلفية إلى عمق أصقاع البوادي واطراف الجزيرة العربية بعسير والمخلاف السليماني المحاذي لبلاد اليمن ، فلقد بدأت آثارها تدب في نفس المجتمع للشعور بالاطمئنان وحب السلام وتلمس طرقه ، وإنه وإن كانت الأيادي الخفية من أمراء عسير والمخلاف السليماني تجد مناصرة ورغم وقوع الحوادث والتناحر والقتل لصالح رجل واحد من أولئك الأمراء فإن آثار الدعوة السلفية قد بدأت جلية في أمورهم ومكاتباتهم التي في ظاهرها الدعوة إلى السمع والطاعة وعبادة الله وترك الشرك .. ونشر الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود بن مقرن وأئمة آل سعود من بعده رحمهم الله ولكن أمراء الجهات الجنوبية آنذاك كانوا يتقاتلون على حطام هذه الفانية وكل يعد العدد للتوسع على حساب الآخرين .

والدليل على ذلك توسع الشريف حمود بن محمد أبو مسمار في تهامة على حساب الدعوة السلفية .

١- نفح العود في سيرة الشريف حمود ، السابق ، ص ١٤٣ - ١٥٠ .

ولما وصلت أخبار فتوحات الأمير حمود إلى مسامع أمير عسير لم يرتح لذلك وحاول إفهامه بالتخفيف من حدة ضغوطه على سكان المخلاف السليماني فلم يفلح [1] .

ومن جهة أخرى عمد حمود إلى إرسال الرسائل إلى إمام الدرعية عبد العزيز محاولاً إقناعه بجعله مستقلاً في إمارته عن أمير عسير وموضحاً له الفتوحات التي حصلت في المخلاف السليماني حيث وصل مرسول الشريف الحسن بن بشير إلى الدرعية واتفق بالإمام عبد العزيز بن محمد وأولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم حسين ومحمد وعلي فوافق الإمام على طلب حمود بفصله عن أمير عسير إلا في حالة النفير العام فإنه يرجع لرأي أمير عسير وقد طلب إرسال النجدات إليه من نجد وفي نفس الوقت هاجم الحديدة اليمنية بنفسه ونهب أموالها واستولى عليها ثالث مرة . كما هاجم زبيداً واستولى عليها ونصب ابنه فيها وضرب السكة باسمه وجدد سورها [2] .

وكان جواب إمام الدرعية مشجعاً للشريف حمود أبو مسمار فاستمر في غزواته جهات الحديدة بقصد توسيع رقعة إمارته وبث الدعوة السلفية ، وأخذ يوالي الرسل إلى الدرعية لكسب تأييد أميرها ضد أمير عسير ، وفي تلك الآونة قتل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٣٣ - ١٢١٨هـ/ ١٧٢٠ - ١٨٠٣م) غدراً في مسجد الطريف بالدرعية على يد الرافضي عثمان كردي المرسل من الوالي العثماني ببغداد وانتقل إلى رحمة الله ، وانتشر خبر وفاته في أنحاء الجزيرة العربية .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، السابق ، ص ١٣٧ .

وسارع ذو الحل والعقد إلى مبايعة الأمير سعود بن عبد العزيز بالإمامة ووصلت وفود عسير والمخلاف السليماني إلى الدرعية للتعزية في الإمام وتجديد الولاء لسعود [1] .

ومدح محمد بن أحمد الحفظي الإمام سعود بن عبد العزيز بقوله :

وهذا سعود ذو السعادة ساعياً

يجاهد لم يردعه بادٍ وحاضر

ولم يهنه نوم الملوك استراحة

ويقظتهم هم والندامى السوامر

يبيت يجافي جنبه عن فراشه

على صهوات الصافنات يسامر

ودانت له الإعراب بعد جفائها

ودالت على الأمصار منه عساكر

وطهر ساحات الحجة بعدها

عراها الأذى وهي الطهور الطواهر (٢) .

أما بالنسبة لوفد الشريف حمود بو مسمار فقد استمر في طريقه إلى الدرعية وقد لا تخرج مهمته عن الآتي :

١- نقل التعازي إلى الأمير سعود بن عبد العزيز في وفاة والده .

٢- مبايعة الإمام سعود على السمع والطاعة .

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير ، ص ٤٠ - ٤١ .

- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، السابق ، ص ١٦٧ .

٢- اثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوب المملكة .د. عبد الله بوداهش ص، ٤٢٣

٣- شرح وجهة نظر طلب الأمير حمود بفصل إمارة أبو عريش عن أمير عسير في كافة الأمور .

ثم قدم الشريف حمود بو مسمار إلى الدرعية واستقبله الإمام بالحفاوة وعقدوا عدة جلسات انتهت بموافقته على فصل إمارة الشريف عن أمير عسير بعدة شروط منها :

١- أن يفتح الشريف حمود تهامة اليمن وأن يحارب إمام صنعاء المناهض للدعوة السلفية .

٢- أن ينقاد الشريف ويهادن ويتودد إلى أمير عسير لتبقى كلمة الجهات السعودية الجنوبية موحدة في كل زمان ومكان .

٣- أن ينفر الشريف بقواته مع عبد الوهاب إذا استنفره [١].

وفي عام ١٢١٩هـ أخذ الشريف حمود يصول ويجول بقواته في تهامة المخلاف السليماني وتهامة اليمن ويفتح بلدانها بالقوة وهي تتهاوى الأخرى تلو الأولى ولعله استغل موافقة الإمام سعود ، بحجة نشره الدعوة السلفية . وظل أئمة اليمن يرسلون إليه الجند لمحاربته [٢].

خروج أمير عسير إلى الحجاز :-

في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م نقض الشريف غالب بن مساعد المواثيق الموقعة بينه وبين أمير الدرعية الإمام سعود بن عبد العزيز وهاجم الأول قوة السعوديين في مكة وكان من ضمنها أربعمائة مقاتل من عسير [٣] .

١- أخبار عسير - عبد الله بن مسفر ، ص ٤٤ .

٢- نفح العود - السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٨ .

٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٣٧ .

فأوعز الأمام سعود إلى أمير عسير وأمراء المخلاف السليماني وإلى أمير الطائف عثمان المضايفي بالتوجه إلى مكة بقواتهم لمهاجمة أميرها .

وذكرت المراجع التاريخية أن خروج أمير عسير عبد الوهاب المتحمي وقواته إلى مكة المكرمة كان في محرم عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م ، وقيل أنه كان في شهر شعبان عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م [١].

ومهما كان فقد سار الأمير عبد الوهاب المتحمي من نفسه في عدد وعدة من مقاتلي أهل عسير ولحق به أمير بيشة (فهاد بن شبكان) والشريف منصور بن محمد أمير صبيا ولحق بهم عيسى بن شار أخو عرار أمير درب بني شعبة في الليث . فلامهم عبد الوهاب لتأخرهم [٢]، وأمر بأخذ خيلهم عقب العودة ، وانطلق الجميع بقيادة أمير عسير وكان عدد تلك القوة يقارب من عشرة آلاف مقاتل ، بالإضافة إلى قوة الطائف بقيادة عثمان المضايفي [٣]. وأشارت المراجع أن عدد قوة عسير ستة آلاف [٤].

سار الجميع حتى عسكروا في ميقات اليمن (يلملم) بالقرب من ماء السعدية ، ولما سمع بهم الشريف غالب خرج إليهم في جيش تعداده عشرة آلاف محارب ، ودارت بين الطرفين مناوشات كثيرة فقد قضت طلائع جيش غالب على فرقة سبور من الجيش العسيري كانت تحرس ماء السعدية واستمرت المعارك بين الطرفين سبعين ليلة حدث خلالها ثلاث عشرة معركة [٥].

١- السراج المنير - المرجع - السابق ، ص ٤٨ .
٢- السراج المنير - السابق ،ص ٥٣ .
٣- اخبار عسير - السابق ، ص ٤٥ .
٤- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ١ ، السابق ، ص ٢٨٢ .
٥- تاريخ عسير - السابق ، ١٣٧ .

وفي الأخير وقعت معركة بين الطرفين استمرت لمدة يومين وانتهت بهزيمة قوات الشريف غالب وانتصار العسيريين واغتنامهم ٢٥٠٠ بندقية وعدداً من المدافع الضخمة والذخائر والأمتعة . وكانت خسارة الشريف غالب ثلاث آلاف قتيل منهم عدد من الأشراف وقادة الجند والله المستعان [١] .

ولما شعر الشريف بشدة حصار مكة والهزيمة اضطر إلى المهادنة وطلب الصلح ودخوله في طاعة الإمام سعود بن عبد العزيز ودخل الجيش السعودي مكة صلحاً بدون قتال وحج واعتمر الجميع ، واجتمعوا واتفق الطرفان على شروط معينة ، وتبادلوا الهدايا وأصبحت مكة تحت حكم الإمام سعود الذي واصل سيره حتى جدة ، أما عبد الوهاب فرجع بجيشه إلى عسير ظافراً منتصراً ، ولما وصل منطقة حلي بن يعقوب أمر بأخذ خيل درب بني شعبة جزاءً لهم في تأخرهم عن غزو الشريف غالب إذ لم يلحقوا بالقوات العسيرية إلا في الليث كما أسلفنا .

ولما علم عرار بن شار بذلك ألب رجال ألمع في استمالتهم إليه ضد عبد الوهاب بدون الخروج على طاعة الإمام سعود ، كما أنه كاتب الشريف حمود الذي يعتبر أكبر معارض لأمير عسير[٢] . لكن سعود أوعز لأمير عسير محاربة حمود لما علم أنه على إتصال بإمام صنعاء عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م ، فسار إليه طامي بن شعيب في قوة من الرجال إلى الحديدة لمساندة صالح الفقيه وردها له ، فسار طامي بن شعيب إلى تلك الجهات [٣]. وقبل أن يصل بعث برسالة إلى الشريف حمود بن محمد أبو مسمار جاء فيها .

١- أخبار عسير - السابق ، ٤٦ .

- كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠١ .

٢- نفح العود في سيرة الشريف حمود - السابق ، ص ١٨٠ .

٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٤٠ .

« نخبركم ياشريف حمود أن وصولنا كان لحسم النزاع بينك وبين صالح الفقيه ومعتمدين على استرجاع (الحديدة) وزبيد واعادتهما إلى طاعة صالح ، وما وصلنا إلا وقد استوليت على نواحي غيرها وهي من التابعة لنا وللإمام سعود فيلزمك الإمتثال ولا يحسن منا قتالك إلا إذا أخذتك العزة بالإثم والإعتزاز بما لم تؤمر به لأمن الإمام سعود ولأمنا فيما حدث منك في الجهات اليمانية » [١].

وقد استقبل حمود الرسل بكل حفاوة واكرام وقدم لهم الهدايا الثمينة وأجاب بأن الهدف من استيلائه على الحديدة هو خوفه من إمام صنعاء مع ضعف الفقيه [٢].

فكف طامي عن حرب حمود ، وحدث بينه وبين الفقيه بعض الخلاف البسيط لعدم إمداد الثاني للقوات العسيرية بالقوة والمال ، ومن ثم رجع طامي في غزوة سريعة لجبل الريث ومنها إلى أبها .

أهم عوامل الخلاف بين عبد الوهاب والشريف حمود :-

١- مناهضة الشريف حمود بن محمد (أبو مسمار) للدعوة السلفية وتحصين مركز إمارته في أبو عريش ضد عسير ومنعهم من نزول تهامة [٣].

٢- قيام الشريف حمود بطلب الإستقلال عن أمير عسير عبد الوهاب بن عام (أبو نقطة) المتحمي حتى وافقه الإمام سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية على ذلك مما زاده عزة وشقاق

٣- استيلاء قوات عسير على أموال تهامة أثناء غزوهم لقوات الشريف

١- السراج المنير في تاريخ امراء عسير - السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
٢- تاريخ المملكة العربية السعودية - د. عبد الله العثيمين ، ص ١٤١ .
٣- أخبار عسير - السابق ، ص ٣٨ .

حمود (أبو مسمار) سنة ١٢١٧هـ واعتبر الأمير عبد الوهاب هذه الأموال غنيمة فقسمها بين الجيش وارسل خمسها إلى أمير الدرعية مما أثار غضب حمود لأن هذا العمل لا يجوز إلا في حق الكفار [١].

٤- انضمام عرار بن شامر أمير درب بني شعبة إلى الشريف حمود على أثر أخذ عبد الوهاب أبو نقطة خيل بني شعبة لتأخرهم عن غزو أمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد عام ١٢١٨هـ .

وهذا بالتالي اعتبره عبد الوهاب خروجاً عن طاعته وشق عصا طاعة أمير الدرعية الذي بسند الجميع [٢]. ثم أرسل الأول قوة لإخضاع عرار بن شار أمير درب بني شعبة وأخذ الوثائق الدائرة بينه وبين الأمير حمود أبو مسمار والتي كانت من المآخذ على الطرفين لدى الإمام سعود بالدرعية .

٥- كثرة شكاوي أمير عسير عبد الوهاب المتحمي بإرساله المكاتيب إلى الإمام سعود بن عبد العزيز ضد الشريف حمود أبو مسمار . وإرسال قوة قوامها عشرة آلاف رجل من عسير قادها عبد الوهاب عن طريق عقبة (ضلاع) [٣] واحتل بهم درب بني شعبة ، ونكل بهم لقاء تعاونهم مع الشريف حمود ، ثم عاد عبد الوهاب إلى أبها ، في حين وصل وفد من الدرعية للوقوف على حقيقة الخلاف الواقع بين الجميع ولجمع الخراج ، وتكليف أمراء عسير بالشخوص إلى الإمام سعود بالدرعية فوافق عبد الوهاب وعرار بن شار أمير درب بني شعبة ، والشريف منصور بن ناصر أمير صبيا .

أما الشريف حمود أبو مسمار أمير (أبو عريش) فقد أناب عنه ابنه (محمد) والقاضي الحسن بن خالد ، وتعذر بحجة بقائه للدفاع عن بلاده من إمام صنعاء

٢- عسير - علي أحمد عسيري ، ص ١٢٦ .
٣- نفح العود - السابق ، ص ١٨٠ .
٤- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ٣٧ .
وعقبة - ضلاع - تنحدر من جنوب أبها نحو جيزان ، وقد شقتها الدولة وأقامت فيها الكباري المسلحة

وأظهر خلاف ما كان يبطن ، واتجه الجميع إلى الدرعية ترفعهم النجاد وتحطهم الوهاد ، عبر سلسلة جبال السروات حتى وصلوا بلاد الدواسر شرق منطقة بيشة ومنها إلى الدرعية حيث استغرقوا في طريقهم مدة ثمانية أيام [١].

ولما وصلوا إلى سعود استقبلهم أحسن استقبال ، وأكرمهم وأدناهم منه وبدأت المحاكمة في مجلسه بين أمير عسير عبد الوهاب وبين أمراء تهامة وقد اتضح لسعود أن عبد الوهاب كان على حق فأمر بإبقاء عرار بن شار لديه بالدرعية مكرماً ، وذلك لأنه أوقد نار الفتنة بين أمراء عسير وتهامة .

وأذن سعود لبقية الأمراء بالسفر إلى بلادهم وفي نفس الوقت أمر عبد الوهاب يغزو بلاد الشريف حمود أبو مسمار لمجرد الوصول إلى عسير وذلك لسوء نواياه وعدم انصياعه لأوامر أمير عسير وأنه لم يحضر إلى الإمام بالدرعية ولميله لأئمة صنعاء حيث كان الشريف حمود يراسل إمامها .

ولعلنا نخرج بعدة أمور نتيجة تباعد الشريف حمود عن إمام الدرعية منها :

- خوفه من الإمام سعود لوصول عدة شكاوى ضده من أمراء عسير وأشراف تهامة
- إحساس حمود بقوته الدفاعية ضد أي هجوم خارجي .
- ان كثرة الشكاوى ضد حمود والمراسيل لحضوره وتباطئه ورفضه لكل ذلك ومرور الزمن زاد من إطمئنانه وشعوره بالقوة أو زيادة تخوفه ويأسه من الإمام وبالتالي عدم المبالاة بما يقع مادام أنه قد رفض تلك الرسل مع إصرار الإمام سعود على حضوره شخصياً في حج عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م .

١- عسير - علي أحمد عسيري ، ص ١٢٧ .
- السراج المنير - السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

مقتل أمير عسير عبد الوهاب المتحمي في معركة بيش عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م

لما صدرت أوامر الإمام سعود بن عبد العزيز إلى أمراء الجهات الجنوبية بحرب الشريف حمود سارع أمير الطائف عثمان بن عبد الرحمن المضايفي العدواني بمقاتلين من قبيلة البقوم ولما وصلوا إلى تهامة المخلاف السليماني هاجمهم أهل بيش والجعافرة وأجهزوا عليهم قبل وصول قوات عسير [١].

وسار أمير عسير عبد الوهاب في جموع كثيرة ومعه رجال من أهل الرأي والمشورة فقد أرسل سعود من الدرعية محمد بن مقرن وغصاب العتيبي وفهاد بن سالم بن شكبان في أهل بيشة / ومشيط بن دهمان بشهران وابن قرملة في قحطان .

فاجتمع تحت إمرة عبد الوهاب خمسين ألف مقاتل[٢] .

وسلك بهم طريق عقبة (ضلاع) حتى وصلوا غربي وادي صبياء ، وضربوا خيامهم على ضفاف وادي بيش ، أما الشريف حمود فقد تجمع معه مايزيد على سبعة عشر ألف مقاتل من القبائل التهامية واليمنية ، منهم ثلاثمائة خيال .

وأخذ كل من الفريقين يخطط ويفكر في كيفية ضرب خصمه دون أن يصاب بخسارة في جانبه وطال انتظار الجميع وقد غر أمير عسير كثرة جنده وقلة جند

١- نفح العود في سيرة الشريف حمود - السابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٤٠ .

الشريف حمود مما جعل الأول يفكر في تطويق قوات الثاني لجعله بين فكي كماشة ولكن لله ما يشاء في قراره .

ففي صباح يوم الإثنين الموافق ١٩ جمادي ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م ، داهم الشريف حمود في كوكبة من خيالته المهرة مخيم عبد الوهاب الخاص دونما علم أو سابق استعداد فسارع لامتطاء جواده ودارت معركة بين الطرفين تصاول الفرسان فيها وانتهت بمصرع عبد الوهاب في الميدان [١] .

فهاجت قوات عسير ضد قوات حمود وغلبوهم واجبروهم على التقهقر إلى قلاع أبو عريش بعد أن أثخنوهم قتلاً [٢].

وبعد مقتل عبد الوهاب عقد رؤساء الجيش العسيري مؤتمراً للتشاور لإختيار أمير لهم فاتفقوا على :

١- أن يرفعوا الموضوع للإمام سعود بالدرعية لأخذ رأيه .

٢- تكوين هيئة استشارية حالاً لقيادة الجيش منهم طامي بن شعيب ابن عم عبد الوهاب ومحمد بن مقرن من أهل الدرعية ، وغصاب العتيبي ، والآخرين مندوبين عن الإمام سعود بن عبد العزيز .

أما قوات عسير فقد عادت لمحاصرة مدينة صبيا فسلم أميرها الشريف منصور بعد إعطائه الأمان مع بقائه أميراً لها وخروج حامية الأمير حمود بو مسمار منها منها وأبدالهم بحامية من عسير .

ووالى الجيش العسيري هجماته على قلعة ضمد حيث تعتصم بها قوات

١- تاريخ المخلاف السليماني - العقيلي جـ٢ ، ص ٥٧٢ .

٢- تاريخ المملكة العربية السعودية - ابن عثيمين ، ص ١٤١ .

لأبي مسمار قيادة الوزير حسن بن خالد الذي صمد بقواته ولم يسلم رغم استمرار محاصرتهم لمدة عشرة أيام .

وانسحبت قوات عسير إلى السراة مع بقاء حامية منها في قلاع صبيا كما أسف بعاليه [١].

وبهذا فقد حكم عبد الوهاب بن عام أبو نقطة عسير مدة سبع سنين من عام ١٢١٧ - ١٢٢٤هـ .

أهم أعمال عبد الوهاب الحربية :-

١- غزواته المتكررة لإمارة الشريف حمود أبو مسمار حاكم منطقة المخلاف السليماني .

٢- إرسال المجاهدين من وقت لآخر لصد هجمات إمام صنعاء من الناحية الجنوبية بشكل عام

٣- العمل على نشر الدعوة السلفية التي نادى بها إمامها الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله وأسندها الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه سعود بن عبد العزيز ومن سبقهم ومن تلاهم من آل سعود إلى وقتنا هذا ، وقد تمثل إهتمام عسير بذلك في الرسائل الأخوانية التي كان يبعث بها علماء عسير من آل الحفظي وغيرهم إلى الدرعية حيث كان يقيم الشيخ وأبناؤه .

٤- شن ثلاثة عشر هجوم على قوات أمير مكة المكرمة ومن والاه من الأتراك [٢].

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٢- تاريخ المخلاف السليماني - المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .

وأخيراً سقوطه من ظهر فرسه قتيلاً في ميدان الخيالة إبان حربه مع حمود بو مسمار عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م .

حروب الأتراك ضد منطقة عسير :-

حيث أن هجوم قوات الأتراك ودفاع سكان المناطق الجنوبية من البلاد السعودية - عسير - يكاد يكون متقارباً ومتشابهاً من حيث ظروف ومسالك البيئة .

لذا فإني سوف أجعله واحد ، فإنه منذ وصول أحمد طوسون بن محمد علي باشا إلى أرض الحجاز فإن قواته التي اتجهت نحو جدة ومكة ، دخلتها عام ١٢٢٨هـ دونما أي مقاومة تذكر ، لأن أميرها الشريف غالب بن مساعد سلم بذلك ، ورحب بطوسون وأنزله قصر القرارة [١].

وبهذا فإن تعاون أمراء المدن الحجازية وزعماء القبائل هناك مع قوات الغزاة الأتراك سهل مهمتهم ، وجعلهم يتغلبون على قوات السعودية مما أضطرها للخروج من مكة إلى مشارف الطائف بقيادة الأمير عبد الله بن سعود ، ولما وصل الطائف أمر أميرها عثمان المضايفي بالثبوت فيها والدفاع عنها ، وارتحل منها إلى العبيلا ثم إلى الخرمة ، جنوب شرق الطائف .

معارك تربه :-

كانت قوات طوسون بن محمد علي قد خرجت من مكة المكرمة في عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م لملاحقة قوات السعوديين التي خرجت من مكة إلى

١- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٦١ .

مشارف الطائف بقيادة الأمير عبد الله بن سعود ، ولما وصل إلى الطائف أمر عثمان المضايفي بالحفاظ عليها من غزو الأتراك ورحل إلى العبيلا كما أسلفنا ، ولكن المضايفي خاف ورحل من الطائف نحو الجنوب ، يوم الثلاثاء لسبع بقين من محرم أول السنة الثامنة والعشرين من الهجرة (١) .

وفي شعبان من العام نفسه وصلت قوات الأتراك إلى تربه ضمن زحفها نحو الجنوب وذلك بقيادة مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف غالب بن مساعد وراجح ، فحاصروا تربه ثلاثة أيام ورموها بالمدافع وكان معهم من قبائل غامد وزهران (٢).

فاجتمع المسلمون من بيشة ورنيه والخرمة مع قوات السعوديين وشددوا على قوات طوسون وهزموهم بحمد الله تعالى ، وغنموا خيامهم ومعداتهم وولى الترك منهزمين إلى جهات الطائف ، وظل عثمان المضايفي يطاردهم إلى أن استولى على حصن بسل ، لكن الشريف غالب ظل يحاصره حتى سلم وهرب وقتل رفاقه ، ولحقه مجموعة من العصمة وألقوا القبض عليه وسلموه لغالب ، الذي سلمه بدوره أسيراً لطوسون فأرسله إلى مصر ، وقد أورد بن بشر ما نصه عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الذي قال (وصل عثمان المضايفي صحبة المستفسرين معه إلى الريدانية آخر الليل وأشيع ذلك ، فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع مع القلعة إعلاماً وسروراً بوصوله أسيراً وركب صالح بك السلجدار في عدة كبيرة وخرجوا لمقلاقاته وإحضاره فلما واجهه صالح بك نزع من عنقه الحديد وأركبه هجيناً ، ودخل إلى المدينة وأمامه

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، ص ٣٣١.
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٥١ .

الجاويشية والقواسة الأتراك وبأيديهم العصى المفضضة إلى أن قال : فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق وأنزلوه في السفينة مع نجيب أفندي ووضعوا في عنقه الجنزير وانحدروا طالبين الديار الرومية) انتهى كلام الجبرتي والمضايفي هذا من قبيلة بني عدوان بالحجاز [1] .

قلت وهذا دأب القوات التركية فإنهم كانوا كلما أسروا أحداً من العرب فإنهم لا يتفهمون أوضاعهم بل يأسرونهم إلى مصر ثم إلى استانبول عاصمتهم لقتله أمام السلطان هناك وبهذا أذلوا العرب وسحقوهم ، وصفحات التاريخ تبين لنا إلى أي مدى تجاوزوا في تتريك اللغة العربية وهذا يدل على حقدهم الدفين للعرب .

ولما وصل محمد علي إلى الحجاز للإشراف على قواته بالجزيرة العربية وذلك في شهر ذي القعدة من عام ١٢٢٨هـ / ١٨٨٣م ، أمر بإعادة تدريب قواته بالحجاز تدريباً قاسياً لمدة ثلاثة أشهر ثم قرر أن يقودهم بنفسه لجهات الجنوب ، فجرد حملة ثالثة نحو الجنوب كانت مؤلفة من ألفي جندي نظامي وألف بدوي من القبائل الموالية له بالحجاز ، وخمسمائة خيال . وكان الإمام عبد الله بن سعود قد أرسل غصاب العتيبي إلى تربه في عشرين فارس وبعد سنة أرسل أخاه فيصل بن سعود إلى تربه كذلك لقيادة المسلمين هناك ضد حرب الأتراك .

فقابلهم أمير عسير طامي بن شعيب في حوالي عشرة آلاف مقاتل وبهذا اجتمع من العرب قرابة ثلاثين ألف وقيل أربعين مقاتل في تربة ، ونظراً لما

١- عنوان المجد في تاريخ نجد ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

تتمتع به القوات التركية من كثرة العدد والعدة وحسن التدريب والتنظيم وكثرة الإمداد ، بعكس المقاتلين السعوديين وتعدد قيادتهم وجبهاتهم فالنتيجة واضحة .

ومهما يكن فقد دارت المعركة بين الجانبين على ضفاف وادي تربه ، ولما كانت القوات التركية متفوقة فقد انهزم السعوديين أما ضغوط الأتراك ، فانسحب فيصل نحو الخرمة ومنها إلى نجد ، أما طامي فانسحب بعسير إلى القنفذة لحمايتها من القوات التركية ، وتغلب عليهم بحمد الله [١].

أما غزو الأتراك لتهامة عسير ، فقد أرسل طوسون فرقة من قواته أبحرت إلى القنفذة بدلائل الشريف غالب بن مساعد أمير مكة المكرمة ، وذلك لضرب قوة عسير من الخلف واشغالهم عن مساعدة قوات نجد في تربه .

وكان في القنفذة قوة من عسير قوامها خمسمائة رجل فهزموا الأتراك الذين ولوا مدبرين إلى جدة . ولما وصل محمد علي إلى الحجاز سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، أرسل قوة بحرية مكونة من أربعين سفينة أبحرت من جدة إلى القنفذة ، وقال ابن بشر أنها كانت في جمادي من سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م ، ولما وصلوا هناك رموها بالمدافع .

وكان طامي بن شعيب أمير عسير في طريقه إلى الحجاز لصد قوات الأتراك بقوة قوامها ثمانية إلى عشرة آلاف رجل ، فاشترك في معركة بسل مع الأمير فيصل بن سعود ، وبعدها أسرع إلى القنفذة وجرت بين قواته

١- عسير - محمود شاكر ، ص ١٦٢ .
- الدولة السعودية الأولى ، المرجع السابق ، ص ٦٤٠ .
- تاريخ المملكة العربية السعودية - المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٨٩ .

والأتراك معركة انتهت بهزيمة الآخرين ، وقتل قائدهم وأغلبهم ، وهرب الباقون إلى جدة ، وغنم العسيريون منهم خمسمائة من الخيل وألف خيمة ، وعدد من المدافع والعتاد ، وعقب ذلك أدرك محمد علي أن الوصول إلى سراة عسير هو من الشرق وليس من تهامة [1] .

وبعد أن اكتسحت قوات محمد علي المناطق الواقعة جنوب الطائف أخذت في استرداد أنفاسها ، ثم واصلت سيرها نحو الجنوب للوصول إلى أبها والقضاء على مضاجع قوات عسير ، لإمكان التفرغ لدخولهم إلى نجد وأكمل الهيمنة التامة على أرض الحرمين الشريفين ، ومحاولة محمد علي إستكمال خطط إقامة دولته التي كان يرمي إليها ، والإنفصال عن الدولة العثمانية ، التي كانت تعتبر نفسها وريثة الخلافة الإسلامية امتداداً للخلافة العباسية .

قلت ونظراً لأن المنطقة الجنوبية يكثر سكانها في قمم سراتها بحكم وجود آبار المياه المحفورة منذ القدم وصلاحية التربة الزراعية ووجود مأمناً من مخاوف الغزوات الخارجية ، إذ نجدهم أقاموا أغلب منازلهم وحصونهم وقلاعهم على قمم الجبال والصخور ، وسفوح الجبال الوعرة المسالك والتي يصعب الوصول إليها من غير ساكنيها وبالتالي فإن وسائل نقلهم من الدواب كالجمال والحمير ، تكان تسير بحمولتها .

فإن قوات مثل قوة الأتراك فيها الخيل والبغال والجمال المحملة بأرتال السلاح والذخائر والمدافع الخفيفة والرشاشات يصعب عليها ولأول مرة السير

١- عنوان المجد في تاريخ نجد ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
- الدولة السعودية الأولى ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

في طريق السراة الجنوبية من بلاد بني مالك وبالحارث جنوب الطائف حتى تصل أبها .

ولهذا سلك بهم أدلاء أمير مكة الطريق الشرقي المحاذي لجبال السروات المار بتباله فبيشة فالى خميس مشيط حتى وصلوا طبب مركز أمير عسير .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوضح بأن للجنوب ثلاثة طرق هي :

١- الطريق الساحلي : طريق تهامة ويتجه من الحجاز - مكة المكرمة ، إلى الليث فإلى الجهات الجنوبية حتى تهامة عسير وجيزان ، ومن تلك الجهات تنفذ طرق إلى السراه من خلال العقبات سواء في الزمن السابق أو الحاضر الباهر الذي شقت فيه صم الجبال الرعن وجعل منها طرق سهلة تصل المسافر من تهامة إلى السراة في أقصر وقت ممكن والعكس ، وذلك بفضل الله ثم بفضل جهد حكومة خادم الحرمين الشريفين وفقهم الله لكل خير آمين وقد مررت بنصف هذا الطريق من المجاردة الى مكة المكرمة في ربيع عام ١٤٠٧هـ ، وعام ١٤٠٩هـ .

٢- طريق السراة : وهذا الطريق يبدأ من الحجاز متجهاً نحو الطائف نافذاً من خلال الجبال والأودية إلى السراة الجنوبية ومارا بالقرى المستقرة حتى يصل إلى أبها ومنها إلى جيزان ، والآن يشقها خط الطائف - أبها - جيزان ، البالغ طوله حوال ٧٥٠ كم وهذا الطريق أعبره كلما ذهبت من الرياض إلى الطائف - فإلى خميس العرق .

٣- الطريق الشرقي : وهذا الطريق يتفرع من طريق السراة المعبد إلى تربة البقوم وزهران وإلى بيشة من مدينة العلاية ، ومن أبها والخميس

يصلها خط بيشة والحمد لله ، وهناك شبكة طرق تربط المدن الشرقية في القديم والآن مثل طرق رنيه ، إلى تربه ، ورنيه إلى الخرمة شمالاً وإلى بيشة جنوباً .

حصن بخـروش :-

في شهر شوال من عام ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م ، زحفت قوات محمد علي باشا من الحجاز نحو الجنوب في قرابة عشرين ألف مقاتل . قابلهم أمير عسير طامي بن شعيب في نحو عشرة آلاف مقاتل من عسير وزهران وغامد بقيادة بخروش بن علاس الزهراني من قبيلة قريش .

ووقعت بين الطرفين معركة حامية الوطيس ، استبسل فيها العسيريون جميعاً وقاتلوا قتال من لا رجوع له واظهروا براعة فائقة في قتالهم ضد الأتراك الذين غزوهم في عقر دارهم ، وتغلبوا عليهم وقتلوا منهم قرابة ألف رجل وولى الترك مدبرين إلى جهات الطائف [١] .

ولكن الأتـراك وضمن زحفهم وقـوة سيطرتهم على الجهات العسيرية من البـلاد السعودية استطاعـوا بالخديعة أن يأسروا طامي بن شعيب وبخروش بن علاس .

وقد أورد الدكتور محمد الزهراني في كتابه بلاد زهران وصفاً لنهاية القائد بخروش نقلاً عن كتاب (حكام مكة) للكولونيل ديجوري إذ قال : كان بخروش عبوساً ساكناً ، وفي ليلة من الليالي وجد بخروش حراسه نياماً فحل وثاقه وهرب وعندما درى الحراس بهروبه تعقبوه ولما اقتربوا منه قتل

١- عنوان المجد في تاريخ نجد ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٦٨ .

بعضهم وجرح كثيرين منهم ، وأخيراً وقع في أسرهم وجئ به إلى محمد علي باشا ، وسأله لماذا هربت وقتلت الجنود ؟ فقال له : مادمت حراً مطلقاً أعمل كما أشاء . فرد عليه الباشا : سأعاملك بنفس المعاملة . وأمر برد الأغلال عليه ، وإيقافه وسط الجنود ثم أمر الجنود المحيطين به أن يطعنه كل واحد منهم طعنة غير قاتلة برأس خنجره إطالة في تعذيبه . وتلقى الزعيم تلك الطعنات بصمت وشجاعة ولم يتنفس بكلمة تشعر بأنه نادم على ما وقع منه أو يستعطف الباشا ، وأخيراً قطع أحد الجنود رأسه ، وأرسل إلى استانبول مع طامي بن شعيب الذي أعدم هناك فيما بعد [1] .

ومن هذا النص يتضح لنا مدى تفنن أولئك الأتراك الغزاة في سفك دماء العروبة واستباحة محارمهم ، وارسال رأس بخروش مع زعيم عسير الذي قتل هو الآخر وغيرهم هناك دلالة على تعمدهم في إرهاب قادة الجزيرة العربية .. وإذلالهم .

معركة بسل :-

في أول سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م أرسل الإمام عبد الله بن سعود أخاه فيصل بن سعود من نجد إلى تربة لقيادة المسلمين في حروبهم ضد قوات محمد علي ، فسار فيصل ومعه قوات عددها عشرة آلاف رجل ، وقابله هناك طامي بن شعيب أمير عسير في نحو عشرين ألف مقاتل ، فاجتمعوا في - غزايل - وهو بئر كبير واسع غزير الماء ، ويقع جنوب الطائف بعد بسل وقبل تربه ، ويمر به خط الطائف - أبها الآن ، وقد أورد ابن بشر نصاً عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد عبد الوهاب ما قاله :

١- بلاد زهران - المرجع السابق ، ص ٣٧ .

« وبعد وفاة سعود - رحمهم الله جميعاً ١١٦٥ - ١٢٢٩هـ / ١٧٥١ - ١٨١٣م تجهزوا للجهاد على اختلاف كان بين أولئك الأولاد ، فصار المسلمون جانبين ، جانب مع عبد الله وجانب مع فيصل أخيه ، فغزى الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربه بإختيار وأمر من أخيه له فوافق أن محمد علي حج تلك السنة فراسل فيصل هناك فطلب منه أن يصالحه على الحرمين فأبى فيصل وأغلظ له الجواب ، وقال شعراً :

لا أصلح الله منـــا من يصالحـــكم

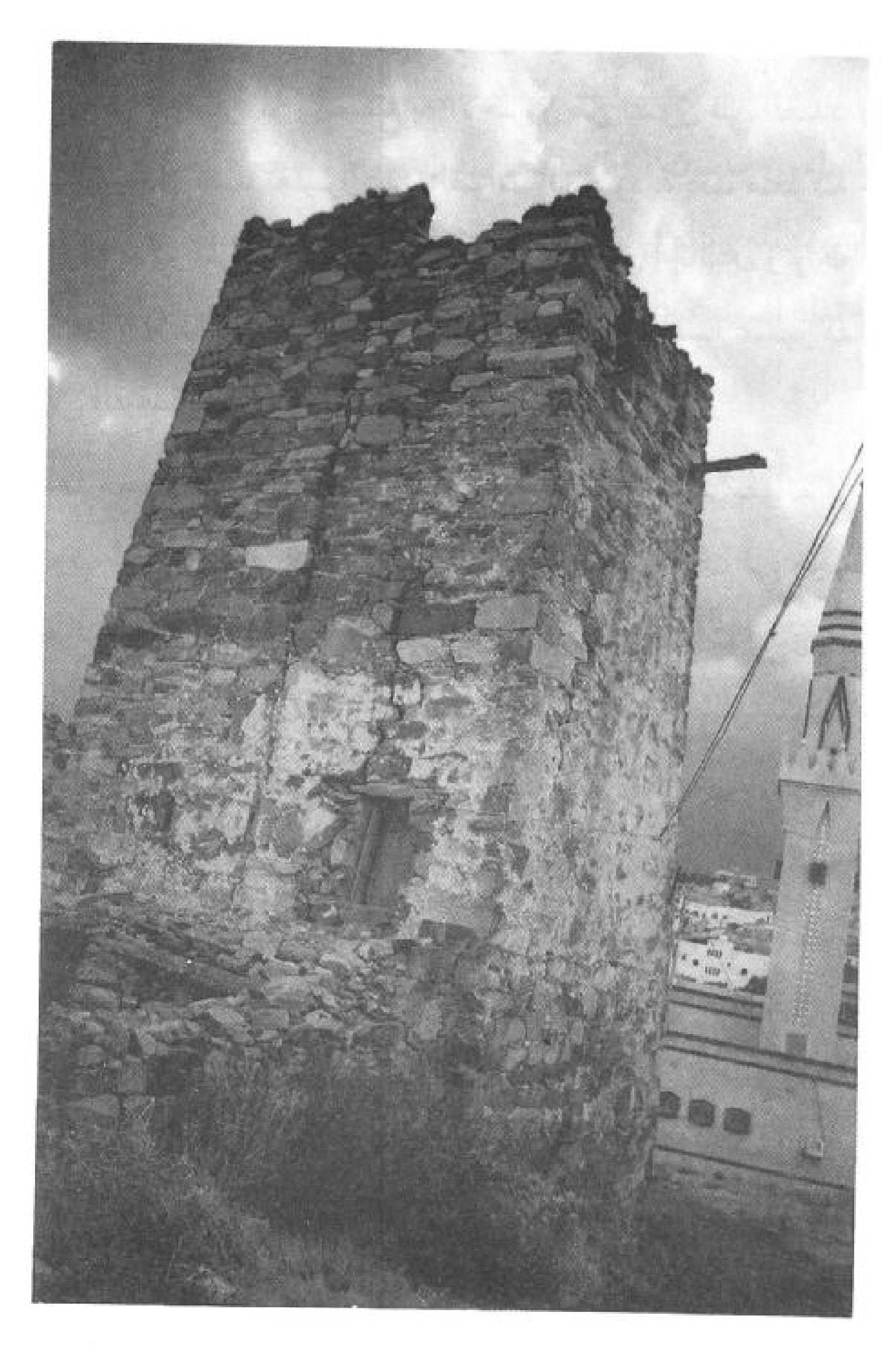
حتي يصالـــح ذئب المعـــز راعيـــها

فأخذت محمد علي العزة والأنفة فسار إلى (بسل) الظاهر أنه كان حريصاً على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا إليه في بسل وقد استعد لحربهم خوفاً مما جرى منهم ، فاقبلوا وهم في منازلهم فسارت عليهم العساكر فولوا مدبرين لكن الله عز المسلمين فحبس عنهم تلك الدولة والخيول حتي وقفوا على التلول فسلم أكثر المسلمين من شرهم واستشهد منه القليل ولابد في القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه » انتهى كلام الشيخ عبد الرحمن .

وقد ذكر الشيخ هاشم النعمي في مؤلفه تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، جـ ٣ أن القوات السعودية القادمة من نجد إلى بسل وتربه كانت بقيادة الأمير تركي بن سعود ولكنى أرجح قول ابن بشر بأنها بقيادة فيصل بن سعود لأنه أقدم من النعمي وأقرب لتلك الحوادث .

ومهما يكن فقد التقى الجمعان من قوات السعوديين وقوات محمد علي في بسل ، ونظراً لما يتمتع به الآخرون من تفوق في العدد والعدة وتوحيد القيادة فقد تغلبوا على القوات السعودية بعد معركة حامية الوطيس لم تذكر المراجع التاريخية عدد قتلاها من الجانبين وتراجع فيصل بمن معه إلى جهات نجد لحمايته أما طامي بن شعيب أمير عسير فقد اسرع بقواته إلى القنفذة لصد هجمات الترك المرسلة إليها .

وأما محمد علي باشا فقد أخذته نشوة النصر واستمر بقواته في السير نحو الجنوب للقضاء على قوات عسير لئلا تطعنه من الخلف في هجومه على عاصمة الدولة - الدرعية - ورغم مقاومة سكان الجهات الجنوبية ، فقد اكتسحها محمد علي في تربه ورنيه وتباله ثم بيشة فخميس مشيط إلى أن وصل مركز عسير حينذاك - طبب .



(حصن حربي عمره أكثر من مائتي سنة ببلدة خميس العرق مسقط رأس المؤلف)

إمارة طامي بن شعيب المتحمي

١٢٢٤ - ١٢٣٠هـ / ١٨٠٩ - ١٨١٤م

بعد مقتل أمير عسير عبد الوهاب بن عامر (المتحمي) التف أهل عسير حول أخيه ابن عمه طامي بن شعيب وبايعوه بالإمارة في شهر رمضان عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م [١] . ولما وصل خبر وفاة عبد الوهاب إلى الإمام سعود بن عبد العزيز بالدرعية أرسل لعسير خطاب تعزي في فقيدهم وأصدر أمر يجعل طامي أميراً لهم [٢] .

وأخذ طامي بن شعيب المتحمي في النظر لأمور الإدارة وبعث رسالة إلى الإمام سعود بالدرعية يطلب منه مدداً لحرب الشريف حمود بن محمد أبو مسمار الذي كان مصدر أزعاج لإمارة عسير منذ بدايتها سنة ١٢١٥هـ ، فارسل له سعود أمير قحطان نجد (حشر العاصمي) في قوة كبيرة ، ولما وصل إلى طامي اتفقا على أن يغزو (طامي) بقوته أبو عريش من الجهة الجنوبية وأن يغزو (حشر) عن طريق جيزان .

وركب العسيريون سفناً في البحر استولوا عليها وبعد حصار دام شهرين (لأبي عريش) استسلم أبو مسمار على أن يقابل الإمام سعود وجعل (طامي) ابن عمه محمد بن أحمد المتحمي قائداً لحامية أبقاهم في قلعة صبيا قوامهم مائة وخمسين رجلاً [٣].

وفي شهر الحجة من عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م زحفت قوات أبو مسمار

١- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود - المرجع السابق ، ص ٢٥٦
- صورة مخطوطة لدى المؤلف - المرجع مجهول ، ص ٩ - ١٠
٢- تاريخ الدولة السعودية - المرجع السابق ، ص ٨٣ .
٣- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

لحصار صبيا واسترجاع قلعتها فذعروا أهلها الذين لا ذوا بالمسجد فلم ينجو من القتل ودمرت لتلك القوة حصن (حسين بن عسمينه) [1] .

وفي شهر محرم عام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م زحف أمير عسير طامي بن شعيب في ألف مقاتل إلى تهامة لفك حصار حاميته بصبيا فوصلت أنباء ذلك إلى صنعاء فأرسل أمامها ألف مقاتل لمساعدة الشريف حمود ضد السعودية ، وأرسل الأمام سعود عثمان بن عبد الرحمن المضايفي أمير الطائف بقوة بلغت خمسة آلاف مقاتل وقابله أمير عسير بأربعة آلاف رجل في الشقيق ميناء عسير آنذاك ، وبهذا عزلت اتصال أبو مسمار بالبحر[2] .

هاجمت القوات السعودية ميناء اللحية ودمروا قوة للشريف التقت بهم على ماء العيسية ، ونهبوا أموالهم وأخذوا ذهباً وفضة وقماش ولؤلؤ وحرير وقتلوا من قاوم نشر الدعوة السلفية في اللحية [3]. واسم هذا الميناء يذكرني بما قاله جدي المرحوم مشبب بن عبد الرحمن حيث قال :

شفت سبعة بوابير مشت ميد اللحية   والا هي جات من مرسى عدن والا زبيد
جعل كهل المشومة سم لسود والأحيه   واخذك يا بوابير الدول تنحاز بيدي [4].

ولما علم الشريف حمود بهذا الزحف الكثيف نادى بالنفير في القبائل التابعة له ، ونزل فيهم في مكان يسمى (بربر) [5]. بالقرب من القوات

١- نفح العود - المرجع السابق ، ص ٢٥ .
٢- عنوان المجد في تاريخ نجد - المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣١٢ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٤٦
٣- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٦٦ .
٤- مقابلة مع أمرأة من اقارب الباحث مسنة توفيت عام ١٣٩٤هـ
٥- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

العسيرية والحجازية الذين ألقوا القبض على رجلين من قوم الشريف ، وأخبروهما - بأنهم عازمين على إبادة الشريف وتأمين جنده ولما بلغ الشريف خبرهم قال :

نحن بني الحروب فما لنا　　　نعافها هيهات من أن نعاف

نحن الذين ما عرف خيلنا　　　يوم الوغى الأطعان المصاف [١].

ومما يؤكد غزو الأمير طامي بن شعيب للبلاد التهامية قول أحد علماء آل الحفظي (ثم قام بالأمر بعد - أي بعد مقتل عبد الوهاب - طامي بن شعيب وذلك في شهر رمضان في سنة ١٢٢٤هـ أربع وعشرين ومائتين وألف ووقع له وقاعاته وغزوات طايلات غزا اللحية بعسير وأغار بهم إلى الحديدة وغزا الصفرا وغير ذلك فاستمر ملكه وإمارته في سنة أربع وعشرين بعد المئتين وألف إلى سنة ثلاثين ومئتين وألف وكان - يقصد هذا التاريخ وصول محمد علي ومن معه من الأتراك إلى طبب)[٢] .

وفي اليوم التالي التقت القوات العسيرية مع قوات الشريف حمود في مكان يسمى (الوحلة) واحتدم الوغى بين الجانبين وتصاول الفرسان فكانت الغلبة للقوات الغازية وانهزمت خيالة الشريف واحيط بهم من كل جانب ومكان ، ولكنه هرب ليلاً إلى (أبي عريش) ولحقت به فلول قومه تاركين على أرض المعركة الشريف منصور بن محمد الحسني وسعود بن عمر بن عثمان ومن جانب رجال عسير الفقيه بن يحيى بن شايع العسكري [٣].

١- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٢- صورة مخطوطة - لدى الباحث ، ص ١٠ .

٣- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٦٧ .

- نفح العود - المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

وقد أورد القاضي الفاضل هاشم النعمي في مؤلفه تاريخ عسير أن صاحب صعده الأمير محمد بن علي الحسني قام بالصلح بين الأمير حمود بن محمد أبو مسمار والإمام سعود بن عبد العزيز إمام الدرعية عام ١٢٢٦هـ على أن يتنازل الأول عن حقوقه في صبيا والدرب وبيش مع دفع خراج سنوي للثاني مقابل أن يكف السعوديون عن محاربته (١).

ووكانت نتائة الصلح كالآتي :

١- من منطقة صبيا شمالاً تابعة لابن سعود تحت أنظار أمير عسير طامي بن شعيب .

٢- من ضمد وجنوباً بما فيه ميناء جازان حتى تخوم زبيد تابعة للشريف حمود بن محمد أبو مسمار أمير منطقة (المخلاف السليماني) .

وانسحب الشريف حمود إلى (بربر) وأرسل أربعة من بني عمه بهدايا إلى الإمام سعود لتهدئة الوضع بينهما ، واستمر الشريف حمود في إرسال الخراج وأخماس الغنائم إلى الدرعية ولكن الإمام أرسل عمالاً إلى إمارة (أبو مسمار) لجبي الزكاة بأنفسهم فاعتبر الأخير ذلك تدخلاً في شئون إمارته وقتل أولئك العمال وعزل العلماء السعوديين وبدأ يتعامل مع الترك المصريين حين دخولهم الحجاز سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وظل يعاديهم إلى أن توفي سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م (٢).

وقد استمرت إمارة طامي بن شعيب من سنة أربعة وعشرين بعد المائتي الألف

١- تاريخ عسير – المرجع السابق ،ص ١٤٧ .

٢- شبه جزيرة العرب – عسير – محمود شاكر ، ص ١٦٠ .

إلى سنة ثلاثين ومئتين وألف الموافق لدخول الترك طبب ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م [١].

والجدير بالذكر أن الأمير طامي بن شعيب قاد الغزوات التالية :

١- قاد قوات عسير لمقاومة قوات محمد علي باشا في القنفذة سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م ، واستولى على آبار الماء ومنع الترك منها فحدثت معارك بين الطرفين وقتل كثير من الترك وبالرغم من إرسال محمد علي فرقة من الخيالة لإمداد قوتهم بإن النصر كان بإذن الله حليف قوات طامي فأرسل من الحجاز كذلك قوة بحرية فهُزمت [٢].

وسلبت قوات عسير كثيراً من ذخائر وعتاد الترك وفيها خمسمائة رأس من الخيل في شهر جمادي الآخر سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م أثناء معاركهم في القنفذة كما اسلفت سابقاً .

٢- قاد قوات عسير لمقابلة جيش محمد علي في بلاد زهران وغامد واستولوا على معداتهم وذخائرهم الحربية [٣].

٣- اشتراكه مع عثمان المضايفي أمير الطائف آنذاك وقوات من قحطان لحرب الشريف حمود بن محمد أبو مسمار في عدة وقائع منها (بربر) وقد انتهت باستسلام أبو مسمار كما سبق معنا .

ولكن نهاية الأمير طامي بن شعيب كانت مؤلمة حيث أن الأتراك القوا عليه القبض وكبلوه بالحديد عقب دخولهم (طبب) مركز عسير حينئذ في

١- صورة مخطوطة - المرجع السابق ، ص ١٠ .
٢- عسير - علي أحمد عسير - المرجع السابق ، ص ١٣٠ .
٣- تاريخ المخلاف السليماني ، ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

عشر من ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م [1] . وذلك بمساعدة الشريف حسن بن خالد وزير الشريف حمود وقائد قواته ومستشاره الخاص . فقد ألقوا القبض عليه في مكان يسمى مسليه .

وكان له فيها مال وسلاح وعدة ، وقال الجبرتي واصفاً حال طامي ، وأعتقد أنه لما وصلوا به مصر قال : « دخّلوا طامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم اللحية ، وهو لابس عباءة عبداني ويقرأ وهو راكب وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع » [2].

١- صورة مخطوطة - المرجع السابق ، ص ١٠ .
٢- عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ١ ، ص ٣٧٥
- القسم الثاني من الجزء الأول من تاريخ المخلاف السليماني ، ٥٧٣ .

إمارة محمد بن أحمد المتحمي

١٢٣٠ - ١٢٣٣هـ / ١٨١٤ - ١٨١٧م

تولى محمد المتحمي إمارة عسير برأي أهل الحل والعقد فيها بعد طامي بن شعيب وقد دانت له تلك الجهات خوفاً من بطشه لأنه كان قاسياً محباً للبطش وتساعد هو وعلي بن مجثل زعيم قبيلة بني مغيد آنذاك في تأديب القبائل التي والت القوات التركية أثناء زحفها علي عسير مثل قبائل رجال ألمع وتهامة محايل والقنفذة فأمر بإحراق بيوت في محايل بتهامة عسير (١).

وفي نفس الوقت أراد بذلك دك المعاقل الموالية لإمارة أبو عريش ثم غزوهم انفسهم انتقاماً لفعلهم في أسر ابن عمه الأمير طامي بن شعيب الذي اعتقله الترك ولكن الشريف الحسن بن خالد الحازمي قابل العسيريين قرب درب بني شعبة ودارت بين الطرفين معركة في ١٧ رجب عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م انتهت بانتصار قوات بومسمار (٢).

وكان محمد علي باشا قد أبقى حامية في طبب مركز عسير مزودة بالمدافع والذخائر فخرج إليهم أهل عسير بقوتهم فتمكنوا من قتل بعضهم والبعض فر هارباً إلى أرض الحجاز (٣).

وما أن ترامت هذه الأخبار إلى مسامع محمد علي باشا حتى أمر بخروج حملة ثانية من الحجاز إلى عسير ، ففي شهر شعبان من

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - المرجع السابق ، ص ٧٢ .
٢- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م، الموافق لحصار الترك الدرعية - خرجت تلك الحملة وكان أحد قادتها سنان آغا وقد وصلت أخبارها أمير عسير محمد المتحمي فطلب المساعدة من أمير أبي عريش محمد بو مسمار فلبى الطلب .

وأرسل أبو مسمار قوة بقيادة الشريف الوزير حسن بن خالد الحازمي وحسن بن عطيف الحكمي وتقابل مقاتلو عسير كافة والأتراك في معركة حجلا [١].

واشتبك الطرفان في معركة قوية قتل من الأتراك ألف رجل مع زعيمهم سنان آغا ولا تزال آثار مقابرهم ماثلة للعيان في عدة مواقع ، وبعد نهاية المعركة انسحبت قوات أبي مسمار إلى تهامة بعد إجراء بعض المفاوضات مع قادة عسير ، وقد قتل في تلك المعركة الشريف منصور بن ناصر من أمراء المخلاف السليماني .

وفي يوم الإثنين الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م توفي الأمير محمد أبو مسمار أمير أبي عريش ، وقيل أن وفاته كانت بسبب خطة قتل دبرها أمراء عسير ودفن في مقابر (الملاحة) بعسير [٢].

وقد ورد في بعض الوثائق التركية المرسلة من حسن باشا محافظ مكة المكرمة إلى والي مصر قوله (وبعد أيام وردني من جمعه آغا في القنفذة مكتوب وفيه أنه خلال الحرب التي حصلت في عسير سقط الشريف حمود

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، ص ٤٢٧ .
- نفح العود - المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .
٢- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٧٤ .
- من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي ، ص ٧٤ .

جريحاً وبعد ٨ أيام مات) إلى أن قال في منتصف تلك الرسالة المؤكدة بوفاة الشريف حمود أبو مسمار (ولكن في تاريخ عريضتي هذه جاءت إلى جدة سفينتان من لحية وجازان فقالت جماعتها بأنهم سمعوا قبلاً خبر وفاة الشريف حمود متأثراً بجراحه في بلاد عسير في ديار طببك وفي قرية الملاحة بعد ٨ - ١٠ أيام قضاها في الفراش وأن وجوده قد زال من عالم الوجود) [1]. .. الخ .

وهذا النص يؤكد وفاة أبو مسمار من قبل بعض رجال عسير ووفاته هناك ثم دفنه ، و إليك نص الوثيقة التركية « المخطوطة » .

رسالة من حسين باشا محافظ مكة إلى والي مصر عن وفاة بو مسمار :

يقول (قبل أيام تجرأت بتقديم بيانات مفصلة عن الحركات العدائية ومنازلتها في جانب اليمن ، وبعد أيام وردني من جمعه آغا في القنفذة مكتوب وفيه أنه في خلال الحرب التي حصلت في عسير سقط الشريف حمود جريحاً وبعد ٨ أيام مات وأنه قد تلقى هذا الخبر من ملجأه عند رجال ألمع وما حولهم من شتات العرب وبعد أيام أخرى تلقيت من الآغا المذكور ومن الشريف ابن حيدر ما يؤكد الخبر نقلاً عن الشريف علي والمشايخ المعتمدة ، كما وأن سليمان بك الذي أرسل إلى بيشة ووادي الدواسر حصل على هذا الخبر كما حصل عليه الشريف منديل وغيره من الشرفاء وقالوا بأنهم سمعوا به ، أما جماعة السفن التي وردت جدة من اليمن فقد قالوا بأن لا أثر لهذا الخبر الذي سمعوه في مرفأ القنفذة . ولما كان تحقيق هذا الخبر

١- الوثيقة رقم ١٩٥٣٠ ٢/٢/٣٩ في ٧ / جمادي الأولى عام ١٢٣٣هـ داره الملك عبد العزيز .

لديّ لم يقترن بالثبوت فاني توقفت عن إخبار ولي نعمتي به . ولكن في تاريخ عريضتي هذه جاءت إلى جدة سفينتان من لحية وجازان فقالت جماعتها بأنهم سمعوا قبلاً خبر وفاة الشريف حمود متأثراً بجراحه في بلاد عسير ، في ديار طبيك وفي قرية الملاحة بعد ٨ - ١٠ أيام قضاها في الفراش وآن وجوده قد زال من عالم الوجود تطابقاً مع هذا الخبر الوارد من جانب البحر فقد تحققت من اتباع الشرفاء والأمير المذكور في بيشة ما يجرؤني للأخبارية مع التصحيح وان جميع دائرة الشريف المتوفي قصدوا أبو عريش وهي مأواهم القديم على أن حسن بن خالد معه ١٥٠ من الخيالة انضموا إلى محمد بن أحمد ومن يلوذ به من الأشقياء في عسير وهم يحركون الفساد نحو شهران . وأما في بيشة حيث الشرفاء والخيالة العثمانيون فهم أحياناً يتصادمون مع عربان قحطان أو مع المحلات القريبة من الدواسرة وكانوا في كل غزواتهم ظافرين بحمد الله ، وأن رئيس البنادقة محمد آغا وحسن آغا وبكر آغا فهم متمكنين في أطراف حلي ومحايل والقنفذة ، ولمجرد عرض العبودية تجرأت على تقديم هذا سوق حال [1].

وخلف الشريف أحمد بن محمد والده في إمارة أبو عريش ، والأمور متوترة في تلك الجهات فالأتراك وإن كانت قواتهم منشغلة بالقضاء على إمارة الدرعية خلال عام ١٢٣٣هـ فإن لديهم من قوة العتاد والرجال ما يمكنهم من إرسال الحملة تلو الحملة إلى جهات عسير وتهامتها ، وغيرها من أقطار الجزيرة العربية حتى تمام الإستسلام لهم أو القضاء عليها ، ذلك لأن الإمارات العربية ضعفة ، ولم يعد يجتمع لهم شتات ، وتفشى بينهم

١- وثيقة رقم ١٩٥٣٠ - ترقيم ٢/٢ - ٣٩ دارة الملك عبد العزيز

الجهل والفقر آنذاك ، ولد سر أهل عسير بهزيمة الحملة الثانية من قوات الأتراك ووفاة الشريف أبو مسمار الذي كان يتطلع دائماً إلى الإستيلاء على عسير ، وزعمائها هم الآخرين يشنون الغارة تلو الغارة لإبقاء تهامة تحت لواء الدعوة الوهابية .

ولم يدم سرور عسير بهزيمة أعدائهم فلم تكد تصل الأخبار إلى محمد علي باشا حتى أمر بإرسال حملة (ثالثة) عام ١٢٣٤هـ /. ١٨١٨م إلى عسير وتهامة يتقدمهم الشريف محمد بن عون أمير مكة المكرمة والباشا خليل ، حيث كان طريق الثاني تهامة حتى وصل أبو عريش وأسر أحمد بن محمد [١] . واستولى على ممتلكاته . وتوفي خليل آغا خلال تلك المدة [٢].

أما القوة التي قادها الشريف محمد بن عون فكان طريقها السراه العسيرية حتى وصل بهم (طبب) مركز عسير آنذاك واكتسحوا قوات عسير وأسروا أميرها محمد بن أحمد المتحمي وأرسل هو وأقاربه تحت الحراسة المشددة إلى مصر [٣].

وأودعوا سجون مصر وكان الأمير محمد بن أحمد المتحمي يبعث هو ابنه مداوي بالقصائد الشعرية إلى عسير ، وقد أتت تلك القصائد معبرة التعبير الصادق عما كان يجيش في صدورهم من لوعة الغربة عن ديارهم وما لا قوه من الإهانة في سجون الترك بالقاهرة وقوة الحنين إلى مسقط رؤوسهم في

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .
٢- عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ - المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .
٣- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٧٤ .
- نفح العود في سيرة الشريف حمود - المرجع السابق ،ص ٢٩٨ .
- موجز تاريخ بلاد عسير ج١ للمعقيلي - المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .

السراه العسيرية ، وإلى طيب المقام والمكانة التي كان المتاحمة يعيشونها ، ومما قاله محمد بن أحمد المتحمي :

وقد كنت قبل اليوم أرجي وأتقي
وتصغر عند معظمات العظائم
فأبدلني أضدادهن وزادني
في البين والأحزان دهر المظالم
سقى الله أوطاناً تحف بتهللٍ
وجاد عليها هاطل متراكم
منازل حلتها مغيد وعلكم
ومالك والأحلاف من عهد آدم [1].

ومما قاله مداوي بن محمد بن أحمد المتحمي وهو سجيناً في مصر :

تحية صب قد برى الشوق جسمه
وأدمعه من حر نار الجوى تجري
فياحبذا تلك الديار وان نأت
ولا حبذا مصر وإن كنت في مصر
وقد كنت في عرف اللوى أسعد الورى
وحولي قوم يعرفون به قدري
فطوراً تراني رأس حصن مشيد
وحينا بأبيات تراني من الشعر

١- الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية - المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

وطوراً تراني بالنماري وتارة

بخوبر بين الشيح والرند والنهر

ويوماً بأعلى شعب قارة طاب لي

نعمت بغيد فيه كالأغصن الخضر

وقد طرزت كف الغمام رياضة

بنيت نمى بين المسيل والوعر

فيا أيها الريح اليمانية ابلغي

بني عمنا مني سلاماً بلا حصر

فلولاهم ما حزني البين والنوى

فإني على ضيم الزمان لذو صبر

فجسمي بمصر والفؤاد لديهم

ودمع عيوني بلّ ساكبه حجري

وإن جد بي شوقي فبيني وبينهمو

قفار ترد الريح منحطم الصدر (١)

١- الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية - المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

علاقة عسير بمكة المكرمة قبل الإسلام وبعده

كانت القبائل الجنوبية أول من سكن مكة المكرمة ومنهم قبيلة خزاعة وقبلها جرهم وكان لهم دور فعال في تنشيط الحج إلى البيت الحرام اذ لا تزال آثار مرورهم بطرق السراه ماثلاً من خلال كتاباتهم وبعض النقوش على بعض الحجارة والقلاع وموارد المياه الكائنة على طريق الحج .

وليس أدل على ذلك من رحلة الشتاء والصيف الوارد ذكرها في سورة (قريش) حيث كانت قوافل التجارة القرشية تتجه شتاءً إلى الجنوب وصيفاً إلى الشام ، وكان هاشم بن عبد مناف واخوته يعقدون تحالف مع رؤساء العشائر الجنوبية لتأمين طرق التجارة من مكة إلى موانئ الجنوب عبر سراه عسير وتهامتها ونجدها .

حيث كانت تلك القوافل يصل عددها إلى مايقارب ألف وخمسمائة جمل تبلغ قيمة حمولتها حوالي خمسين ألف دينا من أنواع البضائع الصادرة من الهند إلى موانئ الجنوب الغربي كالذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج والتوابل ... الخ .

وكذلك خشب الصندل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والبخور والعطورات ، ولما ظهرت دعوة الرسول (ﷺ) سارعت قبائل عسير إلى ارسال وفداً برئاسة صرد بن عبد الله مع أول الوفو د لمبايعة الرسول (ﷺ) ومعرفة تعاليم الإسلام السمحة ، وقد أوضحت ذلك في موضوع بعنوان (منطقة عسير في التاريخ في هذا البحث) حيث انهم استقبلوا الإسلام بصدور منشرحة وأثنى عليهم الرسول (ﷺ) .

وفي مجال العلم برز منهم أبو هريرة رضي الله عنه الصحابي الجليل والطحوي وخلافهما ممن لازم الرسول (ﷺ) وصحابته والتابعين ، وفي الفتوحات الإسلامية ضد الفرس والروم شارك منهم رجال كثيرين [١] ، عسير جزء لا يتجزأ من جسم وتراب هذا الوطن الكبير الغالي المملكة العربية السعودية .

ولما كان امراء مكة من الأشراف ولاة على الحجاز كله فانهم كانوا يقودون الحملات ضد عسير لتوسيع رقعة امارتهم والحصول على الزكاة والأتاوات ففي عام ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م كان عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن غانم أميراً لعسير وقد جعل محمد بن ناصر بن مبارك من آل فليته من الأشراف أميراً على بيشة ، وفي عام ٩٣٥هـ - ١٥٢٨م حاول (آل نمي) من الأشراف الاستيلاء على عسير لكنهم هزموا على يد قوة الأمير العسيري عبد الله بن ابراهيم بن عائض اليزيدي .

وفي عام ١٢٠٦هـ - ١٧٩١م أمر الشريف غالب بن مساعد امير مكة المكرمة ببعث مجموعة من رجاله بقيادة عبد العزيز بن مساعد إلى تربه فسلمت له قبائل اكلب والرمثين وشهران واقام في بيشة مدة شهر ثم عاد إلى مكة المكرمة .

وفي عام ١٢٠٩هـ - ١٧٩٤م غزت قوة الأشراف تربه البقوم واخذوا ابلهم ومواشيهم .

١- مكة في عصر ماقبل الإسلام - أحمد أبو الفضل عوض الله المبحث ٢٠١ .
- عسير - تراث وحضارة - امارة عسير ، ص ٢١٥ .
- عسير في اطوار التاريخ - محمد احمد العقيلي ، ص ٧٤ .

وفي عام ١٢١١هـ - ١٧٩٦م أمر الشريف غالب بن مساعد قواته بغزو رنيه التابعة لعسير فهزموا اهلها وغنموهم واحرقوا دورها واستمروا بقيادة السيد فهيد إلى بيشة وسار بأهلها معه إلى المكان المسمى الفرشه بأعلى بيشة لكنهم رجعوا لقلة الماء إلى تربه [١]

وفي عام ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م سير الشريف غالب بن مساعد عسكراً إلى بيشة التابعة لأمير عسير فقابلهم ربيع بن زيد الدوسري من قبل امام الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سعود وبايعه أهل بيشة على السمع والطاعة ضد الشريف .

لكن في العام نفسه ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م عاودت قوات امير مكة غالب بن مساعد وفيهم من البادية والمغاربة مزودين بالمدافع الخفيفة لغزو أهل رنيه وبيشة واغتنام ابلهم [٢] .

١- مجلة العرب ج ١١ - ١٢ - س ١٠ جماد ثاني - ١٣٩٦هـ ، ص ٣٣ .
٢- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ - المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٢ .

امــارة آل عائــض

١٢٣٨ - ١٢٨٩هـ ١٨٢٢ - ١٨٧٢م

يرجع نسب آل عائض إلى أسرة آل يزيد الأموية التي فر أحد أبنائها من خوف العباسيين حتى استقر في شعف آل يزيد بعسير وهو علي بن محمد ابن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، وذلك على أثر قيام ثورة العباسيين في الشرق وسقوط دولة بني أمية [١].

وتكاثر آل عائض حتى اصبحوا بطن من بطون قبيلة بني مفيد وتولى امارة عسير منهم محمد بن أحمد بن محمد اليزيدي الذي قاوم انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابان انتشار مبادئها في عسير فاحتضنها محمد بن عام أبو نقطة واخوه عبد الوهاب المتحمي ، من بعده وامدهما الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية بقوة استطاعت قتل محمد بن أحمد اليزيدي ، وتولى الأمارة (آل المتحمي) كما مر بنا من عام ١٢١٥ إلى ١٢٣٣هـ / ١٨٠٢ - ١٨١٧م [٢].

وبعد انقضائهم برز أمراء آل عائض من جديد كما سوف يأتي ، ولعل الأوضاع السياسية والإجتماعية التي سادت في عهد امارة آل المتحمي اخذت نفس المسار كذلك في عهد امارة آل عائض من حيث كيفية تولي الامارة واستقطاب المحاربين من القبائل للوقوف صفاً واحداً ضد غزوات الأتراك المصريين وكذا من الناحية الأمنية التي كانت في قلة مع شدة الخوف والنهب والسلب لعدم

١- عسير - محمود شاكر ، ص ١٨١ .
- قلب الجزيرة - فؤاد حمزة ، ص ٣٦٠ .
٢- الدر الثمين - حسن بن أحمد عاكش ، ص ١٢ .

وجود سلطة أمنية في كل ناحية يشعر الجميع بوجودها .

وفي تاريخ ٢٠ محرم عام ١٢٣٣هـ - ١٨١٧م تولى سعيد بن مسلط امارة عسير - وقيل في عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م [١] وهو من اسرة آل عائض وقد وافق دخول الحملة الحجازية (الرابعة) عسير قيادة الشريف محمد بن عون واحتلال طبب مركز عسير انذاك ثم ان ابن عون ابقى حملة فيها بامرة الشريف هزاع الذي تزوج - حليمة - اخت سعيد بن مسلط وقربه إليه وأمره على بعض القبائل [٢].

وأمر الشريف محمد بن عون بتجهيز حملة لغزو الدواسر واخضاعهم لحكم محمد علي ولما لحق بهم سعيد بن مسلط وقواته انابه ابن عون فقفل راجعاً إلى طبب وحرض قبائل عسير ضد حامية بن عون حتى سلمت لهم قلاع - طبب - وسلبوهم كل شئ وقتلوا قائدهم هزاع ومساعديه ، وأحرقوا القلاع .

وقد كتب في احد المخطوطات (وفي سنة ثمان وثلاثين بعد المئتين والألف أخرج سعيد بن مسلط وبنو مفيد ومن معهم من رجال ألمع رتبت الترك الذين في طبب وذلك في جماد) أي من سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢م وقيل أن عسير قتلوا مع هزاع مائة رجل ، ثم أن مركز عسير نقل من طبب إلى السقا .

وبعد ذلك أكبر أهل عسير سعيد بن مسلط والتفوا حوله وبايعوه - أميراً لهم - في طبب ورجال ألمح وغيرهم من تهامة عسير وما كادت الأخبار

١- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٥ .
٢- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٧٩ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٧١ .

تصل إلى محمد بن عون حتى قفل راجعاً من وادي الدواسر لعسير - فقابله ابن مسلط بقوة من عسير في خميس مشيط ووادي عتود وهزمه فاضطر ابن عون للرجوع إلى الحجاز [١].

وفي عام ١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م بعث الشريف محمد بن عون الحملة (الخامسة) بقيادة الشريف راجع وفقاً لتتالي سجال الحرب ضد عسير ولأخذ الثأر منهم ازاء قتلهم الشريف هزاع في طبب ، ومثلما منيت الحملات السابقة بالهزائم غالباً فقد تصدى الأمير سعيد بن مسلط بقوات عسير لقوات الأتراك وهزمهم في وادي عتود قرب خميس مشيط وقتل قائدهم راجع [٢]. وقيل أنه قتل في رجب سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٣م حيث قال (وكان قتله في رجب - أي الشريف راجح - في سنة ١٢٣٨هـ انكسر الترك ومن معهم في بيشة في ذلك الشهر [٣].

وقد وقف قبائل عسير صفاً واحداً بقصد إنهاء الوجود التركي في بلادهم واعتباره عدو غاصب لكيانهم ، وازاء هزائم قوات محمد علي باشا في تلك الجهات لم يجد بداً من ارسال قوات مكثفة لإخضاع عسير تحت ولاية الحجاز ، فأمر محمد علي أحمد باشا حاكم الحجاز بشن حملة (سادسة) على عسير وكانت وجهته الساحل الغربي حتى وصل (القنفذة) لكن الأمير سعيد بن مسلط تصدى لهم في وادي (حلي بن يعقوب) وامر باتباع حرب العصابات لإضعاف وتشتيت قوة الأتراك

١- تاريخ موجز عسير - المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .
٢- السراج المنير في سيره امراء عسير - المرجع السابق ، ص ٧٩ .
٣- صورة مخطوطة - من آل الحفظي - المؤلف لم يذكر ، ص ١٢ .
- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وجهودهم ، وقد أسرع الله بفرجه للمسلمين بهطول مطر غزير مصحوب ببرد قوي على الجهة التي يقف فيها الأتراك فاهلكهم جميعاً ولم ينج منهم إلا خمسين رجلاً وولوا الأدبار إلى مكة المكرمة (١).

ولعل تمسك العسيريين بعبادة الله تعالى واتباع سنن نبي الهدى عليه أفضل الصلاة والتسليم وتعاونهم والتفافهم حول بعضهم والوقوف صفاً واحداً في وجه أعدائهم الطغاة المعتدين المنتهكين لحرمات المسلمين جعلهم ينتصرون بالرغم من قلتهم في العدد والعدة وعوزهم الشديد للسلاح ، وثمة أخرى فإن صعوبة مسالك وطرق المنطقة العسيرية وشدة واستبسال أهلها ، وتوكلهم على الله سبحانه وطلبهم النصر منه كان عامل قوي من عوامل النصر ، والكتاب والسنة تؤيد المدافع عن نفسه وماله وحرمه ، ففي الحديث ما معناه أن من قاتل عن نفسه وماله وولده وأهله فهو شهيد وأن البادئ أظلم ومن سل سيف الغدر قتل به مثلما يقال ، فضلاً عن جهل الأتراك بأغلب الطرق والمخابئ في حين أنهم يمتلكون عتاد وذخيرة وافرة .

وبالرجوع إلى أقوال وأمثال شعراء عسير نجد أنهم قد اشادوا بكفاح المحاربين منهم وأنهم كانوا يقاتلون بالسلاح الأبيض في حالة نفاذ ذخيرتهم أو عدم وجود آلات الحرب أحياناً ، ومنها قول الشاعر الشعبي :

(واي جنابنا كما البرق وبندقهم كما الرعد)

ومما اسمع من الرجال المسنين في عسير قولهم (والله ياولدي انهم ردوها على سلاتها) .

١- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ٢ - المرجع السابق ، ص ٤٠ .
- السراج المنير في تاريخ أمراء عسير ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

ويقصـــدون بذلك أن المقاتلــين لم يجدوا بداً من أن يردوا أيديهم إلى (سـلات) الجنابي والسـلات جـمع سلة والمقـصـود بهـا الآلة الحـادة من الجانبين الطولي ، لأن أهل الجنوب يقتـنون السلاح الأبيض بكثـرة للدفـاع عن النفس وقت الغلبة .

وبالعودة لمسار الحرب بين محمد بن عون أمير مكة مقدم قوات محمد علي حاكم مصر وبين أمير عسير سعيد بن مسلط كان من شروطه أن اطراف عسير بارق وتهامة وشمال بلاد بيشة تابعة لمكة ، وبهذا أرسل ابن مسلط وعلي بن مجثل رسالة وثلاث من الخيل للشريف محمد بن عون كهدايا ولتأكيد استمرار الصلح وحب السلام ، لأن الصلح مفيد والحروب خسارة ، ومما جاء في تلك الرسالة « فإن كان الصلح استتم على مضمون ماراح عليه الربع فعرفونا ، وان كنتم خالفتم عنه فعرفونا والنقأ بقا » [١].

والنقأ هنا بمعنى الاستعداد وعلى هذا المضمون قال :

الشـاعر موسى الشمـراني من قصيدة لـه على اثر خصام بين شمران وبلقرن عام ١٣٦٠هـ :

ام هبنـا موامين وقلنا نعيـد الحـق مـرة

فابتلـونا عـلى البـاطـل بياطـل مثليه مرتين

ان رجعنـا بغير الحق قومي علينا يا قيامه

وامحـا خطنـا من لرض ما عـاد يطـري أسمنا

١- عسير - علي أحمد عيسى ، ص ١٤٣ .

وقول الشاعر ظافر بن عامر القرني :

والله لـو كنـــــت مثـــلك وأنـــت

مثـــلي نــقـــأ عشــــير من عشـــيرة

انـــي أقـــــول مكثــــــور خيـــــرك

ولـــــو بـــــأول مظـــــــوف [1].

فالشاهد على كلمة (النقأ) في قول الشاعر الأول هو البيت الثاني بشطريه ، وفي قول الشاعر الثاني كلمة نقأ في النصف الثاني من البيت الأول .

أما بالنسبة لأحوال المخلاف اذ أن القوات التركية قد شنت حملتها (الثالثة) بقيادة أحمد خليل باشا على أبي عريش واستولوا عليها واسروا الشريف أحمد بن حمود وحسن بن خالد ، وليس أدل على ذلك من الوثيقة المرسلة من خليل باشا إلى حاكم مصر محمد علي باشا بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٤هـ - ١٨١٨م حيث قال خليل باشا .

الملخص :

بناءً على التكليف بالقضاء على كل من أحمد بن حمود وحسن بن خالد تحركنا في أول صفر مع المشاه والخيالة براً وأرسلت المهمات بحراً من جدة

١- هذه الأبيات الشعرية من الأشعار النبطية في المنطقة الجنوبية وقد سمعتها من أكثر من شخص ومنهم سالم بن عبد الله بن حازم الشهري من - خميس العرق عام ١٤١٦هـ
وكلمة المظوف يقصد بها الضيافة ، فكانوا إذا قتل أحد منهم فان جماعته يذهبون في عدد كثير إلى جماعة القاتل فيعدون لهم ضيافة لمدة ثلاثة أيام ثم يحكم عراف الطرفين في القضية اما بالقصاص أو بمال إذا أصر اقارب المقتول .

ووصلت المهمات والقوات في ٢٠ صفر وفي ٦ ربيع الأول تحركنا براً وبحراً باتجاه الربع الخالي ثم رست السفن على بعد مرحلتين وارسلت الرجال لاستكشاف مواقع ابن خالد ورجاله المنتشرين في أبي عريش وما جاورها عسير وشهران ورفيدة - ثم تحركنا براً وبحراً نحو وادي شقيق لتطويقه ولكنه استطاع الهرب إلى جبال عسير حيث ينتظر أن يقع في قبضة شيوخ العربان ويسلموه لنا . ثم تحركنا نحو قلعة مسلية مقر ابن خالد ثم إلى أم الخشب ثم وادي صبيا ثم قلعة ضمد ثم أبي عريش مقر ابن حمود فأرسل بطلب التسليم بالأمان مما هيأ استسلام قلاع جيزان والحديدة واللحية وزبيدة وبيت الفقيه وقد سقط من الخيالة بسبب رداءة المكان والهواء حوالي ١٠٠٠ خيال [١] .

والجدير بالذكر التحدث عن الوزير والقائد . الحسن بن خالد الحازمي ، الذي نسب نفسه في احدى رسائله أن اسمه : حسن بن خالد بن عز الدين بن محمد إلى أن انتهى نسبه في الجد الثاني والعشرين في الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم [٢] . والله أعلم !

وقد تولى الحسن عدة مناصب وقيادات في امارة أبي عريش حيث جعله الشريف حمود أبو مسمار أمير أبي عريش والتهائم وزيراً له وقائداً

١- الوثيقة رقم ٢/٥ - ٢ في ١٤ ربيع الأول ١٢٣٤هـ - مجموعة تركي / دارة الملك عبد العزيز .

* بالرجوع إلى تاريخ ابن بشر اتضح أنه لم يذكر احداث عسير خلال الفترة من ١٢٣٣ - ١٢٣٧هـ ولعل السبب في ذلك انشغاله بسرد احداث نجد ابان هجوم الأتراك عليها واحداث الخراب فيها والفساد واحراق ديارها ونهب أموالها ولا حول ولا قو ة إلا بالله العظيم .

- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٦ .

٢- من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي - تحقيق الدكتور عبد الله أبو داهش ، ص ٢٧ ، ٤٧ .

لجيشه فحقق انتصارات عديدة ، وارفده الشريف أبو مسمار في سفارة إلى صنعاء اليمن سنة ١٢١٧هـ - ١٨٠٢م على أثر الحرب التي وقعت بين عسير والمخلاف السليماني ، فمكث في هذه السفارة ستة أشهر ولما عاد استبشر به الشريف حمود وجعله بمثابة مستشاره الخاص .

وفي عام ١٢١٨هـ - ١٨٠٣م ارسله الشريف حمود على رأس وفد المخلاف السليماني إلى الدرعية وذلك للتعزية في وفاة الأمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وتجديد الولاء لخلفه الإمام سعود بن عبد العزيز (١) وقد افاد طلبة العلم في هذه الرحلة خاصة بالدرعية من خلال تبادل الأراء والمناقشة العلمية .

واستوزر الشريف أحمد بن حمود أبو مسمار الحسن بن خالد وذلك بعد وفاة أبي مسمار فكان ساعده الأيمن في المهام ، وكان الحسن ذكياً غزير العلم والأدب وكان يمتلك مكتبة فيها من أمهات الكتب .

وفي سلسلة هجمات قوة محمد علي بالحجاز ضد عسير خرج أحمد خليل باشا عام ١٢٣٤هـ - ١٨١٨م بقوة من الحجاز نحو عسير ولما سمع أمراء المخلاف السليماني بذلك خرج الحسن بن خالد بقوة نحو عسير لمشاركتهم الدفاع ضد ذلك العدوان ، لكن أحمد خليل غير اتجاه قوته نحو امارة (أبي عريش) .

فاسرع الحسن وسعيد بن مسلط بقواتهما نحو أبي عريش لانقاذها من الأتراك الذين سبقوهم واسروا أميرها أحمد بن حمود إلى مصر استانبول

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

فرجعت قوات عسير والمخلاف إلى أبها وبايعوا الحسن بن خالد أميراً لهم وأن يجاهدوا معه .

ووقعت معركة بين الأتراك وعسير في (الزهوة) قرب جبل - شكر - شرق أبها حالياً استشهد فيها الحسن بن خالد ، وكان من أحسن الأمراء لكن يؤخذ عليه اسر الأمير طامي بن شعيب وتسليمه للأتراك الذين كبلوه بسلاسل الحديد ، وذلك حينما لجأ إليه لطلب المساعدة واخفائه عنهم سنة ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م [1] .

وفي رأيي ان هذا الفعل تأباه القيم والأعراف والشيم العربية النبيلة فضلاً عن كون الدين الإسلامي يتنافى مع تسليم لاجئ مسلم صاحب وطن وحق إلى غزاة غاصبين ناهبين لجزء من وطن الأمة العربية في حين أن مشكوك في دين أولئك القوم ، لأنهم لفيف من ولايات الدولة العثمانية في ذلك الزمن ومنهم المسيحي وغيره .

١- من رسائل الحسن بن خالد - المرجع السابق ، ص ٤٦ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٦ .
- من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي - المرجع السابق ، ص ٣٧ .

امــارة علي بن مجثــل

١٢٤٢ - ١٢٤٩هـ ١٨٢٦ - ١٨٣٣م

بعد وفاة سعيد بن مسلط سارع أهل عسير لمبايعة ابن عمه علي بن مجثل أميراً لهم لما عرف عنه من التقى والورع والتمسك بالكتاب والسنة وكفأته ، لاسيما وأنه شارك مشاركة فعالة في امارة بن مسلط ، لصد الهجمات التركية الشرسة عن عسير .

وفي عام ١٢٤٣هـ ١٨٢٧م تمكن من تطويع قبائل عسير بتهامة أمير (أبو عريش) المدعوم بقوة من الأتراك مما جعه يستقل فيها فسار اليه ابن مجثل بقوة ومدد من رجل المع وارسل اليهم مشاري بن حسن وأبو طائف للسعي بالصلح بين الطرفين [١] .

وفي عام ١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م قاد قوة لتأديب وادعة وارشادهم للطريق المستقيم لكنهم رفضوا فجرت مناوشات بين الطرفين قتل فيها الكثير واخضعهم له ولكنهم ما لبثوا أن ثاروا ضده وثارت كذلك قبائل الريث والصهاليل وبنو مالك بتهامة جيزان ضد بن مجثل حتى دانت له تلك الجهات التهامية [٢] و ذلك عام ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م بعد أن طرد الترك منها بقيادة (الماس آغا) وعاد إلى السراه بعد أن جعل حامية هناك وبالرغم من الغارات والحملات التي كان محمد علي باشا يشنها منذ دخوله الحجاز سنة ١٢٣٠هـ - ١٨١٤م وولاته على الحجاز وبقيادة الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ومساعديه من بني عون بالرغم من هذا فان عسير

١- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٨١ .

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

كانوا صامدين اشماء لم يلن لهم قناة أمام اعدائهم الذين آرادوا انتهاك حرمة النفس والمال ، والعرض فالوثائق التاريخية التي سطرها قادة وولاة الأتراك سواء في عهد محمد علي باشا على الحجاز وعسير ونجد منذ عام ١٢٢٦هـ - ١٨١١م إلى أن رحلت قواته عن شبه الجزيرة عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م .

أو عقب تسلم الدولة العثمانية ادارة الحجاز أقول فالوثائق تدل على أن أهل عسير لم يلقوا السلاح ولم يتوانوا عن الذود في واجبهم حيث جاء في عدم رفضهم تسليم السلاح (فلا يقتضي بعد الآن أن توجد بينكم بنادق فلتذهبوا بادبكم وشرفكم لتسلموها وإلا فأنتم تعرفون ، وعندما فهم كل منهم هذه الكلمات الشديدة أجابوا جميعهم ، نرضى بقتلنا ، ولانعطي بنادقنا ، وفر كل منهم إلى إتجاه في الجبال نحو قراهم [١].

ومما يدل دلالة واضحة على سوء معاملة الأتراك للعرب بشكل عام ما ورد خاصة في رسالة أحمد يكن محافظ مكة المكرمة المرسلة إلى والي مصر محمد علي باشا عن وضع قواتهم في عسير سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م ابان امارة سعيد بن مسلط على عسير - ومما ورد في تلك الرسالة قوله (فوصلنا في اليوم السابع والعشرين من شهر شواك المكرم ٢٥ شعبان ١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م إلى المناذرة « المناظرة » - واعتقد أنه اسم لمناظر في أبها - واسترحنا بالمكان المذكور بضعة أيام لايجاد الذخيرة وبعده سنزحف على الأشقياء المذكورين وسنجد ونسعى لتربيتهم وتنظيمهم.

ولقد أخذت جميع قبائل عسير الأمان إلا أن رجال المع ظلوا على

١- وثائق عسير - المرجع السابق ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

العصيان وارسل علي بن مجثل وسعيد بن مسلط زعيما أشقياء العسير ، رجالاً وطلبوا الأمان والإستئمان) إلى أن قال احمد يكن في رسالته :

« ولما كانت مطالبهم هذه غير لائقة فقد أجبتهم وافهمتهم أنه لا يعطى من قبلنا أماناً مثل هذا ، فاذا رغب الشقي المذكور - يقصد علي بن مجثل - أعطي الأمان له نفسه ، وقد اعيدوا بهذا الجواب وإلى الآن لم يعود الرجال المذكورين ، إلى طرف عبدكم ، وان مراد عبدكم من « اعطى الأمان له نفسه » أنه إذا قبلهم بمثل هذا الأمان أعطي إليه ، على أمل القبض عليه بعد ذلك إلا أنه بهمم ولي النعم السنية ، سيؤدب قريباً ، سواء الشقيين المذكورين ، ورجال ألمع ، وسيعمل على استئصالهم [1].

أقول : ويتضح من فحوى هذه الوثيقة شدة كراهية الآتراك لعرب عسير ، وغيرهم من سكان الجزيرة العربية باخضاعهم عن طريق استدراجهم بكلمة الأمان حتى يقبض على قادتهم ويقتلوا ، ثم تداس بقية الرؤوس ويعمل الأتراك على اجتثات عروق العرب واذلالهم ، وجعلهم لقمة سائغة .

ولكن رجال عسير ظلوا صامدين أقوياء الشكيمة أمام غزوات الأتراك منذ غزوا عسير عام ١٢٣٠هـ - ١٨١٤م حتى تم اجلائهم منها في اعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٣٣٣هـ تقريباً وظهور الدولة السعودية في الدور الثالث .

ولقد حدثني الكثير من الرجال المسنين أكثر من واحد بان الأتراك كانوا ينتشرون في القرى رجالاً وركباناً للبحث عن الحبوب والبهائم وعلف

١- وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - المجلد الأول - الفصل الرابع ص ٣٥١ -٣٥٢ .

الدواب ، واخذ ما يجدون بدون مقابل ، بالقوة وضرب من يعارضهم وقتل من يقاومهم بسلاح .

ولما قامت حرب بين الدولة العثمانية وبين محمد علي والي مصر في الشام انشغل محمد علي عن تنفيذ خططه الحربية في الحجاز وعسير ، لكنه ظل خاضعاً للدولة العثمانية اسمياً ومن ناحية أخرى فان احد قادة فرق محمد علي كان يشكل بعض الخطر عليه في مصر فأراد التخلص منه وفرقته الشريرة فأرسلهم لأرض الحرمين الشريفين ويدعى تركجة بيلمز - محمد آغا - ولما وصلوا الحجاز وقع بينه وبين زنار أغا مشكلة ، وقيل أن الأول قام بثورة هو جنده لقلة أعلاف الخيل ، وقيل لتأخر رواتبهم [١].

وهذا ساعد أميرعسير علي بن مجثل على استتباب الهدوء في عسير خلال تلك الفترة ، وأنه بالرغم من محاولة محمد علي استدراج قادة الجند الثائر بالحجاز واقناعهم وتهديدهم فانهم لم ينصاعوا له ، مما اضطره لإرسال قوات بقيادة - أحمد يكن - لحفظ الأمن والسيطرة على أرض الحجاز .

وما كاد - تركجه بيلمز - يسمح بذلك حتى فر هارباً بقواته إلى سواحل تهامة الغرب ، حيث نهبوا مستودعات الدولة وذهب بها على سفن للدولة كذلك [٢].

وسار تركجة بالقسم الآخر بنفسه براً حتى القنفذة ، ومنها إلى سواحل عسير وتحالف معه أمير عسير علي بن مجثل لفتح بلدان المخلاف

١- عسير - دراسة تاريخية - علي أحمد عيسى عسيري ، ص ١٥٠ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨١ .

السليماني الذي سبق أن قاموت مبادئ الدعوة الوهابية بقيادة أميرها الشريف حمود بن مسمار ، فآمد أمير عسير تركجة بالمال والمؤن ، فاستولى على المخأ والحديدة [1].

ولكن تركجة بيلمز استأثر بتلك الأماكن لنفسه ، وعاث وجنده فساداً فيها وجمعوا بين الأختين في الزواج وهذا تعارض وكتاب الله الكريم ، لقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف)[2].

فسار اليهم أمير عسير علي بن مجثل بقوة جنده استطاعت كسر شوكتهم عام ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م [3]، حيث حاصرهم بعد أن لبسوا اكفانهم وتسلقوا اسوار المدينة ثم دخلوها عنوة فاستسلم جند الأتراك واستطاعوا اخراج من تبقى منهم وقد قتل ناس كثير من الطرفين[4].

وابقى علي بن مجثل حامية على المخأ وزبيد أما الحديدة فقد دخلها في عام ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م صلحاً وجعل فيها حامية من اربعمائة رجل أمر عليهم - محمد بن مفرح - وقفل راجعاً إلى السراة .

ومن مزايا علي بن مجثل أنه كان قوي الشكيمة لا يهاب تهديد الترك لقوله (واما الباش فلا نرى الخط عنده وجه لأنا لا نعلم له عندنا من المطلب شئ فإذا أراد العافية والسكون فيخلينا ويخلي سبيلنا وان يدور الفتن ومراده يوازينا عن طوارفنا فنستعين عليه بقاصم الجبابر فهو يكفي من توكل عليه) .

١- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ١٥٢ .
٢- سورة النساء آية (٢٢) .
٣- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
٤- عنوان المجد في تاريخ نجد جـ٢ - المرجع السابق ، ص ٩٢ .

وقد أشار الأمير علي بن مجثل في ختام رسالته السابقة بان من أهل عسير أدلاء للترك لدخولهم إليها لقوله (ولأجرهم علينا إلا بعضنا في بعض) .

وكان ابن مجثل من أبطال عسير والحق ما اعترفت به الأعداء بقول محافظ مكة المكرمة أحمد باشا في رسالة مطولة بعث بها إلى محمد علي باشا منها قوله « وعن وصولنا الى المكان المسمى الملاح الذي حارب عنده فيما سبق مولانا ولي النعم علم لعبدكم ان علي بن مجثل واربعة ألاف من العربان ينوون سد البوغاز وأن سعيد بن مسلط سيأتي من جهة الجبل مع أربعة ألاف آخرين من العربان » (١) و قد هدأت أحوال عسير ابان امارة علي بن مجثل ومد نفوذه على ما حوله من الجهات العسيرية وذلك لإنشغال محمد علي باشا بحروبه مع السلطنة في الشام وانشقاق امراء مكة على أنفسهم (٢).

وبعد أن استولى على بن مجثل على تهامة اصيب بمرض أقعده الفراش فحمله جنده ورفقاءه حتى رجعوا به إلى قصره بارض السقاء في عسير ، وتوفى رحمه الله في ١٢ شوال عام ١٢٤٩هـ بعد مدة سبع سنوات قضاها في حكم إمارة عسير كان غالباً يسودها الهدوء والإطمئنان ، والعدل وحمل راية الجهاد لنشر مبادئ الدعوة السلفية ، في أطراف امارته الممتدة

١- وثائق عسير - المرجع السابق ، ص ٣١٦ .
٢- تاريخ عسير - النعمي ، ص ١٧٦ .
- عسير - تأليف - علي احمد عيسى عسيرى ، ص ١٥٠ .

إلى رهوة البر شمالاً ببلاد زهران وإلى أصقاع تهامة اليمن والشرق والغرب بسواحل جزيرة دهلك بالبحر الأحمر [1].

وكان علي بن مجثل على جانب كبير من التقى والورع والشجاعة والثبات وقت النوائب ، وكان يمتاز بالدهاء العشائري مما جعله يجمع أهل عسير ، وقد اقام الحصون والقلاع وحفر بعض الآبار في خبت البقر الواقع بين ام الخشب ووادي بيض ولا تزال تحمل اسمه حتى الآن ، وجاهد في الله حق جهاده يحمل راية التوحيد ونشر الدعوة السلفية في المخاليف التهامية وقد أوصى من بعده بالإمارة للأمير عائض بن مرعي المغيدي [2].

مناظرة الإدريسي :-

ولد أحمد بن محمد بن علي بن ادريس سنة ١١٧٣هـ - ١٧٥٩م ببلدة عرايش بساحل المغرب قرب مدينة فاس ، وخرج من بلاده ووصل إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤هـ - ١٧٩٩م ومكث فيها نحو ثلاثين سنة تنقل خلالها بين المدينة المنورة والطائف وصعيد مصر .

وفي عام ١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م وصل إلى زبيد اليمن ومنها اتجه إلى المخأ فالى موزع حيث اجتمع عليه الناس لسماع وعظه وارشاده لعبادة الله ، ثم عاد إلى زبيد فكان له مجلس يغص بمرتاديه ، ثم توجه إلى الحديدة حيث لقى من أهلها كل اكرام ، ثم إلى (صبيا) في شهر رمضان عام ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م

١- السراج المنير في سيرة امراء عسير - المرجع السابق ، ص ٨٢ .
- مناظرة احمد بن ادريس - المرجع السابق ، ص ٤٣ .
- عسير - علي عيسى ، ص ١٥٧ .
- عسير - محمود شاكر ، ص ١٨٥ .

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

وقال عاكش أنه وصل إلى صبيا في عام ١٢٤٣هـ - ١٨٢٧م وقد تلقاه أهلها بالترحاب ، وأخذ يتولى حلقات التدريس على الطريقة الصوفية ، فمال إليه خلق كثير من طلبة العلم والمعرفة في المخلاف السليماني [١].

وأذن له أمير عسير علي بن مجثل بالإقامة في صبيا واخصه بمقرر يصرف له من واردات جيزان وذلك من باب تقدير طلبة العلم وأهله [٢]. وأخذ يدعو أهل المخلاف السليماني عموماً وأهل صبيا خاصة إلى التمسك بالإسلام على الطريقة الصوفية التي سبق وأن نشرها في أفريقيا [٣].

ولكن بعض الحاقدين على الإدريسي وبعض طلبة العلم في تهامة المخلاف السليماني اعترضوا على طريقته تلك ورفعوا أمره إلى أمير عسير علي بن مجثل ، وقال عاكش : لأنه من العلماء الراسخين الربانيين .. إلى أن قال : لا يصل إلى مداه أحد من أهل عصره [٤].

ولما كان أمير أبي عريش الشريف علي بن حيدر قد خرج عن طاعة أمير عسير موالياً الغزاة الأتراك اتجه إليه أمير عسير في عام ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م ، بقوة كبيرة وفي طريقه مر بصبيا حيث يقيم الإدريسي وأمر بعقد مجلس لمناظرته حضره ثلة من فقهاء وعلماء عسير والمخلاف السليماني لمعرفة ما هية الإدريسي وعلمه وأفكاره ومنهم السيد العلامة يحيى بن محسن النعمي ، والسيد العلامة علي بن محمد العقيلي الحازمي والسيد العلامة عيسى بن علي والقاضي العلامة عبد الله بن محمد السبيعي ،

١- مناظرة أحمد بن ادريس مع فقهاء عسير . تحقيق د. عبد الله أبو داهش ، ص ٨ - ٩ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، جـ٣ - المرجع السابق ، ص ١٨١ .
٣- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .
٤- مناظرة احمد بن ادريس مع فقهاء عسير ، ص ٢١ .

والقاضي العلامة أحمد بن علي والسيد أحمد بن علي بن عدوان والسيد العلامة اسماعيل بن شبير والسيد العلامة علي بن محمد الشوس والسيد الفاضل حسن بن محمد بن عبده والفقيه بن عبده الحازمي والحسن بن أحمد عاكش الضمدي .

وافتتح أمير عسير علي بن مجثل المناظرة بقوله :

انني لم أجمعكم في هذا المجلس إلا وقد علمتم ما نحن عليه من الدعوة الاسلامية واننا مازلنا قائمين في تجديد التوحيد وهدم الشرك وهذه رسالة كتبها عبد الله بن سرور اليامي فيها حوادث جارية مما بنا في التوحيد ويقدح في جانب الاسلام وأهله والمقصود اطلاعكم عليها فانا لا نقول ولا نفعل إلا بقول أهل العلم [1].

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

امارة عائض بن مرعي المغيدي

من ١٢٤٩ - ١٢٧٣هـ ١٨٣٣ - ١٨٥٦م

ينحدر الأمير بن مرعي بن محمد بن احمد المغيدي من عشيرة آل يزيد من قبيلة مفيد أحد قبائل عسير الكبار من شعف اراشه بعسير ولا تزال هذه القبيلة تحمل اسم آل يزيد حتى الآن [١].

ويلتقي عائض مع محمد بن أحمد الذي كان أميراً لعسير حتى عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م في الجد الثاني يحيى بن عبد الرحمن بن علي وكذلك يلتقي المذكوران مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الرابع - لبعضهم - عبد الرحمن بن علي ، فضلاً عن كونهما ابناء عمته عائشة بنت محمد .

وقد عاش عائض يتيماً منذ ولادته في شهر ذي القعدة عام ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م وتربى مع اخوته خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن احمد الذي كان معارضاً لمحمد بن عامر أبو نقطة المتحمي فحشد له قوة من الدرعية بمساعدة الإمام محمد بن سعود سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م فقتله [٢] و قام المتحمي واعوانه بنشر الدعوة السلفية في الجهات الجنوبية السعودية ولما قتل محمد بن أحمد انتقل عائض بن مرعي واخويه لكفالة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وقد اشار الأستاذ / محمود شاكر أن

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٧ .
٢- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٩٥ .

الزركلي قال : « كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ولما وصلت الحملة المصرية عام ١٢٤٩هـ - زمن إمارة علي بن مجثل استبسل في صدها » [١].

أقول أما ما ذكر الزركلي من أن عائض كان راعي ابل ، فان أهل المدر من الحضر وأغلب أمراء الجزيرة العربية كانوا يمتلكون ابل لاستخدامها في نقل أمتعتهم وقت السلم والحرب ، فلا غرابة في ذلك .

وكان عائض بن مرعي من أبرز رجال عسير ذكاءً وشجاعة وفطنة ، ولما توسم فيه أمير عسير السابق علي بن مجثل من الخصال الحميدة أوصى له بالإمارة حينما أوشكت وفاته وأشار لولاة الأمر بعسير بمبايعته أميراً لهم فبايعوه في شهر شوال عام ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م .

وكانت امارة عسير حين ذاك تمتد أقصى بلاد الحجر في السراة إلى حلي بن يعقوب بتهامة شمالاً ، وإلى ظهران والمخا وزبيد جنوباً ، وغرباً من ساحل القحمة إلى حلى بن يعقوب حتى تخوم تثليث شرقاً [٢].

وما أن تولى عائض الإمارة حتى سمع بنقض الشريف علي بن حيدر أمير أبو عريش العهود والمواثيق بين الطرفين ، وطرد الحامية العسيرية التي كانت مرابطة في قلعة (النصر) بقيادة « مغرم بن حسن » بابي عريش في صبيا ، ومد سيطرته على أطراف أبي عريش إلى درب بني شعبة ، أما المرافئ

١- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٥

التهامية والحديدة واللحية ، والمخأ وجهاتها الجنوبية ، فكانت تحت سيطرة أمير عسير حتى عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م [١].

حروب قوات محمد علي ضد عسير في عهد عائض بن مرعي :

لعل محمد علي باشا استرد أنفاسه في الحجاز والشام فأصدر أمره إلى حاكم الحجاز أحمد باشا يكن وأمير مكة محمد بن عون للقيام بحملة قوية ضد عسير عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م ورافق تلك الحملة أبو دواس وطامي ودوسري بن عبد الوهاب ومانع وكلهم من أمراء آل بو نقطة المتحمي الذي سبق لجوؤهم إلى حاكم الحجاز على أثر خلاف مع أمير عسير علي بن مجثل [٢].

وقيل أن بعض أفراد آل أبو نقطة ارسلوا إلى الحجاز بعد أن اسرت قوات محمد علي أمرائهم ومنهم دواس ودوسري [٣] و التقى الجيش العسيري بقيادة عائض بن مرعي وقوات محمد علي باشا بقيادة احمد باشا في وادي عتود في الرابع عشر من شهر ربيع الآخر من عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م ، ودارت معركة بين الفريقين حامية الوطيس .

وقد بذل محاربو عسير شجاعة باسلة ضد أولئك الغزاة ونظراً لأن طبيعة الأرض مابين بيشة والخميس إلى قرب أبها مكشوفة وعارية من

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - المرجع السابق ، ص ٨٣ .
- دراسات من تاريخ عسير الحديث ، د. محمد بن عبد الله آل زلفة ، ص ٣٨ .
٢- تاريخ مكة - للسباعي - المرجع السابق ، ص ٥٢١ .
٣- عسير دراسة تاريخية - علي احمد عيسى عسيري ، ٢٣٣ .

الجبال والأشجار ، والجيش العسيري يفتقر إلى كثرة العدد والعتاد والذخيرة والفرسان في حين أن قوات الحجاز تمتلك الرجال والعتاد والذخائر ووسائل النقل فانهزم العسيريون وقتل منهم خمسمائة رجلاً وفر عائض بن مرعي بنفسه إلى معاقل ريدة الحصينة الواقعة في أسفل السفوح الجبلية الغربية من أبها [1]، وتقدم دوسري إلى (طبب) التي كانت مركز آبائه آل المتحمي ، أما محمد بن عون واحمد باشا فقد اتخذا من أبها مقراً لقيادتهما [2].

وفي شهر جماد الأول من عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م رتب أمير عسير قواته وفق خطط حربية قوية تؤدي إلى تطويق أعدائهم ، لكن اقارب دوسري المتحمي الذي كان يطمع في إمارة عسير وأقارب سلطان عبده - المعد شريك للأول أفشيا تلك الخطط حتى وصلت لقائد الحملة وبالتالي لم تؤدي للنجاح.

ورغم ذلك فإن قوات عائض بن مرعي اتبعت حرب العصابات وانقضوا عليهم من كل جانب ومكان قتلاً وضرباً ، فانزل الله سبحانه في قلوب أعدائهم الرعب ورأوا أن لا طاقة لهم بمقاتلي عسير ، فطلبوا المصالحة عن يدٍ وهم صاغرون - ولما وافق أمير عسير وقادته على ذلك أقام أحمد باشا قائد الحملة سرادقاً لذلك ، وأرسل عائض ثلاثة من قادته يمثلون عسير في هذا الصلح الذي من بنوده :

١- دراسات من تاريخ عسير الحديث - د. محمد بن عبد الله آل زلفة ، ص ٤١ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

١- أن يرحل المصريون من صباح غدٍ إلى جهة البحر الأحمر .

٢- أن يجعل أمير عسير من قادته مرافقين يأمنون الطريق .

٣- أن تكون عسير مستقلة تماماً .

٤- ألا ينتقم أمير عسير من أي مشارك في تلك الحرب .

٥- وضع حدود لامارة عسير(١) .

وقد كتب عائض بن مرعي بموجب هذا الصلح إلى أمير أبي عريش الشريف علي بن حيدر بقوله « من عائض بن مرعي إلى الشريف المكرم علي بن حيدر ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : صدورها يوم الأحد نقله رابع وعشرين من شهر جماد أول ، بعد أن انفصل الصلح بيني وبين أحمد باشا والشريف بن عون يوم الجمعة من الشهر بعد الحروب العظيمة في مناظر وانتقل أحمد باشا بمطرحه وعاد من حيث جاء ومعه أحد عشر صحيب من عسير يحفظونه لا أحد يخالف على أصحابه وكان في الصلح أن لنا من صبيا إلى وادي حلى وبارق والمحدود داخل في الحد الينا والحوازمة ومن يعلق بهم الينا وجميع أراضيهم باليمن داخله في الصلح بايديهم وفي ذلك قاعدة بايدينا ، ورشومهم عليها وما حدث من تاريخ الصلح منك في المحدود لنا فترانا لازميك به وقد شرطنا على أحمد باشا ذلك واعطونا فيه فلا يكون عليك الحال يعتبر هذا تصرفك .

١- دراسات من تاريخ عسير الحديث - المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

« الختم الله الملك : وعائض عبده » [1] و كان أمي أبي عريش قد امر بطرد الحاميات العسيرية التي كانت مرابطة في الحديدة والمخأ وزبيد حينما زحفت قوات الأتراك على عسير ، مما اضطر محمد بن مفرح قائد حاميات عسير لطلب الصلح والخروج بقواته وبهذا تقلص نفوذ أمير عسير على المخلاف السليماني حتى عام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م ، لكن العلاقة بين الطرفين عادت فيما بعد وما أن سمع محمد علي باشا بسيطرة قواته على الموانئ الجنوبية الغربية حتى أرسل ابراهيم باشا من قبله لتولي إدارة تلك الجهات وارسال جبايتها لخزانة مصر .

ولما وصل ابراهيم باشا عزل أمير أبي عريش عن الحديدة وما جاورها وحصر سلطته في المخلاف السليماني مما سبب توتر علاقة الطرفين [2] أما الشريف محمد بن عون أمير مكة فإنه لكي يحافظ على مركزه ويحوز رضا والي مصر والدولة العثمانية فإنه جهز حملات ثلاث في شهر الحجة من عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م متجهة لعسير من ثلاث جهات :

١- حملة عن طريق بيشة بقيادة نفسه حتى وصلت السقأ .

٢- حملة عن طريق القنفذة فمحايل بقيادة دوسري بن عبد الوهاب بن محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي المعادي لعائض بن مرعي .

٣- حملة ثالثة عن طريق درب بني شعبة فإلى الحديدة بقيادة إبراهيم باشا - آنف الذكر وذلك كما أسلفنا .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٨ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
- عسير - لمحمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

الفصل الرابع

مقاومه عسير ضد قوات الحجاز
في عهد عائض بن مرعي

بالرغم من تعدد الحملات التركيه الحجازية التى كان يشنها ولاة محمد على باشا على الحجاز ضد عسير فان اهل عسير كانوا لا يتوانون في الدفاع عن اراضيهم وانفسهم فكان امير عسير انذاك عائض بن مرعى ينظم مقاتلي عسير على شكل عصابات هجوميه تنقض على الغزاه في السقأ والمفضاء والحفير، والعزيزه، وريده، والشعبين وجبل حضحض الواقع بين وادي ريم وعرمرم برجال المع غرب ابها الحاليه.

لقد الحق العسيريون باعدائهم خسائراً جسيمه في الرجال والعتاد وطردوهم حتى انسحبوا مدحو رين جهة الحجاز في مطلع شهر ربيع أول عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م وهذا شاعرهم انذاك على بن الحسن الحفظي قال قصيده حماسيه بعثت للأمام فيصل بن تركي مع خمس الغنائم التى حصل عليها العسيريون من الأتراك، ومطلع القصيده:

ايـا ام عبيـد مالـك والتشـرد

ومسـراك بالليـل البهـيم لتبـعـد[1]

وبعد هذه الهزيمة النكراء استدعا محمد على باشا كل من امير مكه محمد بن عون ومحافظها احمد باشا وعاتبهما على فشلهما وعدم احراز

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- السراج المنير في سيرة امراء عسير - المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٦ .
- عسير - لمحمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

البقأ في عسير لأدخالها ضمن حوزه حاكم مصر، لكن كل منهما حط اللائمه على الأخر، فأبقاهما محمد على معه في مصر، وبهذا اراح الله اهل عسير منهما فتره طويله [1] .

وقد افسد الأتراك احوال شبه الجزيرة العربيه كلها وعسير خاصة، فقد قال فيهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظى شعراً يشعل الحماس الديني في انفس الأهالى ضدهم مبيناً مأسيهم فمن قوله :

لادر در أنـــــاس لأخـــــلاق لـــــهم

ومنهـــــج الحـــــق فيـــــهم ظـــــل مهجـــوراً

تجمعـــــوا من صعاليـــــك ســـــفاسفـة

من أرض مصـــــر ومـــــن ابنـــــاء قنطـــــورا

رامـــــوا انتقـاض عرى الأسلام وانتصبوا

لحـــــرب من كـــــان للتوحيـــــد مشهـــــورا

وزعـــــزعـوا كـــل رعـديـــد برجفــــهم

وحـــركـــوا بالهـــــوى من كـــــان محـــــذورا

وسببـــــوا فتـــــناً صـــــار المصـــاب بها

يـــــوم المعـــــاد عـــلى النبـــات محشـــوراً[2]

١- تاريخ مكة للسباعي - المرجع السابق ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .
٢- اللجام المكين والزمام المتين - محمد بن حمد الحفظي ،ص ١٦
- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

اصلاحات الأمير عائض الداخليه.

بعد ان من الله تعالى بنصره على عسير وانهزم اعدائهم الأتراك المصريين ورجعوا إلى ارض الحجاز، اخذ عائض ابن مرعي يتطلع نحو اصلاح مايمكن في امارته، فاقام عدة مساجد وحصون ومزارع مثل حصن شداء الأثرى بابها الذي اقيم على انقاض حصن قديم يذكر انه اسس في اواخر القرن الثاني الهجري، ثم اقيم على انقاضهما ايضاً حصن شداء الحالى، كما انشأ ابن مرعي حصوناً وقلاع كثيره على السفوح الجبليه في جبال ريده الواقعه غرب مدينه ابها الحاليه، وحرملة وبساتين في ابها، ومدرسة علميه بها يعلم القرآن وعلومه.

وفرغ ابن مرعي بعض الطلبه للتفقه في الدين بالمدرسة الحفظية ببلده رجال وخصص لهم مصاريف تساعدهم، وانشأ مدرسة - عثالف - حيث كان يفد اليها طلبه العلم من أبها ورجال الحجروغامد وزهران[1].

غزوات الامير عائض بن مرعي :

رأى عائض بن مرعى انه لابد من تثبيت اركان امارته ومعرفة نواياً قبائل عسير نحوه واصلاح ما امكن فقام بالغزوات التاليه :

١ - غزى بيشه عام ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦م.

٢ - غزى غامد وزهران عام ١٢٥٣هـ - ١٨٣٧م وادخلهم في طاعته واسر

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٩١ .
- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٩٠ .
- اللجام المسكين والزمام المتين - المرجع السابق ، ص ١٥ .

اعيـانهم إلى ابهـا ومنهم خـضران الزهراني من قبـيله دوس الذي انـشد قصيده قال منها:

زفير خضـــران الـــذى كـــان في عـــز مـــع دوس

واليـــوم في الرعـــاد قد هـــو علـى متنـــه يشيله

واتخـذ ابن مـرعى رغـدان قـاعـدة لقـواته جـعل فـيـهـا حـامـيـه ورجع إلى عاصمته ابها.

وفي شـهـر الحـجه من العـام نفـسـه ١٢٥٣ هـ - ١٨٣٧م قـاد مـحـافظ مكه احـمـد باشـا جـيـشـاً قـوى قـوامـه عـشـرين الف حـتى وصـل رغـدان واستطاع استردادها.

وفى شهر محرم من عـام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م هـب امير عسير عائض بن مرعى يقود عشرين الف مقاتل من انحاء قبائل عسير حتى وصل بهم رغدان في احدى عشر من شهر صفر من عـام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م للأستيلا على بلاد غامد وزهران واثبات وجوده فيها بعد طرد قوات محمد على منها.

لكن قوات محمد على باشا بقائدها احمد باشا يمتلكون السلاح القوى من المدافع والرشاشات والذخائر الوفيره، وعدد من الجيش النظامى المدرب على الفنون الحربيه بعكس القوات العسيريه التى كان ينقصها الكثير من ذلك مما سبب هزيمتهم امام قوات احمد باشا المتحصنه وكأني باجسامهم تتهاوى اشلأ من نيران اعدائهم، فلم يجدوا بدأ من الأنسحاب القهقرى، وبدون تنظيم، تاركين اسلحتهم والاتهم ودوابهم، وقتلاهم على ارض المعركه ، ووقع منهم فئه في اسر الأتراك، حيث بلغ عددهم (١٠٥٦) اسيراً[١].

١- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

وقد ساعد قبائل غامد وزهران الأتراك ضد قوات عسير واخذ الغنائم منهم، وخلع ملابس بعضهم واقتيد اسراهم إلى سجن جده، وبقوافيه حتى تم الصلح فيما بعد بين محمد بن عون أمير مكه وبين عائض بن مرعى امير عسير عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م[1].

اقول لنتصور لقأ قوتين احدهما تتمثل في قوات الأتراك برجالهم الأقوياً المدربين على القتال النظامي ومزودين باسلحة المدافع والرشاشات والبنادق والتموين الكافئ من العتاد والمؤن ووسائل المواصلات وكثرة الرجال يتقدمهم ضباط مدربين على التخطيط الحربي ووحدة الكلمه، لكنه ينقصهم اهداف وغايات حربهم هذا في عسير خاصة والجزيرة العربيه عامه.

وفي المقابل قوات عسير المتمثله في مقاتلين بحماس دفاعاً عن انفسهم وحرمهم وارضهم وان كانوا ماهرين بطرق القتال والقنص فانه ينقصهم السلاح الحديث والمؤن الكافيه من العتاد والذخيرة والغذاء، اذ لا تعدوا اسلحتهم البنادق القديمه كالميزر والمعشر والمقمع والفتيل، حسبما نسمع من الرجال المسنين - والسلاح الأبيض كالجنابى والخناجر؟

ومن غزوات امير عسير.

١ - في عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م غزي عائض بن مرعى بني عمرو.

٢ - في عام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م غزى قبيلتي ربيعه والمقاطره بتهامه وبلاد وادى بيض وبلاد عبس وبلاد بالحارث بالمخلاف السليماني.

٣ - وفي عام ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م غزى ارض القهر الواقعه جنوب شرق المخلاف السليماني وطوع اهلها.

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، ١٩٣ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ٨٧ .

٤ - في عام ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م غزى جبل الريث.. المسمى (القهر) لا متناعهم عن دفع الزكاة وطوعهم.

٥ - في عام ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م صار ابن عائض إلى بيشة لاجلأ بقايا الاتراك منها، وزحف نحو بلقرن وشمران وغامد واعادها لطاعته، ومنها مر بتهامه وطوع الخارجين على طاعته باذن الله.

٦ - في عام ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م غزى قبائل بني جماعه في ارض باقم جهة الجنوب حول صعده وبلاد وادعه واخضعهم له.

٧ - في عام ١٢٦٢هـ - ١٨٤٦م غزى ابن مرعي الطائف وحدث قتال لم يكن بن مرعى راضى عنه (١) .

ولكن الأتراك كانوا يعدون العدد لمثل تلك الغزوات بكسر شوكة عسير وخلافهم من العرب فهذا احمد شكرى في رسالته السابقة بقول : «في اليوم الأول من هذا العيد وفد علينا شيوخ بقوم واخذوا على عهدتهم ان يآتونا بثمانمائه بعير، وايضاً قبيلتا المقطه، والروقه، رضيت كل منهما ان نحضر ثلثمائه بعير، هذا إلى الأبل الكثيره، المنظور الحصول عليها، من قبائل ثلاوة، ونفعه، وطفحه، لذلك استقر القرار على ان تكون اجرة بعير من الطائف إلى غامد وزهران سبعه ريالات فرنسيه»(٢).

ومن هنا نقف على مدى استعداد قوات محمد على باشا بالحجاز سواء بالمال او الرجال او العتاد اذ كان لاهم لهم غير امتصاص الزكوات والأتاوات من

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٩ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠٧ .
- عسير - لمحمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٩٠ - ١٩٤
٢- وثائق عسير - الوثيقة (٣٣) المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

السكان بدون عايد امني او اصلاحي للبلاد بل صرفها ضد اولئك العربان، وضمن هجمات قوات محمد على في شبه الجزيره ارسل احمد باشا حاكم الحجاز سرية في شهر شعبان من عام ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م عن طريق تهامه حتى وصلت بارق، فقابلهم قبائل بني ثوعة وال موسى، وقبائل بارق وهزموهم إلى حيث اتوا[١] ولما وصل الخبر احمد باشا أنسحب من بلاد غامد وزهران خوفاً من ثورة القبائل وعاد إلى مكه بحجه ان حاكم مصر منعه من السيطره على عسير[٢].

ومن المراسلات الدائرة بين الامير محمد بن عائض بن مرعى ووالي جده رسالة حملها مندوب الثاني إلى الاول لأبلاغه بقدوم محمد بن عون من السلطنه، وهدؤ الوضع في الحجاز، ولما وصل المندوب إلى (مناظر) وجد ان عائض بن مرعي متجه في جيش قوامه اثنى عشر الف من المشاه وخمسمائه من الفرسان ومدفعين، وهو متهيىء خلفهم في خمسين فارس، وقيل ان الجميع قوامهم ثلاثين الف وقال المندوب (تقدمت نحو الامير في مقابله واعطيته ورقه سيدي وابلغته سلامه وحينئذ شافاني بالسؤال عن الحوادث في هذه الجهات فاجبته ان كل ماسمعه من الحوادث مكذب به كلها وهي من اكاذيب الشريف عبد المطلب، فقال اى (الأمير عائض) في الواقع وكما سمعنا فان حضرة كامل باشا عادل في احكامه، ولذلك فاننى رغم اني كنت على تهيئه واعتزام لأقصد تلك الجهات (الحجاز) ولكن كما ترون الان فقد صرفت النظر عن ذلك وانا متجه نحو (ابو عريش) في اليمن لان الاشراف يحاربون بعضهم بعضاً منذ خمسة اشهر ولم يقدروا الصلح فيما بينهم في يوم ما، قال هذا وامتطى جواده واتجه نحو جيشه والتفت قائلاً : ان كتابي

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

٢- السراج المنير في سيرة امراء عسير - المرجع السابق ، ص ٨٧ .

تقدموني في المسير، تعال ورافقني لاكتب الجواب، وهكذا رافقته في مرحلتين حتى ادركنا محمد بن مفرح معتمده إلى ان قال المندوب : وهكذا استبانت لي نياته)[1] انتهت المقابله.

ونستطيع استنتاج الأتي :

- قوة امير عسير عائض بن مرعي بدليل السير بهذه القوة إلى امراء المخلاف السليماني او الى ارض الحجاز قاعدة قوه محمد على حاكم مصر واشراف الحجاز وعربانهم.
- رجاحة وحنكه الامير عائض لمسايسة قادة الاتراك وعدم التطرف والتهور والتدخل في وضع الحجاز قلب الجزيرة العربيه انذاك او الدخول مع أمراء المخلاف والجهات التهاميه في حروب طاحنه تسحق معها قوته.

وكتب احمد باشا رساله إلى محمد على باشا يخبره فيها بهزيمة قوة عسير في رغدان قال فيها :

«كنت ذكرت في كتابي الذي كتبته في ٢٠ صفر سنه ١٢٥٤هـ - ١٥ مايو ١٨٣٨م وبعثت به إلى مقام سعادتكم ان بغاه «عسير» لما انهزموا اخيراً بعون الحق تعالى، واخذ كل منهم طريقه إلى الفرار في وادى الهزيمه، قد سلب من نجا، منهم من جهة غامد عند وصولهم إلى (شمران) (بلقرن) ومايليها وان الذين نجوا من السلب قليل جداً، وان محمد بن مفرح والشقى عايضاً، قد جرحت ذراعاهما اليمنى واليسرى اثناء الحرب، غير ان المشايخ الذين جاؤنا من (بيشه) انباؤنا ان ابن مفرح المذكور قد انسحب إلى بيشه

١- دور عسير في أحداث الحجاز ، د. محمد بن زلفة ،ص ٥٥ .

وحين انهزموا وان رصاصة جهادية من عيار سبعة قد اخترقت أعلى ثديه اما ماصار اليه جرح عايض فينكشف فيما بعد».

وكان من نتائج هزيمه عسير في رغدان اهتزاز بعض مشايخهم ووصولهم إلى احمد باشا بقوله :

(وفد علينا الان اكثر مشايخ شمران، وبلقرن وبالحجاز وتهامه وستأمنونا)[1].

ومما ساعد كذلك على هزيمه امير عسير بعد معركه رغدان ميل بعض مشايخه نحو حكومه الحجاز، فنجد شيخ بنى شهر غرم العسبلى - يراسل - قاده محمد على بالحجاز، ضد حاكم عسير، فهذا حاكم الحجاز بعث رسالة إلى محمد على باشا حاكم مصر قائلاً فيها..

(وصلنا من الشيخ غرم شيخ (بني شهر) حمله الينا احد اتباعه وقد نوه في خطابه هذا ان الشقي عايضاً قد أصبح على استعداد وسرعان مايزحف إلى الأمام، وان حقيقه الموقف ستفهم من كلام حامل الخطاب، فاستوضحناه الأمر (حامل الخطاب) فأبان ان الشقي عايضاً قد جمع حوله من الرجال (٣٠٠٠) من سرا عسير و(٣٠٠٠) من رجال المع، و(١٥٠٠) من رفيده اليمانيه، و(٢٠٠٠) من شهران و(١٥٠٠) من عبيده وبني بشر و(٥٠٠) تهان ولعله قصد تهمان و(١٠٠٠) من البيشه، و(٢٠٠٠) من بالأحمر، وبالأسمر و(١٠٠٠) من شهر، و(٥٠٠) من بنى عامر - ولعله قصد بنى

١- وثائق عسير - المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

عمرو، و(١٠٠٠) من بالقرن، و(١٠٠٠) من شمران. ومجموعهم ثمانيه عشر الف، وانه يعمل على جمع الرجال من هنا وهناك، وسيقوم في (٢٠) الف رجل وعلى أغلب الظن، نظراً لما فهم من كلام التابع ان عائضاً ينوى الزحف على القنفذه، وربما كان من المؤكد انه سيزحف عليها.

ولذا اخطرنا جمعه أغا بذلك، وأمرنا الميرلواء عثمان بك بالقيام إلى هناك، على وجه السرعه إلى ان قال «هذا وقد ارينا طيه الخطاب المرسل من الشيخ غرم وحتى اطلعتم عليه ووقفتم على مضمونه، نرجو ان يعرض، والتدابير التي اتخذناها على اعتاب الخديوي[١].

ويتضح لنا من هذه الرسالة عدة امور منها، حرص قاده محمد على في الحجاز لمعرفة اخبار عسير وهذا امر يتوقع حدوثه بين الأعداء دائماً لمعرفه كل طرف اخبار الثاني، ومدى تأهب واستعداد امير عسير الذي يتجلى في جمع الرجال والعتاد للوقوف ضد قوات مصر الغازيه وصد عدوانهم، او استعاده ماسلبوا بالهجوم عليهم لأذلالهم، وطردهم إلى حيث اتوا ويتضح كذلك من حيل العسبلي نحو حكام الحجاز لتوقع حدوث خلاف بينه وبين امير عسير، هذا فضلاً عن علاقه النسب التى تربط بين العسابله وآل عون لأن محمد بن عون تزوج بنت جاري بن ظافر العسبلي وكانت مقيمه في مكه المكرمه وانجبت له ابنه عبد الله بن محمد بن عون[٢].

ولعله من الطرافه في هذا المقام ذكر قصه قصيره عن مرسول الشيخ العسبلي

١- وثائق متعلقة بعسير - المرجع السابق، ص ٤٠٥.

٢- المجلة التاريخية المغربية - تونس، د. محمد بن زلفة، ص ٥٧.

- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق، ص ٢٨٦. - عسير - لمحمود شاكر - المرجع السابق

إلى حاكم الحجاز فقد افادني المدعو / حنش بن محمد ابن مفرح الشهري ان رجل يدعى بن شداد الشهرى كان يرسله العسبلي انذاك، إلى امير مكه المكرمه من الأشراف ان ويعتقد أنه في الآونه الأخيره فيما يقارب من اوائل القرن الرابع عشر اي في بداية عام ١٣٣٠هـ.

ولما وصل ذلك المرسول إلى دار الشريف وجدهم على مائده الغداء وقد دعي اليها، فانشد الأمير قائلاً :

علـــوم بـــن شــــداد حيـــــاه الـــنبي

هــو جـــا ء مـــن الأفـــوات والا مقــــرب

فرد بن شداد قائلاً :

ياسيــــدي حـــــل الثريـــد على الوريـــد

ماعـــــاد للشـــعر مـن بـــين الثنــــايا مفـسر

حييـــت ولـــد العبـــدلي متقدم متأخــــــر

متقــــدم تســـقـــي مراويـــــز القتـــــاء

متأخـــر تحمى تـــوال العســــكر .

فـيقـال ان الشـريف العـبـدلى اجـاز ابن شـداد بشيء من المال على مداعبته وامتداحه الشريف[1] .

١- حنش بن محمد بن مفرح الشهري من بلدة خميس العرق من بني شهر مقابلة مع المذكور عام ١٤١٦هـ

وضع عسير بعد هزيمه رغدان :

لعل هزيمه عائض بن مرعي امير عسير عام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م امام قوات احمد باشا حاكم الحجاز من قبل محمد على باشا وإلى مصر، وانضمام بعض القبائل الشماليه من عسير إلى الأتراك للمهادنه وحباً في السلم، اقول لعل هذا ادى إلى شعور بعض قبائل تهامة والمخلاف السليماني بشق عصاً الطاعة على امير عسير.

لكنه سير اليهم قوة لتأديبهم، ففي المخلاف السليماني نجد ان قبائل الجهرة من تهامه شهران، تمردت عام ١٢٥٥ - ١٨٣٩م، وامتنع قبائل بني مأجور والحقو عن دفع الزكاة الشرعية.

فارسل اليهم امير عسير حملة عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م لتأديبهم، وحرض عليهم القبائل المجاوره لهم بتطويق مجرميهم، مما ادى إلى تخويف قبائل صبيا وابي عريش[١] واستتباب الأمن بشكل اقوى، وفي نفس الوقت اتفق امير عسير مع امير ابي عريش الحسين بن على بن حيدر على محاربه قوات محمد على في تهامه اليمن، وارسل قوه بقياده محمد بن مفرح، قوامها الف رجل اشتركت في حصار الحديده في الوقت الذي وصلت فيه الأوامر لو الى تهامه ابراهيم باشا بالأنسحاب وتسليم البلاد لأهلها[٢].

وفي عام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م غزا امير عسير المقاطره وابي عريش

١- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - المرجع السابق ، ص ٨٧ .
٢- تاريخ المخلاف السليماني - المرجع السابق ، ص ٥٨٢ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

لتأكيد المعاهده معهم واستمرت قواته في طريقها لبلاد عبس فنهبتها هذا فضلاً عن غزواته السابقه.

اما من ناحيه قوات محمد على في الجزيرة العربيه، فانه لما رأت الدوله العثمانيه تجاوز قوة محمد على ومحاربته قواتها في الشام وسوريه وتوحده بالسلطه في الجزيرة العربيه بما فيها ارض الحرمين الشريفين، لما كان ذلك، شكت السلطنه امره إلى الدول الأوربيه الكبرى انذاك،

وعقدت معاهده (لندره) سنه ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م في (لندن) بحضور كل من بريطانيا وروسيا وتركيا[١] وتم الأتفاق على سحب سلطه محمد على من سوريا وفلسطين والحجاز وحصرها في مصر، وان تضرب النقود باسم السلطان العثماني، وتحل قوات تركيه محل قوات مصر[٢].

ولما كان محمد على باشا قد استدعى محمد بن عون وسر عسكر الحجاز - احمد باشا لمعاتبتهما - كما مرينا - ازاء عدم اخضاع عسير بعد معركه رغدان، لكن محمد على اراد مكافئه بن عون من ناحيه وجعله بمثابه مراقب لأجلاء قواته من شبه الجزيرة والحفاظ على سلامتها من ناحيه أخرى، فاعاده اميراً على الحجاز.

وما ان وصل محمد بن عون إلى مكه حتى وجد الخلاف قائماً بين امارة الحجاز وعسير، بصدد الحدود، وان ابنه عبد الله عقد صلحاً مع امير عسير عائض بن مرعي، وان اسراء عسير في رغدان لأيزالون مسجونين بجدة، ولما

١- تاريخ مكة - للسباعي - المرجع السابق، ص ٥٢٥ .

٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق، ص ١٩٥ .

بلغ عائض بن مرعى خبر وصول محمد بن عون مكه ارسل بهدايا مع محمد بن مفرح المغيدي - احد رجل عسير البارزين - إلى الشريف عبد المطلب ابن غالب منها رؤس خيل لتقوية اواصر التعاون وابداء النواياً الحسنه واتمام الصلح المتفق عليه[1].

وثمه اخرى فان التعليمات لدى قوات محمد على تقضي بضروره الحفاظ على الأماكن المقدسة، ومرافئ الساحل الغربي كالقنفذه، والشقيق، ولأتمانع الدوله العثمانيه من سيطرة امير عسير على اجزاء الجبال لأنهم يدركون عدم جدواها الأقتصادية، علماً بان امير عسير انذاك كان لأيحبذ التطرف مع الدوله العثمانيه[2].

وبالرغم من اتمام محمد بن عون الصلح مع عسير الأ ان المصادر التاريخيه تشير إلى مناوأته لذلك الصلح لانه يزيد في رفعه عسير امام الدوله العثمانيه مستقبلاً رغم ان قادة الأتراك لأعلم لهم بذلك، ومهما يكن فقد جرى الصلح بين الطرفين عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م، ومثل عسير فيه محمد بن مفرح المغيدي ومثل امارة مكه عبد الله بن محمد بن عون[3].

ومما جاء في بنود الصلح مايلى :

١ - ايقاف القتال على حدود الطرفين.

٢ - ترسيم الحدود بين الطرفين بحيث تكون اعلى بيشه لعسير ومن بيشه وبلقرن حتى القنفذه لأمارة مكه .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ١٩٥ - ٢٠١ .
٢- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
٣- عسير - محمود شاكر ، ص ١٩٤ .

٣ - من بني عمرو وبني شهر في السراه إلى حلي بن يعقوب جنوبا تابعه لأمير عسير.

٤ - الأفراج عن سجناء عسير المحتجزين بجدة[١].

وبالرغم من موافقه محمد بن عون على هذا الصلح الأان المصادر التاريخية تشير إلى ان مبداه الحقيقى يخالف ذلك حيث انه كان يحبذ توجيه ضربه قاسيه واخيره إلى عسير منتهزاً فرصه وجود قوات محمد على قبيل انسحابها. فنجده يطلب من حاكم مصر زيادة وقت بقآتلك الفرق بعسير لكن محمد على كتب اليه قائلاً (ان ما قررتموه وان كان في محله ولكن مقتضى الوقت والحال لأيحتمل تمديد المدة في ذلك الطرف).

وفي نفس الوقت حث على ضرورة ترحيل الجند على السفن الموجوده بجده وينبع والقصير على التوالي[٢].

وقد ارسل حاكم الحجاز احمد يكن رسالة إلى محمد على باشا يخبره فيها بكيفيه انسحاب القوات المصريه من الحجاز واليمن حيث قال حضره أميرى سيني الشيم صاحب. الدوله : ان الأراده المورخه في ١٣ ذى الحجه سنه ١٢٥٥هـ - ١٧ فبراير ١٨٤٠م، تحتوى على انه سيصير جلب العسكر الموجودين في نجد، واليمن إلى مصر، وكذلك عسكر الحجاز، اذا أوجب الحال أخيراً، ففى سفر عسكر الجهتين المذكورتين، إلى المحل المطلوب، سيكون فيه للعرب، مواد كبيره).

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ج٣ - المرجع السابق ،ص ١٩٥ .

٢- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

ولما كانت مقاومه عسير ضد قوات محمد على باشا شديدة لما يتمتع به مقاتلوهم من صلابه فضلاً عن حصانه مواقعهم ومعرفتهم بمسالكها، فان الأتراك كانوا يعدون لذلك العدد فنجد احمد باشا يستمر في رسالته المذكورة قائلاً (وبما انه لأباس بتاخير مسأله عسير إلى وقت آخر، بظل ولى النعم، فقد ابقينا الشريف، شنبرا في اطراف شمران وبالقرن، والشريف زيد في تهامه، وجعلنا الشريف منصورا، امير غامد، وزهران، ناظرا كليهما، وانزلت العسكر بأجمعهم إلى (القنفذه) واني اذا قمت بالعسكر إلى (جده فانه من الواضح البين، ان يحصل الفساد في الحجاز، فكنت عرضت من قبل ان يحصل، الصلح من عائض)[1].

ونلحظ في ثنايآ هذه الرسالة جل اهتمام حاكم الحجاز بخطر عسير وحشد القوه اليهم تحسباً لأى هجوم ضد قوه محمد على الغازيه لتلك الجهات، حيث استمر احمد باشا في رسالته إلى ان قال (واذا صار ارسال جميع العسكر غير المنظم الذي سياتي من اليمن، إلى غامد، وزهران، فان من الواضح ان نكون قبضنا على زمام العرب)[2].

ويقصد حاكم الحجاز في رسالته هذه انه اذا تم لهم حشد القوه في الجهات الشماليه من عسير فانهم بلاشك سوف يسيطرون على قوه العرب هناك.

وفاة عائض بن مرعى امير عسير.

وبعد مدة تقارب من اربع وعشرين سنه، حكم فيها الأمير عائض بن

١- من وثائق عسير - المرجع السابق، ص ٤٢٥ .

٢- وثائق متعلقة بعسير - المرجع السابق، ص ٤٢٦ .

مرعى عسير حتى امتدت امارته شمالاً الى نهاية بلاد غامد وزهران، وجنوباً إلى الحديده والمخأ وزبيد.

وشرقاً إلى اطراف تثليث وبلاد وادعه وبيشه وتباله، وغرباً مرافئ القنفذه والشقيق وما جاورها قاد عائض عسيراً خلال تلك الفترة الزمنيه لمقاومه قوات محمد على باش حاكم مصر التى اجتاحت شبه الجزيرة بما فيها عسير، وسبب لتلك القوات هزائم في مواقع كثيره، والحقوا بهم خسائر فادحه في المال والرجال، والعتاد رغم كثرة عددهم وعتادهم.

وانشأ عائض بن مرعى القلاع والحصون وحفر بعض الأبار لتأمين المياه واسس بعض مدارس تحفيظ القرآن الكريم وعلومه في بعض قرى عسير مثل رجال المع وبلاد غامد وزهران، ورجال الحجر، واقام داراً للضيافه في ريدة الكائنه في سفوح جبال ابها الغربيه.

وفي عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م بدأ وبأ الطاعون في الحجاز وعسير وفتك بخلق كثير فاصاب الأمير عائض بن مرعي. وتوفى يوم الأربعاء الموافق ٨ رجب من عام ١٢٧٣هـ ١٨٥٦م[١]، وقيل ان وفاته كانت في اواخر شهر رجب عام ١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م[٢] وقيل في ٢٣ شعبان بدون ذكر العام ودفن في بلده (السقأ) غرب ابها بمسافه ١٥كم، وقيل دفن في بلدة (الحفير) جنوب غرب السقأ على بعد ثلاثه كيلاً[٣].

١- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ، ص ١٩٩
- تاريخ المخلاف السليماني ، المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .
٢- دور عسير في احادث الحجاز - المرجع السابق ، ص ٥٨ .
٣- الدر الثمين - تأليف حسن بن أحمد اليمني ، العاكش ، ص ٣٠ .

وقيل ان المنيه وافت الأمير عائض بن مرعى حينما كان ابنه محمد بن عائض مرابطاً بقوه قرب الطائف في ١٣ شعبان عام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م[١].

وايد ذلك سليمان شفيق باشا متصرف عسير حيث ذكر ان وفاته كانت في عام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م[٢].

قال (وتوفى الامير الشهير عائض ابن مرعى في تلك السنه اعنى سنة إثنين وسبعين بعد المآتين والألف قام بالامر بعده الامير محمد ابن عائض فسار في الناس سيره حسنه ووقع له اثار مستحسن وحصلت له غزوات وحملات متتابعات وملك عجيب وزعزع بجنوده وجيوشه العسيريه البعيد والقريب وكانت امارته الحسنه سبع)[٣].

١- عسير دراسة تاريخية ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
٢- مذكرات سليمان شفيق باشا ، المرجع السابق ، ص ٩٣ .
٣- صورة مخطوطة - لدى الباحث - مصدرها مجهول .

اماره محمد بن عائض بن مرعي.

١٢٧٣ - ١٢٨٩هـ - ١٨٥٦ - ١٨٧٢م

ولد الأمير محمد بن عائض سنه ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م بعد تولى والده عائض بن مرعي اماره عسير بعامين، ونشأ نشأة فذة قويه، واكبت حروب وانتصار عسير ضد قوات محمد على باشا حاكم مصر[1] وعقد اتفاق بين الطرفين صارت عسير بموجبه مستقله تماماً عن السلطنه العثمانيه.

وتعلم محمد بن عائض وشب في احضان الفروسيه الحربيه بحكم تأهب قومه لقتال قوات مصر والحجاز بين الفينه والأخرى، ولما توسم فيه والده قوة الشكيمه والشجاعة ولاة امارة بلاد غامد وزهران القريبه من غزوات الأعداء شمالاً.

ولما توفى عائض بن مرعي بايع اهل الحل والعقد ابنه على بن عائض لحين حضور اخيه محمد من مرابطته بقوة قرب حدود الطائف فتنازل الأول للثاني، فكان اول امير لعسير بالوراثه وكانت اماره عسير انذاك تمتد من حدود بلاد غامد وزهران شمالاً وبيشه فتثليث شرقاً والي السواحل التهاميه من المخلاف السليماني والمخأ القريبه من باب المندب والحديدة جنوباً والشقيق - ميناً عسير والقنفده - فضلاً عن السراه العسيريه[2].

اصلاحات محمد بن عائض :

ادرك محمد بن عائض امير عسير انه لإقرار لأمارته الأباذن الله ثم

١- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين - عاكش ، ص ٢٢ - ٢٤ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ج٣ - المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
٢- مذكرات سليمان شفيق باشا - المرجع السابق ، ص ٩٤ .
- عسير - محمود شاكر - السابق ، ص ٢٠٦ .

باقامة التحصينات، فاسرع في اتمام وانشأ الحصون والقلاع الحربيه المتينه من الحجارة الصلبه في ابها عاصمته وريدة المعقل الحصين لامراء عسير كلما حاصرهم الأعداء، وفي السقا والبصره، وحرمله، واعداد قوة الرجال والعتاد تحسباً لصد هجمات قوات الأتراك.

اما في المجال الزراعي فقد امر بحفر الآبار الجديدة زيادة على ماسبق حفره زمن والده عائض بن مرعى ومن سبقهم ، حيث حفر في منطقة القاع باعلا بيشه قرابة خمس واربعين بيئراً بواسطه على بن احمد بن ضبعان الذي جعله اميراً على بيشه، وحفر ابار كثيرة خلافها في السراه، لتأمين مياه الشرب في السلم والحرب[1].

وانه لكى يسود الأمن ويحكم القبضه على انحا عسير جعل على كل طرف اميراً يدير شئونه، حيث عين محمد بن عائض اخاه سعيد بن عائض اميراً على بلاد غامد وزهران، وعلى ابن محمد اليزيدي اميراً على قبائل رجال المع وتهامه الشاميه ولاحق بن مسفر على قضا ابي عريش وعلى بن احمد بن ضبعان على بيشه كما ذكر انفاً[2].

فتنه قبيله البناء وآل عاصم.

كان القتال قائما إبان تولى محمد بن عائض امارة عسير بين قبيلتي البناء وأل عاصم بتهامه على محارث السحر ومشاكل بين الأحابيش برجال المع وعرمرم، والنقيع ومسليه في بيش، والقاع باعلى بيشه.

١- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٣٥ .

٢- السراج المنير في سيرة أمراء عسير ، المرجع السابق ، ص ٩٦ .

- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

- عسير - محمود شاكر ، ص ١١٦ .

لكن الفتنه القتاليه اشتدت بين القبيلتين المذكورين على محراث السحر الذي احياه آل عاصم فاقطعهم اياه الأمير عائض بن مرعي عام ١٢٥٥هـ. مقابل ديات قتلى لهم مع البناء، ورغم محاوله ذى الجاه بعسير حل ذاك الاشكال الأ انهم لم يتوصلوا إلى نتيجه لتصلب البناء.. واستمرت الفتنه بين الطرفين حتى قتل ٣٠٠ رجل من الجانبين.

وبالتالي اضطر محمد بن عائض أمير عسير لضم ارض السحر لماليته، حتى تولى الأدريسي فاعادها اليهم واصلح بينهم عام ١٣٣٤هـ[١].

غزوات الأمير محمد بن عائض :

كانت الدوله العثمانيه منشغله ببعض مشاكلها من جراء الحركات الداخليه وما افسدته حروب محمد على ضد قواتها ومن جهه اخرى فانه ماكاد يتولى محمد بن عائض اماره عسير حتى قامت بعض الفتن والخلافات في عدة انحاً من عسير فلم يجد اميرها بداً من تجريد الحملات لغزو كل جهة يزى وجوب اصلاحها وجعلها خاضعه لأمارته مثلما كانت زمن والده وذلك ان الأتراك كانوا يتخذون المخالفين ذريعه من ذرائعهم لأحتلال البلاد كلما اتيحت لهم الفرصه .

وضمن خطة (فرق تسد) فان الدوله العثمانيه وحكامها في مصر كانوا يقارعون بين امراء الجزيرة فنجد خديوى مصر يرسل كتاباً للأمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م يحرضه ضد عسير قائلاً «أنه لأيخفى على حضرتكم ماحل بجهة اليمن من تمرد بعض الأشقيا.. وان دره المفاسد مقدم

٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

على جلب المصالح» إلى ان قال «والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص وعساكر تقمع هذه الفتنه.. ومن القديم مؤكد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصريه والقيام بقضأ مايلزم لها من الأشغال، وغاية المأمول أن مايلزم إلى العساكر المرسله من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل امورهم أوقضأ لوازمهم)[1].

وكانت عسير ونجد في وضع جيد من العلاقات وكما مر بنا ان عائض بن مرعى كان يرسل خمس الغنائم إلى فيصل بن تركي امير نجد.

وفي عام ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م ترامت الاخبار إلى مسامع محمد بن عائض امير عسير عن حدوث فوضى واضطرابات في المخلاف السليماني الذي يعتبر طارفه اماره عسير في الجهات الجنوبيه الغربيه ادى ذلك إلى طلب بعض امراء تلك الجهات تدخل بن عائض لأخماد تلك الفتن الحاصله في جهاتهم .

ففى مطلع هذا العام.. نزل محمد بن عائض بجيش كثيف إلى تهامه، ولما وصل (ابو عريش) استقبله اهلها ودخلها سلماً وهرب الحسن بن محمد احد امراء المخلاف السليماني وتحصن في قصره (الشامخ) ولما اسدل الظلام اجنحته لاذ بالفرار.

فتقدمت قوات ابن عائض وهدمت الشامخ، ودكت كل المعاقل والحصون القائمه هناك وتحدثنا المراجع التاريخيه انهم احدثوا من الفوضى والخراب مالم يكن في الحسبان وذلك من المأخذ المؤسفه على امير عسير، لفداحة تلك الخسائر

١- عسير - محمود شاكر - المرجع السابق ن، ص ٢٠٧ - ٨-٢ .

التى تعتبر من مقومات تلك الجهات الأساسيه، وظلت تلك القوات مرابطه هناك حتى سنه ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م[١].

وقيل ان الحسن بن محمد كبير الأسرة الحاكمه بالمخلاف السليماني كاتب ومن معه الأتراك لأحتلال المنطقه وازاحه آل عائض منها ثم يتولاها، بدليل مبايعته من قبل الأهالى، وفتكه ببعض اقاربه هناك، وعين امير عسير على تهامة الشريف أحمد ابن حسن، وقفل راجعاً إلى ابها، وبهذه المناسبه نظم عبد الخالق الحفظى قصيده قال في مطلعها مهنناً بن عائض :

هنئت بالنصر في عيش عليك هنئ
وزادك الله من صنعاء إلى عدن
ولا برحت على الأعداء منتصراً
في الشرق والغرب مع شام وفي يمنٍ
وقد سمعت نبأ من عندكم عجباً
اراح مكتئباً من صوله الزمن
ان قد ملكت القصور النائفات على
ابي عريش الشهير الفرد في المدن

إلى ان قال :

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
- تاريخ ا لمخلاف السليماني ، المرجع السابق ، ص ٥٨٤ .
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- عسير - محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

تركتــها صــفصــفاً بالقـــاع هامـــدة

كأنــها فــي قديـــم العهـــد لــم تكن[1]

لكن الأتراك ارسلوا حملة إلى المخلاف السليماني اخرجت حاميه عسير منهـا عـام ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م، لان قـادة الاتراك كـانوا يرون ان السـواحل التهـاميـه والمنافذ البـحريه من حق الدولة التـركيـه، وان امير عسـير تجاوز الحدود المتفق عليـها ، شمـالاً وجنوباً فـارسل اليـه اسمـاعيل بـاشا والى مصر رسالة قال فيها :

(اذا لم تقبلوا النصيحه الخيريه في الدين فتكونوا السبب في سوق الجيوش المتكاثره من أرض مصر القـاهرة إلى تلك البقـاع، وضرب تلك الديار وسـفك الدمـاء فـالاولى الانقـيـاد والطاعـة قـبل وقــوع تلك الساعة)[2].

وبعد انتهـأ الأمير محمد بن عاض من ابي عريشى استرسل في تهامة شمالاً نحو حدود امارة مكه واماره عسير في اطراف غامد وزهران بالمخواه التى كان الأتراك يعتبرونها تحت سلطتهم لخصويتها ، وامدادها بلاد الحرمين بالحبوب .

فخرج اليهـا امير مكه عبد الله بن محمد بن عون بقوه من عربان الحجاز والأتراك والمصريون، ولما التقوا مع قوات عسير، تم توقيع صلح ،

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- المتعة - المرجع السابق ، ص ٩٤ .
٢- شبه جزيرة العرب - عسير - المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ، ١٨٧ .

بين الطرفين، يتراجع بموجبه أمير عسير عن تلك الديار، في الوقت الذي صعد امير مكه إلى سراه غامد وزهران، ومنها رجع بقوته إلى مكه كما مرينا انفاً[1] وبتلك الغزوه امتدح الشاعر عبد الخلق الحفظى الأمير محمد بن عائض، بقصيدة طويله مما جأ فيها قوله :

وكم خبطت في البيد عيسك للعدى

ونلت المدى في سوره الفتح والحمد

وبالعاديات النقع في البقع ثائر

وخضت العدى بالخيل والرجل والجند[2].

ومما ورد في اخبار خروج قوة من الحجاز لمحاربه عسير هذا النص للسيد أحمد دحلان :

موضوعه : مسير الشريف عبد الله لقتال عسير في سنة ١٢٨١هـ.

مصدره : أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ص ٣٢٤.

قال : وفي هذه السنة أيضاً كان مسير.. الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لأنهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة، وصدر الأمر من الدولة العلية لاسماعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله في قتالهم فامتثل الأمر وارسل عساكر كثيرة، ونزلوا على القنفذة، وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التى في مكة على طريق الليث ثم وصل إلى القنفذة، وجعل العرضى في ناحية المخواة والأحسبة

١- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - أحمد زيني دحلان ، ص ٣٢٤ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

وأرسل إليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم في ذلك وبينما هم كذلك إذ جاءته مكاتيب من إسماعيل باشا والي مصر بطلب إسترجاع عساكره بالسرعة، ولم يمهل في تأخيرها، وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الأمر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم وأشترط عليهم أن يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية إلى مصر ورجع إلى الطائف من طريق الحجاز بعد أن قام مدة في بلاد غامد)[1] أ. هـ.



حصنان حربيان ببني عمرو عام ١٤١٤هـ

١- عسير خلال قرنين د. عبد المنعم ابراهيم ، ص ٩٤

مراسلات محمد بن عائض والأتراك:

كان المناديب بين عائض بن مرعي وأمراء الحجاز من الأشراف والأتراك لا يزالون يسعون لحل مشكلة الحدود بين الإمارتين بالطرق السليمة فقد أرسل عبد المطلب أمير مكة آنذاك مرسوله الشريف علقم في حين أرسل والي جده مندوبه علي المضايفي[1]. لكن وفاة عائض بن مرعي سبقت وصول المندوب حيث قال في رسالته لوالي جده:

(وصلنا إلى بندر قنفذه بالسلامة وبوصولنا إلى البندر المذكور قد استفهمنا وبلغنا وفاة الشيخ عائض بن مرعي إلى رحمة الله ، والآن حاصل على عسير مشقة عظيمة وصاروا قسمين الشيخ جاري وقسم من عسير طالبين ولد مجثل وآل محمد بن مفرح والقسم الثاني طالبين ولد عائض)

فرد الأمير محمد بن عايض على محمد كامل باشا والي جده بالرسالة الموثقة برقم ٣١ على الصفحة التالية:

وثيقة رقم (٣١)

ومضمونها : رسالة الأمير محمد بن عائض إلي محمد كامل باشا والي جده .

تاريخها: ١٥ رمضان ١٢٧٢هـ.

مصدرها: المجلة التاريخية المغربية: العدد ٢٩ - ٣٠ في يوليو ١٩٨٣م د. محمد أبو زلفة: دور عسير في أحداث الحجاز.

١- دور عسير في أحداث الحجاز - د. محمد بن زلفة ، ص ٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عايض إلى جناب المكرم الأعز الأحشم محمد كامل باشا سلمه الله كيف شاء وبما شاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصل الكتاب المستطاب المحتوي على ذلك الخطاب المبشر بوصول الشريف محمد بن عون إلى مكة المشرفة فسرنا ذلك وحمدنا الله على ما هنالك، وقد أسندتم الكتاب إلى الوالد رحمه الله وصادف وصوله قد انتقل إلى رحمة الله وقمنا بعد بوظيفته واستمددنا من الله بمعونته ولا يخفاكم أنا نحب صداقتكم وائتلاف شمل أهل الإسلام وحين وصل كتابكم عرفنا مرامكم فنكتب إن شاء الله إلى «لاحق» لا يتعد الحدود التي كانت تحت والدنا وان ارتم كمال الصحبه فتكتبون بذلك كتاباً وكذلك الشريف محمد بن عون ونكون من المتعاونين على البر والتقوى كما ذلك مما نعتقده يرضي سلطان الإسلام أمده الله بالنصر والأنعام لأن بذلك تنقطع ألسنة المفسدين وتنحسم مادة المخالفين ونظنكم تحبون سداد الفتن عن الأمة المحمدية، ونحن ولله الحمد لا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا وما توفيقي إلا بالله ونريد نبذل النفس والنفيس فيما يعز هذا الدين ونصرف القوة والمنعة فيما يرضي رب العالمين ونحن منتظرون الجواب لعله يوافقنا قبل خروجنا للتصليح إن أردتم الصحبة والصلاح والله يختار للإسلام والمسلمين ما علم فيه الخير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[١] .

الله الملك الحق

ومحمد عبده

١- عسير خلال قرنين د. عبد المنعم الدسوقي ، ص ٧٤ .

انتهت الرسالة الموجهة من الأمير محمد بن عائض إلى محمد كامل باشا حاكم مكة المكرمة من قبل الأتراك، ونستطيع أن نخرج من تلك الرسالة بالأفكار التالية:

- إرتياح الأمير محمد بن عائض لعودة الشريف محمد بن عون من استانبول .

- استعداد ابن عائض بالإلتزام بالحدود السابقة بين الطرفين.

- ا لحث على التعاون وامتثال طاعة السلطان العثماني والدعا ء له بالنصر وفي هذا دلالة على إظهار الولا ء للخلافة الإسلامية العامة.

- الحث على طلب الجواب قبل خروجه الذي يعتقد أنه الخروج إلى الفتح - والتوسع - في المخلاف السليماني لكن مع الأسف فالاتراك والأشراف بالحجاز انتهكوا حرمات عسير وشنوا عليهم الغارة تلو الغارة حتى قتلوا محمد بن عائض في ريده عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م.

وفي هذه الرسالة انصب اسلوبها على نصح الخديوي للأمير محمد بن عائض بعدم التمادي في شن غاراته على أطراف الجهات التي سبق أن اخذت عليها العهود والمواثيق بين عسير والأتراك، مذكراً أياه بما سبق بعثه إليه من رسائل سابقة، وقد كرر الخديوي نصحه لابن عائض بسحب قواته من قلاع المخلاف السليماني، وإظهار حسن النوايا للدولة ويطيع سلطان المسلمين ويجنح للسلم حقناً للدماء وتلافياً للشر وحفاظاً على العهودالسابقة من عهد والده عائض بن مرعي الذي استطاع أن يحافظ على دفة الأمر مع الدولة العثمانية.

ونستطيع القول بأنه إذا صحت النوايا من حاكم مصر - بموجب هذه الرسالة - ومن السلطان وأن ظاهر القول الحسن يسري تطبيقه من قبل قوات الأتراك المرابطة في أطراف تهامة وأنحاء شبه جزيرة العرب عامة. وانهم كانوا يريدون السلم فعلاً فإن الأمير محمد بن عائض قد ارتكب خطأ فاحش في حق نفسه وحق قوات عسير حتى قتل وانتهكت البلاد بقوة الأتراك وهيمنوا عليها تماماً من عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م إلى عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

وكان لايزال حاكم مصر يراسل أمير عسير لإقناعه ترك الجهات التي تحت حكم الأتراك ومن ذلك الرسالة التالية :

وثيقة رقم (٣٥)

موضوعها : استمرار محاولات اسماعيل إقناع الأمير محمد بن عائض بالولاء للسلطان .

تاريخها : بدون .

مصدرها : دار الوثائق القومية : محفظة سايرة .

من الخديوي إسماعيل إلى الأمير محمد بن عائض .. الحمد لله الذي حث على الطاعة والإنقياد ونهى المسلمين عن المخالفة والتضاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهي عن الخلف والشقاق المبعوث ليتمم محاسن الأخلاق وعلى آله وصحبه التابعين لهداه الذين اجتهدوا في رضاه وتقلدوا بمحاسن حلاه فاهتدوا بنور علاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،،

فقد سمعت أنكم اضمرتم ما يخالف العهد والاتفاق ويغير معاهد السلم و الموادعة والوفاق ويكدر موارد الصفاء ويخالف شروط الوفاء فقلت هذا خلال المظنون وذلك لأمر لا ينبغي أ يكون وأنا لا أصدق أن يجوز الامير هذه الأمور لاحاطة عمله بما فيها من الشرور بمفارقة الجمهور وشق عصا المسلمين وعصيان رب العالمين ورسوله الناصح الأمين ومخالفة أوامر أمير المؤمنين وإثارة الفساد وإيقاع السوء بين العباد وما يقتضيه ذلك من إشعال نار الحروب بعد كمونها وإدارة رحى الخطوب بعد سكونها وتكدير موارد الأمن والأمان وإراقة الدماء التي يجب أن تصان بعد أن هجعت الفتن وانقطعت المحن وسكن الحال وسكت القيل والقال وقرت عيون السيوف في أجفانها وكف ألسنة الأسنة عن تكليم فرسانها وأقلعت أفواه النبادق عن مرامي بيانها وخلت صدور المدافع من نيران أضغانها فإن كان خطر في نيتكم ما يخالف الاتفاق وينقض شرائط العهد والميثاق فأولى لكم أن تتركوا ذلك الخاطر فإنه ذو خطر وتراجعوا عن الخلاف فإن الخلاف ما له ثمر وتنظروا في العواقب فتمنعوا النظر فإن الحازم بتأمل عقبى ما يأتي وما يذر ، وتدوموا على الطاعة والاذعان وتحذروا ما يخالف حضرة السلطان فاسمعوا وأطيعوا ففي السمع والطاعة خير كثير « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » فلا تتعدوا الحدود ودوموا على حفظ العهود فإن الله سبحانه وتعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فأقبلوا النصيحة فإنها عن محبة صحيحة وإلا تغير ما بيننا ... الخ » .

ويفهم من هذه الوثيقة ما يلي :

- وصول أخبار تحركات الأمير محمد عائض مما يخالف الإتفاقات المبرمة بينه وقادة الأتراك .

- بيان تودد الخديوي لأمير عسير ، ويظهر في نصحه له وتحذيره إياه مغبة التطرف تجاه سلطة الدولة العثمانية .

وفي شهر جمادي الأولى عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م أرسل أمير عسير الرسالة التالية إلى الخديوي إسماعيل حاكم مصر .

وثيقة رقم (٣٦)

موضوعها : رسالة من محمد بن عائض إلى الخديوي إسماعيل .

تاريخها : جمادي الأولى ١٢٨٧هـ .

مصدرها : دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، محافظ بحرير وثيقة ١٢٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نرفع إليك أكف الضراعة والإبتهال ونتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تديم عزك السرمدي ونصرك المؤيد إلى حضرة حامي حمى الأقطار المصرية ومشيد بنيانه أركان المماليك اليوسفية بآرائه الثاقبة ، حضرة فخامة الخديوي الأعظم لا زالت شمس إقباله في بروج السعد شارقة ونحور أعدائهم في دمائهم غارقة ، وبعد المنهي إلى الحضرة التي هي محط حال الآمال الداعي المخلص لم يزل مشتاق إلى مكاتبتكم وسائلاً عن

عافيتكم التي هي غاية المقصود من الرب المعبود ، وقد صدر منا كتابين من قبل هذا ونرسلهما عن طريق وكيل القومبانية بجدة ولم ندري هل عافها فصدر من حمله من أتباعنا ليكون رد الجواب بيده إن شاء الله . وقد أوصيناه بثلاث خصال بها يخبرنا بها من رأيتم أحمد بيك اليمني أو غيره ، ولم نشرح شئ في الكتاب لأجل الخطر من كثرة الحساد بمحبتكم والقرب منكم وإذا رأى حضرة أفندينا إرسال واحد سباك لقلل المدافع خاصة وجميع مايليق بشغلها لهو لدينا من جزيل الإحسان وقوتنا لأفندينا كما علم الله أنا صادقين في ذلك والدهر مجرب ، ولا خير في قول بلا عمل ، ودمتم كما دمتم .

الختم	والسلام
الله الملك الحق	الداعي المخلص محسوبكم
ومحمد عبده	محمد بن عائض

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- تبادل الرسائل الودية بين الأمير محمد بن عائض والخديوي إسماعيل

طلب الأمير العسيري أحد الفنيين في شئون المدافع لتشغيلها وإصلاح ما يتعطل منها [1] .

هجوم محمد بن عائض على قوات الأتراك :

أرسل محمد بن عائض وفداً برئاسة لاحق بن مسفر وزيد بن حسين لمفاوضة الأتراك واستطلاع أخبارهم لكن الوفد رجع بدون نتيجة .

١- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٨٩ - ٩١ .

وفي عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م أدرك أمير عسير محمد بن عائض أنه لا قرار لإمارته إلا بإخراج الأتراك منها ، فجمع الجموع من عسير وقحطان وشهران وبني شهر وغامد وزهران ونزل بهم إلى صبيا وجيزان ، وبدأ في مفاوضة الأتراك والشريف زيد الحيدري وتم التوصل إلى خروج الأتراك من قلعة صبيا بسلاحهم ومعداتهم . وأبحرت سفنهم من قوز الجعافرة إلى الحديدة لإخراجهم من حدود المخلاف السليماني [١] .

وسبقت الإشارة إلى أن خروج محمد بن عائض إلى جيزان وتخريب قلاعها ، والحاق الأضرار بالخيرات وجعل حامية في قلعة جيزان . إن ذلك يعتبر تطرفاً نحو الدولة السلطانية[٢].

أقول في رأيي أنه من حصافة الرأي ورجاحة العقل وعدم التطرف وحقن دماء جند المسلمين ، أنه كان ينبغي على الأمير محمد بن عائض عدم ملاحقة قوات الأتراك بعد خروجهم من صبيا وتركهم وحالهم مادام قد وقع الصلح مع قادتهم .

وكان الأولى به كسب ود أمراء وأعيان وأهالي المخلاف السليماني ومحاولة تقريبهم لتحل محبته محل كراهيته في أنفسهم ، وعدم المساس أو التخريب لأماكن تحصنهم ، وفي نفس الوقت العمل على تحصين وتعزيز مواقع قوات عسير في المخلاف وأطرافه الجنوبية والغربية ، والعمل على جعلها قادرة على الدفاع إذا هوجمت .

١- أخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١١٧ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٩٦ .
٢- عسير - تأليف علي أحمد عسيري ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

وبالتـالي يصبح بالإمكان نقل المعـارك من السراة العـسيـرية بعيـداً عن عاصمته إلى أطراف الجهات التهامية .

وثمة أخرى فإن ابن عائض بتلك الخطة كان بإمكانه الإبقاء على خطط وأهداف والده ، من حيث مسايسة الأتراك ومهادنتهم ، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ومهما يكن فقد استمر أمير عسير يلاحق بقواته الأتراك إلى الحديدة ففي ليلة الخميس الموافق ١٣ رمضان عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م هاجم جند عسير الأتراك مستبسلين وتسلقوا أسوار الحديدة بعد وضع سلالم عليها في حين كان جند الأتراك داخلها متحصنين فأمطروهم بوابل من الرصاص ونيران مدفعيتهم .

ولما رأى الأمير محمد بن عائض بوادر هزيمة جنده فاوض الأتراك وتوصل الطرفان لمهلة سنة وسحب أمير عسير جنده إلى (الجبانة) ومنها إلى أبها بتاريخ ٢٠ شوال عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م [1]. ولعلنا قبل الدخول في ذكر شن الحملات التركية على عسير نذكر شيئاً مما أوردته المصادر التاريخية عن رغبة السلطان العثماني في حل مسألة عسير بالطرق السلمية والإبقاء على العهود والمواثيق التي سبق توثيقها مع عائض بن مرعي أمير عسير في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، وأنه لا يرغب الدخول في حالة حرب مع العسيريين . فمن تلك المصادر التاريخية ما ورد في

١- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١١٧ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٩٧ .
- شبة الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٢٠١
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

الوثيقة رقم ٣٣ المرسلة من السلطان العثماني إلى الخديوي اسماعيل حاكم مصر ، بتاريخ شعبان ١٢٨٢هـ ، حيث جاء فيها « إن الإقدام والمساعي المصروفة منكم لبقاء توجهنا إليكم ، واستمرار حسن ظننا القديم فيكم إنما هو لحميتكم واستقامتكم الذاتية التي أنتم متصفون بها ومجبولون عليها ، وذلك هو المستحسن لدينا دائماً ، والغيرة بخصوص إندفا مسألة عسير المهمة من دون حرب جعلنا جناب الحق في سائر الأحوال مظهراً لتوقيعاته الإلهية آمين [١].

ويتضح لنا جلياً حقيقة رغبة السلطنة العثمانية في السلم ، لأن الدولة آنذاك تدرك تماماً أن الأهداف من وراء غزوها وحروبها لعسير لا تجني منها فائدة بقدر خضوع أمير عسير للطاعة فقط ، وترك الموانئ القريبة وإيراداتها لها فضلاً عن عدم تهديد الحرمين الشريفين .

ولم يأل خديوي مصر إسماعيل جهداً في تحذير محمد بن عائض من تطرفه واستفزاز القوات العثمانية في قلاع تهامة وموانئها بجيزان والمخاء فقد كان الخديوي يرسل المراسيل لابن عائض قبل أن تجهز القوات ضد عسير بل أنه كان يود تكريمه[٢] .

فمن تلك الرسائل ما تضمنته الوثيقة رقم ٣٢ التي جاء فيها « من خديوي الأقطار المصرية وما والاها من الأقاليم السودانية إلى حضرة الأمير الكبير ذي الحسب والشهير محمد باشا بن عائض قائمقام ضنجق العزيزية

١- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٨٧ .
٢- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٨٥ .

دامت معاليه وسعدت أيام ولياليه .. إلى أن قال : ومحبتي لبقاء البيوت القديمة مشيدة الأركان مصونة الجوانب من أن تطرق إلى ساحة حماها صروف الزمان ، وعرفتكم أنكم إذا برئتم مما قيل فيكم من عدم المطاوعة واثبتم ما ترسمته في حسن نيتكم في البقاء في دائرة المتابعة فإني متعهد لكم بما هو انفع وأحرى ومتكفل بأن توجه اليكم رتبة أمير الأمراء » .

ونستخلص من هذه الوثيقة عدة أمور منها :

١- حقيقة رغبة الخديوي إسماعيل حاكم مصر في الوفاق بين أمير عسير والسلطان العثماني .

٢- ظهور حسن نية الخديوي وأنه كان يكاتب السلطان مبيناً له مودته ومهادنة عسير .

٣ - إعطاء أمير عسير وعد بأن الخديوي سوف يطلب من السلطان العثماني منحه لقب « أمير الأمراء » .

٤- يفهم م هذه الرسالة أن سعاة الشر والنفاق يحاولون الإيقاع بعسير لدى السلطان وايغار صدره عليهم مثلما أوقعوا بإمام الدرعية عبد الله بن سعود وإمارته عام ١٢٣٣هـ ، ومن أولئك أمراء الحجاز والمخلاف السليماني .

٥- لا يكاد يشك في العبارات الودية التي ضمنها الخديوي رسالته إلى الأمير محمد بن عائض ومنها : (وإن لكم عندي محمية تقرب القلوب على بعد ديارها ومدده تدوم إن شاء الله على عهد استمرارها وصفاء لا يألف التكدر حماه ووفاء لا يعرف التغيير مرماه) .

أقول وربما فات أمير عسير محمد بن عائض أن أعداءه صاروا أقوى وأكثر من أعداء والده . فالدولة التركية ذات سلطان ومال ورجال وحكمت العالم بأكمله لمدة ستة قرون وزعزعت قوات أوربا والشرق ودانت لها أقاصي أوربا الشرقية ، هذا فضلاً عن أن الإمارات المجاورة له كاليمن ، والمخلاف السليماني وأمراء الحجاز الذين كانوا يشنون الغارة تلو الأخرى على عسير ، وبهذا فقد أخطأ ابن عائض تقدير حساباته وهذا الوضع والكمال لله وحده .

وكان الخديوي اسماعيل حاكم مصر لا يزال يبعث الرسائل إلى أمير عسير يحذره ويرشده وينصحه مغبة التمادي في حروبه واعتداءاته على الجهات التهامية التي كانت تعتبرها الدولة ضمن مواثيقها مع ابن عائض ، فنجده يبعث الرسالة التحذيرية الثالثة بتاريخ محرم عام ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م التي جاء فيها :

موضوعها : تحذير الخديوي اسماعيل للأمير محمد بن عائض من استفزاز العثمانيين .

تاريخها محرم ١٢٨٢هـ .

مصدرها : دار الوثائق القومية المصرية ، بند متفرقات ، دفتر : ٢٤٠ عابدين ص ١٠٦ .

من خديوي الأقطار المصرية وما والاها من الأقاليم السودانية إلى الأمير محمد بن عائض الحمد لله الذي أمر المسلمين بالطاعة والإتباع ونهاهم عن الشقاق والمنافرة والنزاع والصلاة والسلام على رسوله الكريم خير ناصح وخير

داع وعلى آله وصحبه وأتباعه خير الآل والصحب والأتباع وسلام الله عليكم وتحياته ورحمته وبركاته ، وبعد :

فلما بلغنا في السالف تشبث جنابكم ببعض تجهيزات عسكرية في جهات الحدود العسيرية راسلناكم بمكاتبة من جهتنا على يد أحمد بيك اليمني معاون معيتنا نحذركم من الميل إلى المنازعة والتضاد وننصح لكم عن الخروج من دائرة الطاعة والإنقياد لعلمنا بما يجليه الخلاف من الشرور وما يوجبه الشقاق من فساد بعد أن سكنت الفتن وهجعت المحن وانقطعت الاحن والآن بلغنا ما استعظمنا خبره وأكبرنا أمره من أنكم تخطيتم الحدود وأتيتم ما يخالف العهود ، وهذا أمر يجر مايجر ويأتي بما لا يسر من غضب حضرة أمير المؤمنين وحامي الدين والمبين وكذلك لا نرضى حصوله ولا نحب أن نسمع عنكم والذي أشير به عليكم وأنصح به إليكم أنكم إذا كنتم تخطيتم إلى محل خارج حدود صنجق العزيزية [1] على خلاف ما سبق عليه الاتفاق بينكم وبين إمارة مكة المكرمة وولاية الآيالة الحجازية[2] فتخلوا عنه وأخلوا جندكم منه وعودوا للطاعة والموادعة وصدق النية وإخلاص الطوية لجانب السلطة السنية حسماً للشر وحقناً للدماء وحفظاً للعهود ورعاية للوفاء وإبقاء للأمن والأمان ، وخروجاً من غضب حضرة السلطان وإلا يتغير ما عندنا من المودة إليكم ويحوج الحال بالضرورة لأن نكون عليكم وإني جازم أن تقابلوا هذا النصح بالقبول ، وتعودوا للإخلاص وحسن الطاعة كما هو المأمول* .

١- المقصود به امارة عسير

٢- نشأت هذه الأيالة بعد غزو محمد علي للجزيرة العربية

* عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٨٨ .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- تحذير الخديوي اسماعيل المزوج بالعتاب للأمير محمد بن عائض من استمرار إستعداداته العسكرية ضد الدولة العثمانية ، ومن تحركاته العسكرية خارج حدود بلاده .
- مطالبته له بضرورة التمسك بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه حتى يتعرض لا يتعرض لغضب السلطان .
- نصحه له بعد تخطي حدود بلاده والعودة لطاعة الدولة العثمانية حقناً لدماء المسلمين وحفظاً للعهود .

نص تاريخي رقم (٣٩)

موضوعه : إستيلاء الدولة العثمانية على عسير في عام ١٢٨٨هـ

مصدره : أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام . القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ص ٣٢٥

(في أول سنة ثمان وثمانين أيضاً كان تمام الإستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة أن محمد بن عائض أمير عسير طغى وبغى ونقض العهود والصلح مع سيدنا الشريف عبد الله سنة أحدى وثمانين ، واستولى على كثير من المحاكم التي تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين إلى الحديدة والمخاء ، وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديف باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة إلى القنفذة

عن طريق البحر في شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك السراة من بلادهم ونزل عليه من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من أمرائهم وقتلهم وبعث بعضهم إلى دار السلطنة [١] .

الحملات التركية على عسير في عهد محمد بن عائض :

لما رأت الدولة العثمانية أنه لا جدوى من طائل النصح والإرشاد للأمير محمد بن عائض وأنه مصمم على طرد الحاميات التركية من قلاع جيزان وأبي عريش وجعل المخلاف السليماني خاضعاً لسلطته فلم ترى الدولة بدأ من تسيير قوات عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م نحو عسير لإقتلاع إمارتها وجعلهم خاضعين تماماً لسلطتها . فسيروا إليها الحملات التالية :

١- حملة تركية خرجت من صنعاء بقيادة أحمد مختار بك .

٢- حملة تركية خرجت من جدة بقيادة محمد رديف باشا [٢] .

٣- حملة تركية ثالثة خرجت من الطائف بقيادة عاطف بك ومعه الشريف عبد الله بن محمد بن عون [٣] .

فأما الحملة التي قادها أحمد مختار فقد اجتاحت في طريقها مرفأ المخاء والحديدة فتصدت لها قوات عسير في رجال ألمع بقيادة ناصر بن عائض

١- المرجع أعلاه ، ص ٣٢٥ .
٢- تاريخ ملوك آل سعود - المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
٣- قلب الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

وأخيه سعد بن عائض واسندتهم قوة أرسلها الأمير محمد بن عائض برئاسة محمد بن مفرح وصالح الفقيه وحامد بن سليمان فتمكنوا بعون الله من هزيمتهم [1].

وأما حملة عاطف بك فسار بها طريق السراة نحو غامد وزهران لكن القوات العسيرية المرابطة هناك بقيادة سعيد بن عائض تصدت لها فضلاً عن وصول مدد من غامد وزهران بقيادة ابن عقالة وابن بخروش وسفن من جزر دهلك وزيلع ومصوع بقيادة شيخهم حسن بن موسى بن حبيش واستطاعوا التغلب على الأتراك وسلب الكثير من أسلحتهم مع إرغامهم على الفرار نحو البحر هاربين إلى فرسان وكذلك انهزمت قوة الفريق محمد رديف باشا إلى جيزان .

ونتج عن تلك المعارك مقتل قائد قوات عسير علي بن طامي بن شعيب ، وغرقت سفينتان للترك وركابها ، واستمر تقدم أحمد بن عائض في قوة من زهران وغامد وسفن دهلك ومصوع وزيلع يسندهم غزاة يام وقحطان بقيادة عبد الله بن عائض استمر الجميع غرباً يطاردون قوات الأتراك من القنفذة وميناء البرك ، والشقيق وميناء جيزان ، وقد تمكنوا من الإستيلاء على ثمان سفن للأتراك [2].

لكن القوة التي ارتقت السراة بقيادة راغب بك عاودت سيرها نحو أبها ، في حين استمر الشريف عبد الله بن محمد بن عون يواصل زحفه من الشرق نحو أبها التي تعتبر هدف الأتراك مكتسحاً في طريقه تربه ثم بيشة وشهران

١- عسير في أطوار التاريخ - المرجع السابق ، ص ٨٢ .
٢- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٩٩ .
- عسير دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٣٤٦ - ٣٦٢ .

وقحطان في أشد صراع مع قوات عسير بقيادة أحمد بن ضبعان[1] .

ولما علم الأمير محمد عائض بتلك الجموع أمر بسحب قواته المحاربة ضد الأتراك في زبيد والمخاء والحديدة من الجهات التهامية الجنوبية وذلك للدفاع عن عاصمتهم ، وأمر بسحب قواته من غامد وزهران بقيادة أخيه سيعد بن عائض وفي الوقت نفسه أرسل القائد التركي لأهل عسير المنشور التالي فيه من الوعيد والترغيب والموثق برقم (٣٩) حيث قال :

الوثيقة رقم (٣٩)

موضوعها : منشور القائد التركي رديف باشا إلى العسيريين لتحريضهم ضد الأمير محمد عائض .

مصدرها : هاشم النعمي : تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، ص ٢١٠ -٢١١ .

تاريخها : ٦ شوال عام ١٢٨٨هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه في عام اثنين وثمانين ومائتين بعد الألف سمع عن محمد باشا [2] قائمقام عسير أنه يهم بشق عصا الطاعة وسلوك طريق العصيان والشناعة والتصدي لظلم العباد وسلب راحة البادية والبلاد وتسحب أن الرعايا وديعة الله عند خليفة الإسلام وإستكمال أمنهم فرض عين علي أمير المؤمنين دون

١- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢١
- عسير - محمود شاكر ، ص ١١٢ - ٢١٢ .
٢- المقصود به الأمير بن عائض .

سائر الأنام صدرت حينئذ الإرادة السلطانية بأن تساق العساكر لتأديب القائمقام المومي إليه ودفع ضرره عن البرية فلما علم لا محالة أنه مخذول ومعامل بما أمرت به شريعة الرسول أظهر التوبة والإنقياد وأنه إلى الطريق المستقيم رجع وعاد وتعهد بترك الظلم والإعتساف والوقوف عند حد الأدب واستعمال الإنصاف فعومل بالعفو وأحسن إليه برتبة الباشوية لكن لم يهمل من تصفح حركاته الخفية والجلية وسير سيرته للأحكام ومعاملته الرعية وقد فهم أنه منذ عامين مازال مهتماً بتدارك القوة والإستعداد لإجراء ما كان قد أوهم الرجوع عنه من البغي وإيقاظ الفتنة والآن وقد ظهرت على حركاته أمارات الخروج عن ربقة الطاة بإستعمال الظلم سئ الأغراض والتجاوز والتطاول بالتعدي على على من يليه من أهل اليمن وغيرهم من ذوي الأغراض فلذا تعينت على مولانا الإمام الأعظم المبادرة إلى ردع ذلك الباغي وكفه عن التطاول لإيذاء الناس وإثارة الشرور وصدرت الإرادة السنية بسوق جيوش عظيمة وسفن حربية جسيمة تحمل من العساكر الجهاديين جنوداً لا قبل بها للباغين تغشى بلادهم وتخرجهم منها أذلة وهم صاغرون .

فالقبائل والعشائر والأهالي الطائعون المنقادون لطاعة ولي الأمر يلزم عليهم أن يثبتوا على قد الطاعة والإنقياد وأن يظهروا أعلام ذلك لكل صاد وباد لتشملهم الرأفة والرحمة والشفقة وأنا نقول لكم عموماً أنه حيث القصد من مأموريتنا وسفرنا من دار الخلافة العلية إلى هذه الأماكن إنما هو من أجل تأمين البلاد وترفيه العباد ورفع الظلم والتعدي عنهم وقمع وردع أهل الإعتساف والفساد فمن كان منكم مطيعاً لأوامر الله التي من أهمها طاعة

ولي الأمر فسيجري في حقه اللطف والصيانة ويعامل كامل العدل والرحمة وينال الأمان العام على دينه ونفسه وماله ولكم على ذلك عهد الله وميثاقه فليعرف كل منكم قدر هذه النعمة بالإنقياد لأوامر ولي الأمر ، والتجنب عن الفئة الباغية الردية ليميز المجرمون وأهل الفساد ويذوقوا أليم النكال دون العباد ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وها أنذا قد بذلت لكم النصح الواجب حسبما أمرت ، وقد أعذر من أنذر وسيرى الذين ظلموا لم عقبى الدار والسلام .

حرر في ستة من شوال ١٢٨٨هـ [١] .

وعلى أثر منشور رديف عقد الأمير محمد بن عائض مؤتمراً حربياً نص على :

- رفض ما جاء في الإنذار .
- استنفار جميع قوى عسير لحرب الأتراك .
- تكون مقر قيادة الأمير محمد وجنده عقبه شعار المطلة على وادي تيه .
- يرابط رجال ألمع وقبائل تهامة عسير بمضيق دالج المطل على ماء الأحابيش من شمالي رجال ألمع مما يلي محائل[٢] .

ويستخلص من هذا المنشور ما يلي :

- بعد غارات الأمير محمد بن عائض على الحديدة ورفضه الإنصياع لأوامر

١- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٩٣ .
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٠ - ٢١١ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٢ .
- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ٩٩ .

السلطان العثماني فأرسلت الدولة العثمانية إلى عسير جيشاً بقيادة كل من محمد رديف باشا وأحمد مختار باشا .

- توجيه القائد التركي رديف باشا منشوراً إلى العسيريين ظاهرة صيغ معسولة ممزوجة باقتباسات من القرآن الكريم والسنة النبوية وباطنه التحذير والوعيد .

أما قوات الأتراك الزاحفة من تهامة ففتك بهم الوباء من الحرارة والغبار وتوفي الكثير منهم وتاه آخرون لجهلهم بها . لكن خيانة شيخ قبائل محائل عمر بن عبد الله الكناني سهلت مهمة الأتراك حيث زودهم بالجمال والبغال والمعلومات عن تحركات قوات عسير [1] .

وقد وضع الفريق رديف باشا خطة توزيع قواته كالآتي :

- جعل محائل مركزاً لتمويل وتوزيع قواته مع طابور ونصف منهم .
- نشر طابور ونصف عسكري على طوال الطريق من محائل إلى حلي بن يعقوب لتأمين خط سير قواته نحو أبها .
- وزع طابور ونصف في حلي بن يعقوب .
- بعث طابور أسفل عقبة تيه بأسفل شعار لإيهام ابن عائض بالقدوم منها في حين خالف ذلك .
- سار بستة طوابير نحو رجال ألمع لتكون قلب قواته .

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٢ .
- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

وزحف رديف من تهامة نحو أبها ولم يجد أي مقاومة إلا كمين نصب لهم أدى إلى خمسين جندي ، وكانوا أثناء سيرهم يطلقون الرصاص لبث الرعب في السكان مع قتل بعضهم علنا لإرهاب العسيريين .

وغير رديف باشا خط سير قواته من عقبة (تيه) التي رابط أعلاها الأمير محمد بن عائض إلى بارق ثم إلى محايل فإلى مضيق (دالج) جنوباً[1] .

ثم سلكت قوات الأتراك وادي العوص حتى ظهروا عقبة الصماء إلى أن تمركزوا في باحة ربيعة ورفيدة شمال أبها ، أما المدافعين من عسير في جبال دالج وعددهم ثلاثمائة مقاتل بقيادة على بن محمد المغيدي فقد انسحبوا منها إلى قمة جبل قوة المطلة على الشعبين تحت ضغط نيران المدفعية التركية .

وفي نفس الوقت انسحب الأمير محمد بن عائض بقوته من قلاع شعار الواقعة شمال أبها إلى حصون السقا عاصمته للدفاع عنها أمام زحف الأتراك .

وجدير بالذكر أنها كانت مشحونة بالمؤن والذخائر تحسباً لمثل هذه الحرب الضروس ولأطول مدة ، وأبقى الأمير محمد ستة آلاف مقاتل خارج حصون السقا [2]. وذلك لإشغال قوة الأتراك وضربها من الخلف ، لكن كثافة مدفعيتهم أدت لقتل الكثير من جند عسير ، وقتل من الأتراك كذلك وظل

١- عسير - دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

٢- مجلة البحث العلمي - المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .

القتال سجالاً بين الطرفين خمسة أيام كاد النصر يكون حليف عسير لولا وقوع قذيفة - بأمر الله - في مستودع ذخيرة أمير عسير بحصن - مسمار - أدت لتفجيره ومقتل بعض جندهم ، وعلى أثر ذلك أخليت حصون وقلاع السقا ، واستمر القتال بين الأتراك وعسير صولات وجولات يندي لها الجبين .

وانسحب العسيريون بفلولهم إلى (الحفير) جنوب السقا أمام ضغط قوات رديف باشا الذين دمروا تلك البلدة ونهبوا أموالها واضرموا النار فيها(١).

ولا يزال آثار ذلك ماثل للعيان حتى الآن من خلال مشاهدتي لها في صيف عام ١٤٠٨هـ .

حصار ريده وقتل أمير عسير :

أما حشد قوات الأتراك الكثيفة من العدد والعتاد لم يجد الأمير محمد بن عائض بداً من الإنسحاب بقواته من سراة أبها - التي أصبحت مسرحاً لتلك القوات إلى بلدة - ريدة - ذات المعاقل والحصون الواقعة أسفل السفوح الجبلية القريبة من أبها فيقال أنها من أمتن وأحصن القلاع في عسير ولها طرق لا يكاد يعرفها إلا ساكنوها ، فقد حدثني أكثر من شخص أن أمراء عسير أنشأوا لها طرقاً تمتد من بعيد ومحفورة تشبه خنادق الجيوش حالياً ومسقوفة بحجارة مستطيلة يسير فيها أهلها إلى الحصون ويخرجون منها ، دونما يشاهدهم الآخرون ، ودخلها الأمير محمد بن عائض وجعل في كل حصن من حصونها قوة كافية ، من الرجال والعتاد والمؤن (٢).

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٤ .
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٩٠ .
٢- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

لكن قوات الأتراك زحفت نحو ريده وأخذت تدكها بالمدفعية وفي نفس الوقت احتاروا في كيفية الوصول إليها .

وضمن خطة أمير عسير الدفاعية فإن ألف محارب من رجاله كانوا يدافعون عنه شخصياً في ريده ، وقد توسط الشريف محمد بن عون لدى السلطان عبد العزيز العثماني يطلب الأمان لمحمد بن عائض فوافق السلطان وأصدر فرماناً بذلك على أن يتخلى الأول عن حكم عسير للعثمانيين وتبقى له أمواله وخيوله وحصونه ، وجاء في الفرمان .

« انك آمن بأمان الله ورسوله وإني قد قبلت جميع مطالبك التي عرض علينا بواسطة الشريف محمد بن عون ، وما عليك إلا تسليم البلاد لرديف باشا وأموالك وخيولك وجميع أملاكك مع الحصون لا تمسها عساكرنا بسوء إلا إذا لم تتبع أمرنا هذا السلطاني » [١].

ووصل مندوب الشريف بالفرمان إلى ريده وقوات الأتراك تحاصرها ، فكتب محمد بن عائض على الفرمان للقائد أحمد مختار : « إنني دخلت تحت طاعة السلطان حسب الفرمان » [٢]. وطلب بن عائض نجدات من كافة عسير فأسرعت قبائل شهران وخلافهم لذلك ، وفي نفس الوقت دارت مفاوضات بين الطرفين أرسل أمير عسير أخاه سعيد بن عائض يرافقه بعض رجاله إلى رديف باشا لعقد صلح فسجنهم ثم أطلق رفاقه وبقي هو محبوس [٣].

١- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٥ .
٢- تاريخ ملوك آل سعود - المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
- عسير - تأليف احمد عيسى - المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .
٣- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة - المرجع السابق ، ص ٨٩ .

وقيل أن الأمير محمد بن عائض أرسل الشيخ فائز بن غرم العسبلي أحد قادة عسير إلى رديف باشا وهو لازال في بارق لعقد صلح بين الطرفين ، لكنه حبسه هو الآخر فتوسط الشريف عبد الله بن محمد بن عون لفك العسبلي بحكم صلة النسب بينهم ، فرفض رديف مما جعل الشريف عبد الله يبحر إلى جدة [١].

وقف الأتراك حائرين أما صعوبة دخول قلاع ريده وأعيتهم الحيل فعمد الفريق رديف إلى خطة تمويه حيث أرسل القائد أحمد مختار على رأس قوة للإبحار من القنفذة إلى الشقيق ومنها إلى ريده ، وبهذه باتت قوة عسير فيها محصورة بين فكي كماشة .

وأخذت قوات الأتراك تصلي قلاع ريده وحصونها بالنيران من كل جانب ، ورغم إنقطاع إمدادات عسير الخارجية ، وكثرة عدد الأتراك فإن عسير دامت مقاومتهم مدة يقال أنها خمسة أيام [٢]. وقيل شهرين كاملين فخاف مقاتلوا عسير ليأسهم من الصلح مع قوات الأتراك وكثرة قواتهم [٣]. وشدة حصارهم فسلم مقاتلوا حصن شهران ثم آل مفرح وحصن بكر ، وحصون آل مجثل ودبت الخيانات بين بعضهم وصمد مقاتلوا حصن الأمير محمد بن عائض آخرهم ، لكن طول الحصار والشعور بالهزيمة جعلهم يستسلمون إذ لم يبقى مع الأمير محمد سوى إخوانه ومواليه فاضطر لطلب الأمان من القائد أحمد مختار شريطة تأمينه وأهله كما مر بنا ، وفي نفس الوقت سمح لرجاله المقاتلين معه في (ريده) بالهرب إلا اخوانه ورفاقه الخاصين فإنهم أصروا

١- عسير دراسة تاريخية - المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .
٢- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
٣- السراج المنير - المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

على البقاء مع أميرهم حتى يكتب الله أمراً كان مفعولا [١].

وبعد صلاة المغرب بحوالي ساعتين من أحد ليالي شهر محرم عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م ترجل الأمير الشجاع محمد بن عائض مع عشرة من رجاله [٢]. إلى مقر قيادة أحمد مختار مسلماً ومصدقاً بموجب الفرمان السلطاني المذكور ، ولما وصل رديف باشا من السقا إلى ريده وجد الأمير محمد بن عائض جالساً بجانب أحمد مختار فاشتد غضباً وأمر بقتله [٣].

أقول ولعل غضب رديف ينبع من عدة عوامل منها :

- شعوره بأنه القائد العام لقوات الأتراك بعسير .

- اعتقاده بوجوب تسليم محمد بن عائض له ليفوز بسمعة ذلك لدى السلطان العثماني عبد العزيز بن محمود .

ومهما كان فإنه أثناء الحوار بين الطرفين فهم سعد بن عائض كلام الأتراك أن رديف مصمم على قتل الأمير محمد بن عائض وأنه لا محالة من تطبيق قول القائل :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فوثب سعد على الفريق رديف باشا وطعنه بسكين مسمومة ألقته صريعاً على الأرض وبقى متأثراً حتى لاقته منيته ودفن في الشقيق ، واعترك

١- عسير - المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .
٢- تاريخ عسير - المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
٣- شبه الجزيرة العربية - محمود شاكر ، ص ٢١٧ .

الطرفان في معركة ضارية قتل فيها الأمير محمد بن عائض[1] وأخواه سعد وعبد الله ومحمد بن علي بن مجثل واثني عشر رجلاً من قادة عسير .

وقيل أن محمد بن عائض هو الذي طعن رديف (بمدية) كانت معه وتوفي ودفن في الشقيق بعد نقله للعلاج [2].

أما أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن وأحمد وعلي ويحيى وسعد بن محمد بن عائض ، ومعهم ستمائة رجل من رجال عسير وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي رئيس قضاة عسير[3] وعلي وناصر أبناء طامي وسليمان بن عبد الوهاب المتحمي ، ورأسي بن مغرم بن ثابت الشهابي شيخ قبائل سنحان ودليم بن شايع شيخ قبائل قحطان ومحمد بن سليم شيخ قبائل آل الصقر وزيد بن شفلوت ، وناصر بن كدم من مشايخ قحطان وعبد العزيز بن محمد الغامدي ، وابن عياش الغامدي ، وجمعان بن رقوش شيخ قبائل زهران ، ومبارك بن فرحان الدوسري [4].

وعلي بن مشبب ولاحق بن أحمد وعلي بن غرم وعلي بن ابراهيم بن معدي ويحيى بن ظافر بن قاسم بن موسى وزحاف وغيرهم من رؤساء عسير كل أولئك أسروا إلى استانبول [5].

وألقى القبض على ثمانمائة أسير من المدافعين عن ريده واحكمت عليهم الحراسة بطابور عسكري في مسجد ريده المكشوف وكان له نوافذ وشدد

١- خلاصة الكلام - المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .
٢- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
٣- شبه جزيرة العرب - المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
٤- عسير - المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .
٥- تاريخ عسير - المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

رديف باشا قبل رحيله في البحث عن قادة عسير الباقين[1] بعد معركة بينهم والأتراك دامت ثمانية أيام ، وكانت إمدادات عسير تصل من يام وهمدان ورحل أسراء عسير من ريده إلى الشقيق ، فإلى قناة السويس ، فبيروت ، وقيل أنهم مروا بالقنفذة فإلى جدة وأقاموا بها ليلتين فإلى السويس بعد ثلاثة أيام ثم مروا ببورسعيد حتى استانبول في جمادي الآخرة عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م وقيل في الخامس من شهر ربيع الثاني ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م وقيل كان وصولهم يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخرة من العام نفسه .

وكانوا تحت حراسة مشددة برئاسة الأمير لاي سليمان أدهم وهو من الجيش المقاتل في عسير لكنه كان محسناً إليهم في المعاملة وقد بقي أسراء عسير في استانبول[2] قرابة سنوات عادوا بعدها إلى وطنهم عام ١٢٩٦هـ ١٨٧٨م ، وقد شارك بعض أسراء عسير في حروب البلقان [3] .

أما قوات الأتراك في عسير فقد استولت على ممتلكات أمير عسير من خيل ونقود وأسلحة ومدافع وغير ذلك [4] .

وكانت فاطمة بنت عائض بن مرعي ضمن أسراء عسير إلى استانبول، وقد ولدت في ريده ، وتلقت العلم في عهد أبيها وبرزت في الفقه الشافعي وألفت رسالة في ذلك ، وعزفت عن الزواج وكانت تباهي الرجال في الشجاعة ، والتمنطق بـ (الذريع) وهي الجنبية من أهم السلاح الأبيض المقتنى في عسير .

١- عسير - علي احمد عيسى - المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .
٢- المتعة - المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .
٣- دراسات من تاريخ عسير الحديث . د. محمد بن زلفة ، ص ١٢٩ .
٤- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٩٢ .

وتعتبر فاطمة المرأة الوحيدة التي اشتركت مع إخوانها في معركة (ريدة) وشهدت المجزرة الرهيبة التي قتل فيها إخواها الأمير محمد بن عائض وسعد بن عائض والذين معهما من أعيان عسير .

وألقى القبض على فاطمة مع ابنة أخيها فاطمة بنت سعد بن عائض ، وأرسلتا مع أسراء عسير إلى استانبول وكانت الأولى شاعرة استطاعت تصوير مشاعر قومها في المنفى وإظهار مساوئ جند الأتراك ضد عسير ، وكانت لها مساجلات شعرية مع العلامة الشيخ / أحمد عبد الخالق الحفظي فضلاً عن أنها متدينة قارئة لكتاب الله تعالى .

فقد كتبت نسخة من القرآن الكريم بيدها وقدمتها إلى السلطان عبد العزيز بن محمود قالت : « أقدم لكم نسخة من كتاب الله الذي قال فيه رسول الله (ﷺ) : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط صدق مستقيم » وأمضت فاطمة توقيعها أسفل العبارة و كانت أثناء اقامتها في استانبول تقضي وقتاً عند والدة عبد الله بن السلطان محمود الثاني (برطون يال) ، حيث كان مجلسها يضم أديبات تركيات .

وكانت فاطمة بنت عائض تجيد اللغة التركية وهي السبب في زواج

أخيها سعيد بن عائض برفعة بنت عبد الله بن السلطان محمود الثاني ونعود لأسر الأتراك لعسير حيث جمع أحمد مختار دفعة ثانية من أعيان عسير وأرسلهم إلى استانبول ومنهم سعيد بن عائض وأحمد عبد الخالق الحفظي ، وفاطمة بنت سعد بن عائض ولا حق بن أحمد وفائز بن غرم العسبلي وعلي بن ابراهيم من رجال ألمع وناصر بن محيا الأحمري وعلي بن ظافر [1].

ولما وصل اسراء عسير إلى استانبول عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م ألقى نيابة عنهم القاضي أحمد بن عبد الخالق الحفظي خطبته المشهورة أما السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني والتي قال فيها :

وثيقة رقم (٤٠)

موضوعها : خطبة أحمد عبد الخالق الحفظي نيابة عن أسرى عسير في استانبول والتي ألقاها أمام السلطان العثماني عبد العزيز بن السلطان الغازي محمود في عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م .

مصدرها الاستاذ عبد الخالق الحفظي مدير التعليم برجال ألمع ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعرضه خادم العلماء الأعلام وأحد جيرة البيت الحرام المقر بذنوبه والآثام أحمد عبد الخالق الحفظي اليمني على حضرة سلطان الإسلام وخادم الحرمين بوافر الأنعام وأتم الاكرام السلطان عبد العزيز بن السلطان الغازي محمود خلد الله خلافته بالتمكين وحفظه بما حفظ به الذكر المبين ورزقه الرفق

١-الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - المرجع السابق ، ص ٩٢ .

واللين بنا وبكافة أخواننا المسلمين وألهمه ما أنــزل رب العالمين على الـروح لأمين إلى محمد بن عبد الله سيد الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم بإذن أرحم الراحمين « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فـأعلم أن الله مكنك من بلاده واختـارك لعبـاده وأخضـع لك الرقـاب وسهل لـك الصعـاب ودان لك العـرب وأخضع لك العـجم إما أثابة منه وذلك بفضله أو اختبـار لك وذلك بعـدله وادعيت دعـوة عظيـمة مقعدة مقيمة بأنك الخليفة بعد المختار وأنك متابع طريقته بلا تقصير أو استكبار فنحن أيها الرعـايا نقر بذلك بلا إنكار وندعـولك آناء الليل وأطراف النهـار تدرب على ذلك الكبار وعملوه الصغار ، ومن عصاك فقد عصا الله لقول سيدنا محمد عريض الجاه من أعطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وقد عرفت أن سيدنا محمد (ﷺ) أخذ بإكرام العـرب وأمر بالرفق من ولى كمـا وليت ، وجـعل الرفق أعظم القرب فقـال « اللهم من ولى من أمور المسلمين شيئاً فرفق بهم فـارفق اللهم به ومن شقق عليهـم فاشق اللهم عليـه » وبعضنا يعتقد في دعـوة بعض فكيف لدعوة أفضل أهل السموات والأرض وإنا أتيناك من اليـمن الميـمون الذي أثنى على أهله الأمين المأمون وأوصى علياً ومعاذاً لما بعثهما إلى تلك الرحاب بإتقاء دعوة المظلوم . فإنه ليس بينها وبين الله حجاب فاسمع لنا يا خليفة رسول الله . ولا تطع فـينا من اتبع هواه « فـإن تطع أكثـر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » ونحن وهم مجتـمعون وسنسأل وتسألون .

« ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وأذكر أن الله أوجدك وأنت لا تعلم أنك تقوم مقاماً قامه الأولون : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » وأعلم أن أقاويل المنافقين لا تغنيك بين يدي رب العالمين حيث يقوم اسرافيل وينادي ألا أن لعنة الله على الظالمين وأن من قدح فينا لديك وقال الكلام إليك يقول عنك كما قال عليك إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين » . وقد قيل للأمين المأمون « إنا جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال أيضاً مبيناً لرفقه في قوله بأمر الله وحوله فاتبعك في فعلك وقولك إذ لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد سلاه الله بقوله : « إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وتخلف صاحبه في الغار لما أخرج هو والنبي المختار وأنزل في شأنهم « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » . ثم توفاه الله فقام بالخلافة بعده عمر بن الخطاب حتى قتل وهو قائم يصلي في المحراب وأكرم العرب بلا إرتياب وقام لوفودهم وقال أهلاً بالأحباب ، ثم لما قتل قام بالخلافة بعده عثمان بن عفان فاتبع طريقته وأحيا شريعته وقام بالمفروض والسنن واستوصى خيراً بأهل اليمن ، وإنك ثمرة من تلك الشجرة والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه فاتبع شريعة من وقر الإيمان في قلبه . ثم قتل عثمان ففعل على بن أبي طالب كما فعلوه حتى قتلوه وحقق لأهل الباطل ما جهلوه فأذوه وسبوه ولو شاء ربك ما فعلوه ثم كان الاختلاف والنكوص والملك العضوض فانظر هل فعل سيدنا المختار بأهل

اليمن شيئاً من الأكدار أو أخرجوا من الديار بل وفدوا عليه بعد فعل وأمر جهلوه فقام لهم على قدميه وأوقفهم بين يديه حتى سلموا عليه ثم قال أهلاً بأهل اليمن الإيمان يمان والفقة يمان والحكمة يمانية ، وانظر لخليفته الرفيق أبي بكر الصديق هل خالف طريقته أو ترك شريعته ، وانظر لعمر بن الخطاب لم تصغ أذنه لفاسق كذاب وانظر لعثمان بن عفان قام لهم بأتم الامتنان ثم علي بن أبي طالب رفع لهم صيت المناقب فهؤلاء هم القوم الذي يليق بمثلك لهم الاقتداء وبهديهم لك الاهتداء وأما ما فعله الجبابرة في الأمصار ، وغيروا دين العزيز الغفار كبختنصر الفجار وهادم عري الأسلام والإيمان نمرود بن كنعان وأمثالهم كالحجاج بن يوسف ، فشرف الله قدرك على إتباع أحوالهم أو الاقتداء بأفعالهم لأنا نقر بخلافتك ونطلب شريف رأفتك في الرفق واللين بنا وبمن وراءنا من المسلمين وأخواننا المؤمنين ، والاختلاف عادة المسلمين ، وليس كمن صدر منه مخالفة يفعل به كما يفعل بالكافرين « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحد ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ولذلك خلقهم ، أي للرحمة فارحمنا كما قال الملك العلام ذو الجلال والإكرام : « وما كان الناس إلا إمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » . وإنا وفدنا إليك ونحن نؤمل أن توقفنا بين يديك ونشكو أمرنا على الله ثم عليك فلما وصلنا أعتابك العلية ومواضع الخلافة البهية ، حجبنا عن تبليغ حاجتنا إليك والوصول بين يديك ، وقد أملنا فيك متابعة المختار في إكرام وفود اليمن كاكرام المهاجرين والأنصار ، حيث ونحن وفدنا إليك من غير جرم أجرمناه أو سوء فعلناه أو شر قدمناه ، أو عمل فاسد

عملناه بل أتتنا رسلك فسلمنا بالطاعة ودخلنا مداخل الإستطاعة ، مع أنا ولله الحمد من أهل السنة والجماعة نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره و شره ، واليوم الآخر وما فيه وتصل الرحم ونحمل الكل ونقري الضيف ونعين على نوائب الحق ، ونقيم الجمعة والجماعة ونظهر ونسر للخليفة مختوم الطاعة ، نداوم الصلوات ونأمر بذلك الأبناء والبنات لم نسفك دماً أو ننتهك محرماً فبأي حجة يحتجون وبأي عذر يعتذرون بين يدي من يقول للشئ كن فيكون بل لما اشرفنا على الاعلانات الباهرات التي فيها عهد الله وميثاقه أن لا قصد إلا محمد بن عائض وأن من بقي آمنين في وجه الله ثم وجه رسوله ثم وجه خليفتهما السلطان الأعظم فأخفر الله في ذمته ، وخالف المصطفى في كلمته وخرج من يد خليفته باخفار ذمته . فإن من أخفر ذمة مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وقد حصل علينا ما لا يخفى على الله من عنك المحارم وترويع الأطفال وما جرى علينا من الأحوال ونحن نحمد الله ما منا صغير أو كبير لأن الأمير من لزم محارباً مقاتلاً ونحن صدقنا وجه الله ووجه رسول الله ثم خليفتهما ظل الله في أرض الله فمن أخفر ذمة هؤلاء فسننتصر عليه بالله ، وإن كنت أخذتنا بقول فاسق كذاب فتراجع كما قال العزيز الوهاب « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » . ولم قد يؤخذ في الظلم والتلبيس أبونا آدم بشهادة إبليس ، ولا أهل سبأ بلسان طير بلقيس وإن كنت مغروراً كما فعل الجاحد فقل كما قال سيد الغائب والشاهد « اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد » وقد كان (ﷺ) يبعث الرسل بلسان قومهم ليسلم من اثمهم ولومهم كما قال : من لا

تأخذه سنة ولا نوم « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » وإن كان قيل لك قولاً كاذباً فنحن إليك معتذرون وبكتاب الله منتصرون فقد قال (ﷺ) من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها منه كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس وقال أيضاً من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه لم يرد على الحوض ومن أعان مؤمناً على حاجته وهب الله له ثلاثاً وسبعين رحمة حتى يصلح الله له دنياه ، وأخر له اثنتين وسبعين رحمة مدحورة في درجات الجنة . من إخوانك المسلمين ورعيتك المؤمنين من قتل بعد أن قال لا إله إلا الله وقد عرفت ما قال (ﷺ) : « لمن قتل كافراً قال لا إله إلا الله أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فكيف أيها السلطان بمن يخرج بالأمان في وجه الملك الديان ، ثم وجه سيد ولد عدنان ، ثم وجه الخليفة من آل عثمان ، فيقتل أو يخان وقد قال (ﷺ) : « من آمن رجلاً على ذمة فقتله فأنا بريئ من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » وقال (ﷺ) : من آمن رجلاً على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة والوقوف بين يدي الله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، والاجتماع بين يدي الله يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله[1].

أحمد الحفظي

لطف الله به

١- عسير خلال قرنين - المرجع السابق ، ص ٩٨ - ١٠٥ .

وقد أثرت خطبة الحفظي هذه في نفس السلطان فأمر بإطلاق أسراء عسير من الحبس مع ابقاء الحراسة عليهم وأكرمهم ورتب لهم معايش وقيل أنه أمر بنقلهم إلى بلدة يانيه في - البانيا حالياً - حيث أمضوا فيها خمس سنوات اشتركوا خلالها مع الأتراك في حروب البلقان عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م ثم أعيدوا إلى عسير وألقى أحمد الحفظي أثناء أسره عدة قصائد عبر فيها عن مشاعره ومشاعر وآلام قومه(١) .

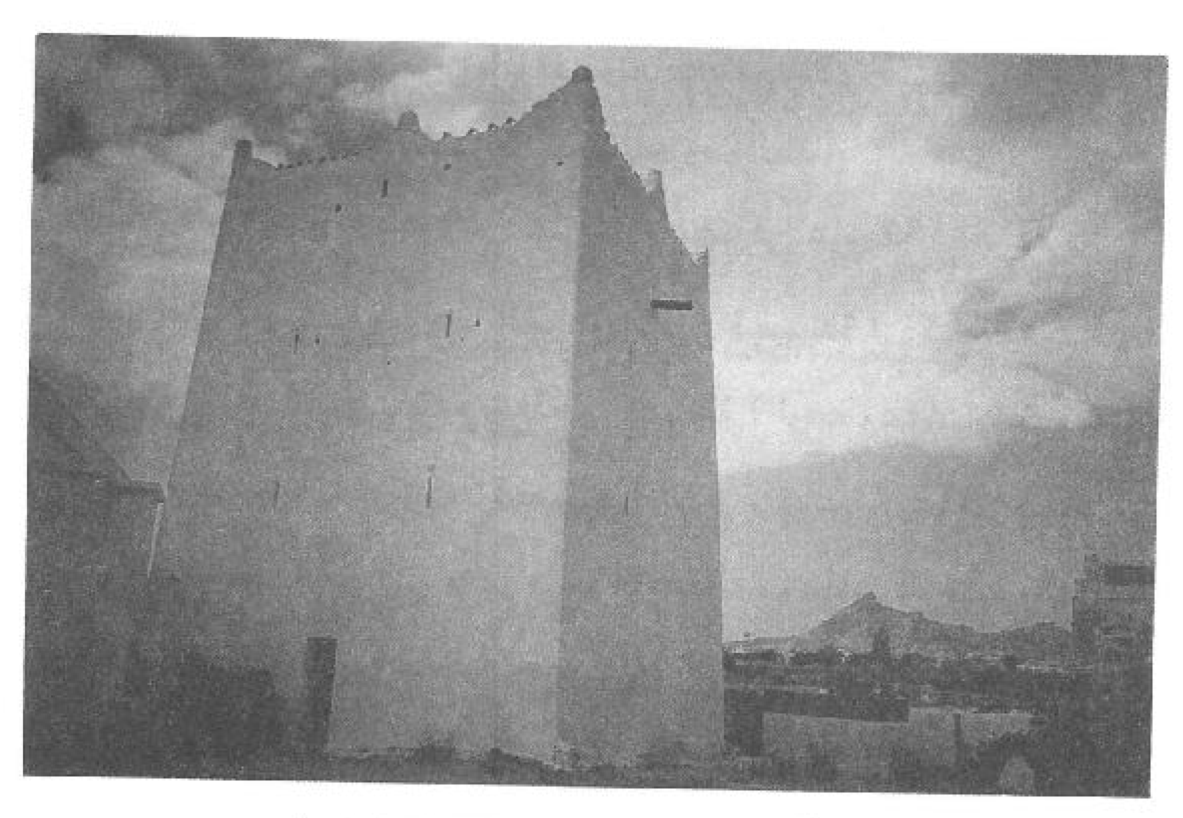
يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

١- بروز الأثر السلفي في خطبة أحمد عبد الخالق الحفظي ويبدو ذلك واضحاً من كثرة الاستشهاد فيها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .
٢- تأثر السلطان عبد العزيز بالموقف وتعاطفه مع أسرى عسير .
٣- اشتراك بعض أسرى عسير في بعض حروب البلقان .
٤- العفو عن أسرى عسير وعودتهم إلى وطنهم في عام ١٢٩٣هـ .

ومن أهم قصائده في هذا الغرض الأدبي قصيدة (ذكرى وعتاب) كتبها وهو بالمعتقل إلى بلده وأهله ، وقصيدة (لوعة وعتاب) في الحنين إلى وطنه وقومه الأشاوس ، وقصيدة (الدهر والناس) يتذمر فيها من الحكام العثمانيين الذي ذاق منهم مرارة الاعتقال ، وعذاب الوحشة والعزلة ، وقصيدة (بين الماضي والحاضر) يحن فيها إلى الماضي ذي العزة والفخار ، يئن في الحاضر من مرارة اليش بعد النعيم ، وقسوة الأيام بعد الرخاء ، وقصيدة (محاكمة) ، وفيها محاكمة وحوار يشف عن ظلم العثمانيين له

١- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

ولأصحابه ، وقصيدة (ذكريات) ، يتذكر فيها حالته حينما كان عزيز الجانب في الماضي ، وحالته من الأسر في الحاضر ، وقصيدة (خماسيات) وكتبها بعد الانتصار في حرب البلقان إلى قومه إبتهاجاً بعودته إلى وطنه وسار على نظام تغيير القافية في الموشحات ، وقصيدة (خواطر من أرض الروم) وأرسلها مع علي بن طامي شعيب ، حين أطلق سراحه إلى بني عمومته ليعبر فيها عن حنينه إلى وطنه يقول فيها :



حصن آل عاطف بتنومة - ١٤١٨/٣/٢٣هـ

خطرت ومنت في لذيذ وصـــالهـــا
فـدهشت بين حـديثـهـا وجـمـالهـا
شـمـس تبـدت من سـمـا ء فـضـائل
وتزينت ببـــهـــائهـــا وكـــمـــالهـــا
دريـة نـوريـة عـــــــــربيـــــــــة
فـاقت ببـهـجـتـهـا على أمـثـالهـا
ترمي بنبـل من قـــســى حـــواجب
عـــمـــداً فلم تـخطئ برمي نبـــالهـــا
قـــد أودع الســـحـــر الحـلال بلفظهـــا
ولحاظهـا فـالسـحـر من أكـحـالهـا
لـو أسـفـرت في الجـاهليـة مـرة
عن حـسنهـا ذهلوا لعـذب مـقـالهـا
برزت من العليـا ء تنشـر عـرفـهـا
كـالعطر بين نسـائهـا ورجـالهـا
ورمت لنا طيب الحـديث بلطفـهـا
فـشـفت غليل الشـوق من سلسـالهـا
مــا زلت أذكـرها وأذكـر حـالهـا
حـتى أتى مـا صــد عن أحـوالهـا
مما جـرى في حـــال أســر شــائع
أنسى لنفـوس حليـهـا ورجـالهـا
أســـر به الأحـــوال صـــارت هكذا
شـبـك ترى مـا كـان أشكالهـا

لم تؤخذ الأشياء حسب مرادها

أو يقتدي بحرامها وحلالها

صارت منازلها كأمس عابر

تبكي منازلها على حلالها

وأنا الأسير أسير سير مفكر

كيف النجاة لطامع في حالها

في بلدة الروم أسيراً مبعداً

والنفس طول الوقت في أهوالها

جعلت فروع أصولها أجدادها

أيضاً كما أعمامها أخوالها

مالي وأرض الروم ماذا حل بي

إن كان ذنباً فهو من أعمالها

لو يأخذ الله العباد بظلمهم

لم يبق في الدنيا سوى أحبالها

لكن رحمته لكل أوسعت

يا رب فاجعلنا على منوالها

لا تجعل (الحفظي) محروماً بها

من ذا سواك مفتح أقفالها

طلب التلطف والترحم سيدي

منكم وأما الغير لا أرض لها

كل عبيدك بالسواء وإنما

تعطى لمن ترضى أليم وبالها

لا ينفع العبد الضعيف لمثله

إلا بأمرك فالرضا أولى بها

وأنا الصبور وليس حالي نازلاً

لتطلب الرحمات من عذالها

أقسمت لا أصغي لقول معنف

أو اشتكي إلا إلى فعالها

مالي وللأعداء أشابت مفرقي

أقوالهم والموت في أقوالها

لا تغترر بتبسم من ضاحك

فالليث يكشر هو من أهوالها

والسيف يلمع ضاحكاً من صقله

وبضربة ينهل عظم نصالها

فعدونا الشيطان أضحى ضاحكاً

والنفس لاعبة على أغفالها

مالي وللدنيا أشانت كلما

نلناه نحمده على أحوالها

هل كنت تبع حمير في وقتها

أو كنت سيف حرب ذي أطوالها

أو كنت قد جمعت أجناد الورى

أو قد فعلت فواقراً يندى لها

قطع الرقاب وأسر كل مبعد

بل كنت مفتقراً إلى أفعالها

(رب العبـاد) أسيـر ذنب خـائف

يـوم الأراضي زلـزلت زلـزالـهـا

ذاك المقـام مـقـام صـدق ظاهر

إذ أخـرجت أرض لنا أثقـالهـا

والإض خـاشـعـة لشـدة هولهـا

لما لهـا الإنسـان نادى مـالهـا ؟

فـيـهـا تحـدث للورى أخبـارها

أن الإلـه لأرضـه أوحى لـهـا

النـاس أشـتـاتاً تـراهم كـلهم

لتـرى الجـزا في ذاك من أعـمـالهـا

من يعـمـل الخـبـر القليل كـذرة

يـومـاً يراه وشـره أحـوالهـا

يا نجل (طامي) أنني أودعـتكم

أسنى السـلام لسـائل بسـؤالهـا

والله أسـأله السـلامـة من لظى

يوم القـضـا والنفس في أهوالهـا

وعلى (عسير) جميعهم من مغرم

أو في التـحـايا من ذرا أجـبـالهـا

مـادام ذكـر الله أو مـا تليت

خطرت ومنت في لذيذ وصـالهـا[1]

١- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث بجنوب المملكة العربية السعودية
د. علي مصطفى صبح .. ص ٥٩ ، ٦٠ .

هذه هي القصيدة كلها ، بدأها الشاعر على عادة الشعراء القدامى فاستهل المطلع بالغزل العفيف ، وثنى الغرض المقصود ، وهو الحنين إلى أهله ووطنه وماضيه

وقد ساءت أحوال عسير بعد مقتل الأمير محمد بن عائض وأسر قادتهم واحتلال الأتراك بلادهم ، فرثاهم أحمد بن الحسن بقوله :

أرى طللاً قد كان يعتاده حمى
ومرتعاً صعباً كريم منعماً

تحامى حماه الأسد تكرمة له
ودوت ذرى أعلامه تهرق الدما

ولما رأي أحواله قد تغيرت
وأصبح ذاك النور بالكفر مظلما

بكى والذي لم يبك مثل بكائه
ومن لم يستغفر الله لم يك مسلما

وقال :

فقل لعسير عظم الله أجرها
أرى شامخ الدين القويم تهدما[1].

وبعث القاضي أحمد بن عبد الخالق الحفظي قصيدة إلى السلطان العثماني شاكياً جور جنده ف عسير وذلك عام ١٢٩٠هـ ، قال منها :

فكم هتكت استار دين وعطلت
مدارس للتدريس من كل عالم

إلى قوله :

ولم يدر سلطان الأنام بحالها
لما هو فيه من جميع الأقاليم

ولو كان يدري بالضعيف وحاله
وترويع ذي ضعف وهتك المحارم

١- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - المرجع السابق ، ص ٥٨٧ .

لمـــا كـــان يرضـــى بالمضـــرة والعنـــا
وقـــد صـــار والـــي عربـــها والأعـــاجم [1].



حصن حربي بقرية معراة ببلقرن ، في شهر صفر عام ١٤١٤هـ

١- الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية - المرجع السابق ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

الفصل الخامس

عسير بعد مقتل الأمير محمد بن عائض

بعد إحتلال قوات الأتراك معاقل عسير (ريده) وقتل أميرهم ومن معه وأسر من أرادوا أسره إلى استانبول قسموا عسير إلى مراكز قوى ووزعوا جيشهم فيها على النحو التالي :

- جعل أبها عاصمة لإقليم عسير .
- جعل القنفذة ميناء لعسير .
- ضم المخلاف السليماني لعسير واتخاذ مدينة صبيا مركزاً له .
- جعل محائل مركزاً لمحائل وبارق وقناء .
- جعل الشقيق قاعدة لقبائل رجال ألمع .
- إتخاذ النماص مركزاً لرجال الحجر - بني شهر وبني عمرو وباللسمر وبلحمر .
- جعل رغدان مركزاً لقبائل غامد وزهران .
- جعل الشقيق نطقة اتصال للسواحل التهامية .

وفيما بعد جعلت الدولة العثمانية عسير (سنجق مستقل) بدلاً من متصرفيه [1] . وتشير بعض المراجع التاريخية المحلية إلى أن الفريق رديف باشا كان سيئ الخلق قاسي الطباع لم يوقر كبيراً ولم يرحم صغيراً

١- مجلة البحث العلمي والقرآن الاسلامي - العدد الخامس ، ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ . د. عبد المنعم رسلان ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٤
- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، المرجع السابق - ٢١٦ ، ٢١٧ .
- اخبار عسير - السابق ، ص ٢٣٢

في عسير مما جعل مسئولي الأتراك يعزلونه عن متصرفية عسير بعد مدة تسعة أشهر من توليه أبها [١] .

وبعض المراجع المحلية كذلك تذكر أن رديف توفي بعد طعنه بمدية عقب وصوله إلى الشقيق على أمل نقله للعلاج في استانبول[٢] وعموماً فقد طعن بسكين مسمومة سواء بيد سعيد بن عائض أو أخيه الأمير محمد بن عائض كما أسلفنا .

أما أحمد مختار فأمرته السلطات العثمانية بالزحف بقوات إلى اليمن فسلم له إمام صنعاد على بن مهدي عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م ثم أعيد إلى متصرفيه عسير في رمضان من العام نفسه[٣] .

وهكذا بدأت عسير تصطلي بعهد المتصرفين الأتراك الذي هيمنوا عليها مدة سبع وأربعين سنة من عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م إلى عام ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م .

وكانت فرق قواتهم تتجول في قرى عسير فقد حدثني أحد المسنين أن فرقة من جند الأتراك أقاموا في دار جدي عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد - بخميس العرق - لسعته لهم وخيلهم ، وقال المتحدث أن قائدهم أعطاه ورفيقه أربعة ريال فرنسي بدل كسوة [٤].

١- تاريخ عسير - المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
٢- اخبار عسير - المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
٣- تاريخ عسير في الماضي والحاضر - المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
٤- مقابلة مع محمد بن فاضل الخشرمي بالرياض عام ١٤٠٣هـ بحضور الشيخ مشرف بن عبد الله رحمهم الله جميعاً .

مســـاوئ الأتــراك :-

منذ دخـول الأتراك أرض الحـجـاز سنة ١٢٢٦هـ - ١٨١١م والأوضـاع تسـيـر من سيئ إلى أسـوأ من الفتن والقـلاقل والاضطرابات حيث لاهم لهم وأمـراء الأشـراف إلا اسـتـحـصـال الأمـوال والتـكبـر والتـعـالي على الناس ، والإستئثار لأنفسهم وتدبير المهالك لمن خالف آرائهم ، ومن هذا فإن حكمهم لم يتعد نفوذه وحمايته حدود مكة المكرمة .

وكـان الأمــيــر من الأشــراف يرتكز في نفــوذه وقـوته على أقـاربـه من الأشراف الذي لا يتعدى عددهم ثلاثمائة شخص يتبعهم مواليهم وصنائعهم وإذا حـاول أحد من مـواطنى الحـجـاز القـيـام بأي حـركـة وسلطوا عليـه أهل البادية بالسلب والنهب والإذلال .

وقد تولى إمـارة مكة المكرمـة نحو أربعين أمـيـراً من اسرة الأشراف خلال مـائة وخمسـين سنة ، وكـانت الفوضـى قائمـة والأتراك يقـفون من ذلك مـوقف المتـفـرج ، ومـن ذلك أن قـبـيلة البـقـوم الواقـعـة في تربة جنوب شـرق الطائف قطعوا طريق القوافل [١].

يقـال : (داو البعـير من سنامـه) يضـرب هذا المثل في المنطقة الجنوبيـة فـالأتراك كـانوا يـفرضـون على كل قـبـيلة تسـخـير عدد من الجـمـال لنقل المؤن والمعـدات عليـهـا من جهة إلـى أخرى ضد عـسـيـر ، وضد عـرب الجزيرة كلهم ، فـمثـلاً فرضـوا على قحطان ستة جمل ، وعلى القبـائل البـاقين أقل من ذلك ، وغالباً ما كان القبائل يعصون على الأتراك [٢].

١- نفح العود في سيرة الشريف حمود - المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

٢- عسير - المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

وحول هذا الموضوع قال أحمد باشا - حاكم الحجاز من قبل محمد علي باشا حاكم مصر في رسالة له (تعلمون أن الجمال المطلوبة لأجل عسير خمسة عشر ألف جمل والذي أرسلتموه في هذه المرة برفقة القائمقام محمد آغا خمسة آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين جملاً ، تسلمناها يوم تاريخه ووزعناها بالتسليم للأشراف لأجل أن ترعى في تهامة ، وقل هلك منها في الطريق تسعمائة وتسعين جملاً) [١].

وتصور لنا هذه الرسالة قوة استعداد الأتراك ضد عسير ، وشدة حقدهم وسوء نواياهم لظلم عسير ، وعلى هذا المنوال قتل محمد علي باشا حاكم مصر محاربي عسير عقب معركة بسل سنة ١٢٢٦هـ بالخازوق للمبالغة في شدة التنكيل بهم ، والغدر بمجموعة من عسير كانوا يقاتلون في جيش الإمام مسعود بن عبد العزيز بمعركة الصفراء عام ١٢٢٦هـ - ١٨١١م وسلموا بعد حصارهم فقتلهم الأتراك وجعلوا من جماجمهم قلعة على الطريق بالمدينة [٢].

ومن مساوئ الأتراك أيضاً :

حرق بيوت أهالي عسير ونهب مواشيهم وحبوبهم وما يجدوا في منازلهم وقتلهم وتشريدهم ، فكل هذه الأعمال منافية لتعاليم الإسلام إذ لا يفعل ذلك إلا الكفرة واليهود أعداء المسلمين في كل زمان ومكان ، وأن جيوش الفتح الإسلامي لم تفعل شيئاً من ذلك ، هذا إذا اعتبر الأتراك أنهم فاتحين . ولعلنا ندعم ماقيل بكلام أحمد باشا حاكم الحجاز

١- عسير - المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
٢- دراسات من تاريخ عسير الحديث ، د. بن زلفة ، ص ٣٠ ، ٣١ .

أثناء قيادة قوات الأتراك لحرب عسير حيث قال :

{ وخرج بعض الأشقياء إلى الجبال المرتفعة وبعضهم قبع في القلاع وظل الحرب بالقنابل والبنادق مستمراً إلى الساعة العاشرة ، حيث فر علي بن مجثل وسعيد مع أربعة أو خمسة من الأشقياء ، وطلب غيرهم الأمان فأعطوا واحرقت منازلهم التي في سفح العقبة من أولها إلى أخرها وهدمت ونهبت جميع أموالهم وأشيائهم } [١]. فهذا كلام قائدهم . والحق ما شهدت به الأعداء ! .

- استأثر الأتراك بجميع المناصب والأمراء ولم ينل العرب إلا أقل نصيب فعندما ظهرت نتائج انتخاب البرلمان العثماني في العصور الحديثة كان أعضاء الأتراك مائة وخمسون عضواً بينما لم يبلغ أعضاء العرب بينهم أربعون عضواً ، علماً بأن الجيش العربي كان ضعف الجيش التركي ، كما أن عدد أعضاء الأتراك في مجلس الأعيان أربعين عضواً . ولم يكن من العرب إلا ثلاثة مناصب منهم عبد الله بن الحسين نيابة عن إقليم الحجاز .

- وقد تمادي جماعة الاتحاد والترقي الأتراك في غيهم فمنعوا العرب من المناصب الكبيرة وبالتالي استأثروا بصياغة النظم والمذكرات السياسية التي كانت تعقد بالأستانة [٢].

- ومن مساوئ الأتراك أن قوات محمد علي باشا كانت أثناء غزوهم للقنفذة يقطعون رؤوس أهلها ثم آذانهم لإرسالها إلى مصر للتدليل على إنتصاراتهم ضد عسير [٣].

١- وثائق عسير - المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

٢- اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. ابراهيم الفوزان ، عام ١٤٠١هـ .

٣- عسير - تأليف علي احمد عيسى ، ص ١٢٠ .

- العمل على تتريك الأمة العربية التي نزل بلغتهم القرآن الكريم ومحاولة فرض اللغة التركية وذلك بفتح مدارس تركية في أبها عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م مما أدى إلى ركود اللغة العربية ، وعدم إنتشار التعليم وإنعدام التأليف إلا من قلة في عسير حفظ الله بهم التشري والفقه والتاريخ .

- سلب أموال العرب عن طريق النهب بالقوة ، وفرض الضرائب لأكلها وإرسال ما تبقى إلى السلطة بالأستانة ، فالمتتبع لما كتبه قادة الأتراك وحكام الحجاز والمؤرخون القرامى يدرك قهر الأتراك سواء في الحجاز أو نجد وما عاثوا فيه من المفاسد مثلما مر معنا في المكتوب عن حروبهم ضد الدولة السعودية الأولى إلى نهاية عام ١٢٣٤هـ . وكذا ما فعله قادة الأتراك لنصب المشانق لعروبة الشام وقتلهم وأخذ وأسر زعماء وأمراء وقادة شبه الجزيرة العربية .

- تعرض عرب سوريا لأنواع التنكيل على يد الإتحادي المتعصب أحمد جمال باشا ، قائد الجيش الرابع وحاكم سوريا حيث سخر جمالهم لصالح الجيش التركي في سوريا وفلسطين وإعدام هذا السفاح واحد وعشرين رجلاً في أغسطس سنة ١٩١٦م ، الموافق ١٣٣٥هـ ، وعمل على تشويش بطولات العرب في كتابه (حقيقة المسألة السورية) (١).

ولما كان الأتراك قد اثخنوا العرب ظلماً وعدواناً حتى لم يعد للعرب صبر على ظلمهم انفجروا بقيام الثورة العربية الكبري التي أشعلها الشريف علي بن الحسين أمير مكة المكرمة سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م ، حيث تم التفاهم بينه وبين

١- مذكرات دراسية تاريخية ، د. احمد العبد سليمان لدى الباحث ، ص ٨٨ .

الحكومة البريطانية ممثلة في مندوبها السامي هنري مكماهون بمصر على تحقيق حلم العرب بالإستقلال عن الدولة التركية ، وجعل الشريف ملكاً ، فأعلن الثورة بمكة المكرمة في ١٠ جزيران ١٩١٦م الموافق ١٣٣٥هـ.

وظلت الحرب بين القوات العربية التي قادها عبد الله وفيصل وحسين أبناء الشريف علي ، ضد القوات التركية في الحجاز ، مدة سنتين ونصف في الشام وفي نفس الوقت فإن الإنجليز استاؤا لما أعلن الشريف نفسه ملكاً على العرب لأنهم كانوا يقصدون من مناوراتهم تلك كسر شوكة الدولة العثمانية الممثلة للخلافة الإسلامية وخلع ولاياتها منها باستغلالهم لقضية العرب .

وتم لهم تقسيم البلاد العربية تركة لدول الصليب الغربي ، وقد تحقق لهم ماكانوا يصبون إليه ، ولا شك أن سوء معاملة قادة الأتراك في ولاياتهم العربية وأهمال حقوق العرب ، ومحاولة طمس عروبتهم وفرض اللغة التركية على العربية ، فضلاً عن قتل قادتهم وتخويفهم .. كل هذا ساهم في هدم الدولة - الخلافة - العثمانية في الحرب العالمية الأولى .

فمن خلال تلك الحرب أصبح النصارى يقاتلون بين المسلمين في القوات العربية العاملة في صفوف قوات الشريف أو في الصفوف الشعبية من جانب وبين الجيش العثماني ، وإنه حينما دخل القائد اللنبي القدس منتصراً على الأتراك قال :

اليوم انتهت الحروب الصليبية لأنهم اعتبروا الحرب بين المسلمين وليست ضد الغرب

ولما دخل الفرنسيون دمشق على إثر إقتسام النصارى - البلاد العربية الإسلامية - ذهب غورو الفرنسي إلى قبر (صلاح الدين) رحمه الله وقال متهكماً - ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين مرة أخرى [1] أقول : لكن الحمد لله القدير الذي نصر الشعب الأفغاني الإسلامي على الغزاة المعتدين الروس قادة المعسكر الشيوعي الصليبي الشرقي العدو الثاني للمسلمين .

وهذا بتوفيق الله تعالى ثم بالعمل والجهاد الإسلامي الخالص وبمساعدة الله تعالى ثم حكومة المملكة العربية السعودية التي مدت وتمد يد المساعدة لكل جهاد في أرض الله برفع كلمة (لا إله الا الله محمد رسول الله) .

ونستخلص من سوء معاملة الأتراك للعرب ما يلي :

١- تأخر العرب في جميع النواحي ، وضعفهم

٢- تقويض وإزالة الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية .

٣- إتاحة تدخل المعسكر الصليبي الغربي في جسم الإسلام حتى أمرضه وبالتالي مزقه إلى أشلاء يصعب إلتئامها إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) والعمل بهما .

لكن العرب ناضلوا ضد الأتراك وألفوا الجمعيات السرية والقيام بنشاط الإنفصال والحفاظ على عقيدتهم الإسلامية العربية ، حتى تم لهم القيام بثورتهم ضد الأتراك والأنفصال منهم .

ورغم مساوئ الأتراك فإن العرب الذين كانوا عاملين في جيش الدولة

١- مجلة الصحوة الإسلامية - عوض محمد القرني ، عام ١٤١٠هـ .

العثمانية أوفياء فإن كتائب الزحوف العربية التي اتخذها السلطان عبد الحميد العثماني حرساص خاصاً لقصره لم تشارك في حوادث ٣١ آذار ضد العثمانيين وأنهم كانوا مثار إعجاب الأجانب وقيد أوامر السلطان [١].

أقول : ولكن تألب المعسكر الغربي للإطاحة بالدولة العثمانية إنهى الخلافة الإسلامية ، كما مر بنا في - نسب الأتراك العثمانيين - أسلم العرب من قبضة الأتراك وتخلفهم إلى قبضة الإستعمار الغربي الذي اعتبر بلاد العرب وسكانها تركة تورث .

فاقتسمها الأوربيون ، لكن العرب كافحوا الاستعمار بكل ما أتوا حتى تم لهم التحرير ، بحمد الله وقوته[٢] .

١- اسرار الانقلاب العثماني - مصطفى طوران ، ترجمة كمال خوجة ، ص ٤١ ، ٤٢ .
٢- اليمن عبر التاريخ - المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

خاتمــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وإني أحمد الله الذي أمدني بالصحة والصبر حتى تمكنت من اتمام هذا البحث البسيط من تاريخ عسيـر للفتـرة من ١٢٢٦هـ -١٢٨٩هـ ١٨١١ - ١٨٧٢م حيث رجعت لعشرات المؤلفات والمذكرات في عدة مكتبات .

ويرجع الفضل في ذلك إلى الله تعالى الذي أمدنا جميعاً بتوفيقه ثم إلى الإخوة المسئولين في مكتبة دارة الملك عبد العزيز ومكتبة جمعية الملك فيصل الخيرية .

وقد قمت بزيارات ميدانية قليلة لقلاع وحصون عسير وقابلت بعض الرجال المسنين ممن لديهم بعض العلم بتاريخ وأخبار عسير كافة .

وإني أتقبل النقد التوجيهي المؤدي إلى حقيقة المعلومة ، والله نسأل التوفيق لكافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إنه جواد كريم آمين .

المؤلف

المراجـــــع

١- تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، جـ١ ، جـ٢ ، هاشم بن سعيد النعمي

٢- السراج المنير في سيرة أمراء عسير - الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ه - ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، عبد الله بن علي بن مسفر .

٣- اخبار عسير - المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، عبد الله بن علي بن مسفر .

٤- شبه جزيرة العرب- عسير - الطبعة ـ الثالثة ، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م المكتب الإسلامي .

٥- بلاد الحجاز ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي ، محمود شاكر .

٦- بلاد الحجاز - ٣٢ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، د. سليمان بن عبد الغني مالكي .

٧- مذكرات سليمان شفيق باشا - متصرف عسير ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، محمد أحمد العقيلي ، نادي أبها الأدبي .

٨- أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، نادي أبها الأدبي ، يوسف حسن محمد العارف .

٩- عنوان المجد في تاريخ نجد - الجزء الأول والثاني ٢٧ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م للشيخ عثمان بن عبد الله البشر .

١٠- عسير - دراسة تاريخية ، مطبوعات نادي أبها الأدبي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م علي أحمد عيسى عسيري .

١١- قلب جزيرة العرب ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، فؤاد حمزة .

١٢- في بلاد عسير ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، فؤاد حمزة .

١٣- الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية ، الطبعة الثانية ، نادي أبها الأدبي ، مطابع الجنوب بأبها ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، د. عبد الله محمد حسين أبو داهش .

١٤- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مطابع الشريف ، د. أبو داهش .

١٥- عسير في ظل الدولة السعودية الأولى ، نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٥م ، د. أبو داهش .

١٦- الدولة السعودية الثانية ، د. عبد الفتاح أبو عليه .

١٧- من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية - وثائق متعلقة بعسير ، دار المتنبي للنشر والتوزيع - مصور من دارة الملك عبد العزيز - د. عبد الرحيم عبد الرحمن .

١٨- تاريخ مكة - مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م ، الطبعة السادسة - الجزء الأول ، أحمد السباعي .

١٩- مكة في عصر ما قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢٠- مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، السيد / أحمد أبو الفضل عوض الله .

٢١- رحلات في عسير ، الجزء الأول ، مطابع دار الأصفهاني وشركائه، جدة يحيى إبراهيم الألمعي .

٢٢- أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، من مكتبة جمعية الملك فيصل الخيرية ، إسماعيل حقي أوزون .

٢٣- اليمن عبر التاريخ - الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض - أحمد حسين شرف الدين .

٢٤- محمد بن عثيمين - شاعر الملك عبد العزيز - ١٣ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . أحمد أبو الفضل عوض الله .

٢٥- تاريخ المخلاف السليماني - الجزء الثاني ، مطابع دار الكتاب العربي ، بمصر ١٩٥٦م محمد أحمد العقيلي .

٢٦- عسير في اطوار التاريخ - الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، محمد أحمد العقيلي .

٢٧- دراسات عن تاريخ عسير الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م مطابع الشريف بالرياض ، د. محمد عبد الله آل زلفه .

٢٨- ذوق الطلاب في علم الأعراب - مطابع الشريف بالرياض ، الشيخ محمد أحمد عبد القادر الحفظي التهامي .

٢٩- موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، د. عبد الله سالم القحطاني .

٣٠- مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار الأنصار بالقاهرة ، محمد حرب عبد الحميد .

٣١- لمحات عن بلاد زهران ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م ، د. محمد مسفر الزهراني .

٣٢- وهذه بلادنا ، بلاد زهران - الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، د. محمد مسفر الزهراني .

٣٣- الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، مازن للطباعة ، محمد بن هادي بن بكري العجيلي .

٣٤- عسير خلال قرنين ، نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، د. عبد المنعم ابراهيم .

٣٥- اللجام المكين والزمام المتين ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مازن للطباعة ، محمد بن أحمد الحفظي .

٣٦- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، تهامة ، نبيل عبد الحي رضوان .

٣٧- مناظرة أحمد بن إدريس - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الحسن بن أحمد عاكش الضمدي .

٣٨- تاريخ الدولة السعودية ، ج١ ، ج٢ ، - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - أمين السعيد .

٣٩- ملوك العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، دار الجبل - بيروت ، أمين الريحاني .

٤٠- تاريخ نجد الحديث ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م أمين الريحاني .

٤١- المقامة الضمدية - مطابع الشريف ، الحسن بن علي البهكلي .

٤٢- ألوان ثقافية لمحات من تاريخ عسير القديم ، نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، د. سيد أحمد يونس .

٤٣- قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام ، ج١ ، ج٢ ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، نادي أبها الأدبي ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة بالرياض . عمر غرامه العمروي .

٤٤- معجم بلاد رجال الحجر ، عمر غرامه العمروي .

٤٥- معجم بلاد بارق ، عمر غرامه العمروي .

٤٦- ملوك آل سعود - الجزء الأول - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م سعود بن هذلول .

٤٧- جغرافية المملكة العربية السعودية - الجزء الأول - الطبعة الأولى - دار المريخ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، د. عبد الرحمن صادق الشريف .

٤٨- صفة جزيرة العرب - دار اليمامة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق محمد علي الأكوع الهمداني ، إشراف حمد الجاسر .

٤٩- من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي ، مطابع الجنوب ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى ، تحقيق ، د. عبد الله محمد أبو داهش .

٥٠- تاريخ الدولة العثمانية العلية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، إبراهيم بك حليم .

٥١- الدرة البهية في فضل العرب ومآثر الدولة العلية ، تصوير مكتبة الحرم المكي الشريف ، إبن ابراهيم أبي الشافعي الشرقاوي .

٥٢- الرحلة اليمانية ، الطبعة الثانية ، تصوير مكتبة الحرم المكي الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي .

٥٣- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م.

٥٤- الدر الثمين في ذكر المناقب الوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض المؤلف حسن بن أحمد اليمني العاكش .

٥٥- إنتشار الدعوة السلفية بالمنطقة الجنوبية .

٥٦- المجلة التاريخية المغربية ، د. محمد عبد الله آل زلفة .

٥٧- مصاريف عسير - الأرض والطبيعة - مجلة الفيصل العدد الثاني - شعبان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٥٨- أربعة أيام في منطقة الباحة ، مطابع المدينة المنورة للطباعة والنشر ، جدة الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م علي حافظ .

٥٩- مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، العدد الخامس ، ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ ، د. عبد المنعم عبد العزيز رسلان .

٦٠- أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة - دار الكتب العالمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٤م ، عزام بن الأصبع السلمي .

٦١- رجال ألمع - أحمد مطاعن - رجب ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٦٢- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية . د. علي علي مصطفى صبح ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - مطابع تهامة .

٦٣- نفح العود في سيرة الشريف حمود - ٢٢ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م عبد الرحمن بن أحمد البهلكي ، تحقيق محمد العقيلي .

٦٤- المسألة الشرقية ، مكتبة وهبة ، شارع الجمهورية القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، محمد ثابت الشاذلي .

٦٥- جدولة العصور التاريخية للدولة الإسلامية ، إعداد فؤاد علي جبر ، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٦٦- مجلة العرب الجزء الأول ، رجب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار اليمامة .

٦٧- الرحلة ـ الحجازية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف الطائف - محمد لبيب البتنوني .

فهـــرس الموضوعــــات

فهـــرس الموضوعـــات

فهـــرس الموضوعـــات

نبذة عن المؤلف

- الإسم : عبد الهادي بن عبد الله بن مشبب الشهري
- تاريخ ومكان الميلاد : سنة ١٣٦٥هـ بلدة خميس العرق (بني شهر) .
- نشأته : نشأ يتيم الأب ، وتلقى تعليم القرآن الكريم على يد الشيخ صالح بن حسن الفقيه بمسجد البلدة .
- التحق بالخدمة الحكومية عام ١٣٨١هـ بمصلحة السكة الحديدية بالدمام ثم بالأمن العام ثم بوزارة المالية والإقتصاد الوطني ولا يزال بها حتى تاريخ ١٤١٩/٧/١هـ .
- درس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية في المدارس الليلية بالدمام والرياض ، وحصل على الثانوية العامة من مدرسة النهضة الليلية عام ١٣٩٠ / ١٣٩١هـ بالرياض ثم واصل دراسته وحصل على الشهادة الجامعية - الليسانس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم التاريخ - كلية العلوم الإجتماعية عام ١٣٩٩هـ .
- حصل على ست دورات مالية وإدارية بمعهد الإدارة العامة بالرياض .
- للباحث إهتمامات بالبحوث الدينية والتاريخية والأدبية وصدر له هذا الكتاب (الحروب التركية في عسير) وسوف يصدر له كتاب (الأشعار الأدبية بالمنطقة الجنوبية) (تحت الطبع) .

ردمك : ٣-٣٤١-٣٤-٩٩٦٠

طبع في مطابع الايناس للأوفست
الرياض : هاتف ٤٤٧١٧٥٦